جُمْهُرَةُ المَقَالَاتِ

فِي التَّحْذِيرِ

مِنْ تَمْكِينِ السُّفَهَاءِ مِنَ الجَوَّالَاتِ

لأبي عبد الله

حمدي بن عبد الله بن حمود القباطي

غفر الله له ولوالديه

تقديم الشيخ الفاضل/

أبي عاصم عبد الله بن محمد الدبعي

حفظه الله ورعاه

النسخة المعتمدة مزيدة ومنقحة

جُمْهُرَةُ المَقَالَاتِ

فِي التَّحْذِيرِ

مِنْ تَمْكِينِ السُّفَهَاءِ مِنَ الجَوَّالَاتِ

لأبِي عَبْدِاللهِ

حَمْدي بْنِ عَبْدِاللهِ بنِ حَمُودٍ القُبَاطِيِّ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَمَشَايِخِهِ

تقديم

الشيخ الفاضل/ أبو عَاصِمٍ عَبْدِاللهِ بنِ مُحَمَّدٍ الدُّبَعِيِّ

حَفِظَهُ اللهُ ورَعَاه

حقوق الطبع متاحة لكل مسلم

بشرط عدم التغيير في النص

اسم الكتاب: جمهرة المقالات

اسم المؤلف: حمدي القباطي

عدد الصفحات: ١٤٧

المقاس: 24x17

الطبعة: الأولى

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقٍّ إِذَا رَآهُ، أَوْ شَهِدَهُ، أَوْ سَمِعَهُ**» رواهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيح، وهُو فِي الجَامِعِ الصَّحِيحِ مِمَّا لَيسَ فِي الصَّحِيحَينِ.

مُقَدِّمَةُ الشَّيخِ أَبِي عَاصِمٍ الدُّبَعِيِّ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ قَرَأْتُ رِسَالَةَ أَخِينَا الْمِفْضَالِ الدَّاعِي إِلَى اللهِ: حَمْدِي بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ حَمُودٍ الْقُبَاطِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى، الْمُسَمَّاةَ: (جَمْهَرَةُ الْمَقَالَاتِ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ تَمْكِينِ السُّفَهَاءِ مِنَ الْجَوَّالَاتِ) فَرَأَيْتُهَا رِسَالَةً طَيِّبَةً رَائِعَةً فِي بَابِهَا، صَادِرَةً مِنْ نَاصِحٍ غَيُورٍ، تَحْكِي وَاقِعًا مَرِيرًا يَعِيشُهُ أُنَاسٌ صَحِبُوا مَعَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ مُتَّصِلَةً بِالْإِنْتَرْنِتِ مِنْ غَيْرِ تَقْوَى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَسَبِحُوا فِي مَوَاقِعِهَا الْإِبَاحِيَّةِ، وَالْمُرَاسَلَاتِ الْغَيْرِ أَخْلَاقِيَّةِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى الْقَضَاءِ عَلَى الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعِفَّةِ وَالْأَوْقَاتِ وَتَدْنِيسِ الْأَعْرَاضِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ.

وَمَا فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنَ الْأَخْبَارِ فَإِنَّهَا لَا تَتَخَالَفُ مَعَ الْوَاقِعِ، وَالْمُتَتَبِّعُ لِلْقَصَصِ وَالْحِكَايَاتِ مِمَّا هُوَ مَنْثُورٌ وَمَبْثُوثٌ سَيَجِدُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِمَّا يَنْدَى لَهُ الْجَبِينُ!

فَمَفَاسِدُ الْجَوَّالَاتِ شَمِلَتِ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ، قَلَّ مَنْ يَسْلَمُ! وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَمَفَاسِدُهُ لَا تَخْفَى عَلَى ذِي عَيْنَيْنِ، وَأَضْرَارُهُ وَاضِحَةٌ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ سَلِيمٍ.

فَجَدِيرٌ بِالْمُسْلِمِينَ رِعَايَةُ مَنْ وَلَّاهُمُ اللهُ رِعَايَتَهُمْ وَصِيَانَتُهُمْ مِنَ الْفِتَنِ، وَعَدَمُ غِشِّهِمْ، وَمِنْ أَشَرِّهَا هَذِهِ الْجَوَّالَاتُ الْمَلْسَاءُ خَاصَّةً؛ وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا!

فَجَزَى اللهُ أَخَانَا حَمْدِي الْقُبَاطِيَّ خَيْرَ الْجَزَاءِ عَلَى تَسْطِيرِهِ لِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمُدَعَّمَةِ بِالْبُرْهَانِ وَتَحْذِيرِهِ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، فَقَدْ أَفَادَ وَأَجَادَ، وَأَوْصَلَ الْمُرَادَ،

وَصَارَ لَهُ عُذْرٌ عِنْدَ رَبِّ الْعِبَادِ. ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأَعْرَاف:١٦٤].

وَنَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ وَبِمَا كَتَبَ، وَأَنْ يُبَارِكَ فِيهِ وَفِي عِلْمِهِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ.

كَتَبَهُ/ أَبُو عَاصِمٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّبَعِيُّ

الْخَمِيسِ ٢٤ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٤٦ هـ

مُقَدِّمَة

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْن، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبَيْنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الأَمِينُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْد:

فَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيَّ بإِنْشَاءِ بعضِ القَنَواتِ للتَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ الحَدِيثَةِ الخَبِيثَةِ، وَبَيَانِ مَخَاطِرِهَا وَأَضْرَارِهَا؛ لَا سِيَّمَا عَلَى النِّسَاءِ، وَقَدْ كَتَبْتُ بَعْضَ المَنْشُورَاتِ وَالمَقَالَاتِ، وَتَتَبَّعْتُ وَجَمَعْتُ كَلَامَ أَهْلِ العِلْمِ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ هَذِهِ الفِتْنَةِ الخَطِيرَة.

وَقَدْ أَشَارَ عَلَيَّ بَعْضُ شُيُوخِنَا الأَجِلَّاءِ، وَإِخْوَانِنَا الفُضَلَاءِ، أَنْ أُخْرِجَ مَا فِي هَذِهِ المَوَاقِعِ إِلَى الوَاقِعِ، وَمِنْ صَفَحَاتِ التَّوَاصُلِ إِلَى صَفَحَاتِ الكُتُبِ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا، وَلِسَانُ حَالِهِمْ:

إِلَى كَمْ حَبْسُهَا تَشْكُو المَضَيْقَا *** أَثِرْهَا رُبَّمَا وَجَدَتْ طَرِيقَا

فَتَلَكَّأْتُ مِرَارًا لَعَلِّي أُكْفَاهُ بِغَيري، وجَعَلْتُ القَنَاةَ بِمَا فِيهَا كَلَأً مُبَاحًا لِمَنْ يَكْفِينِي هَذَا الأَمْرَ، فَمَا وَجَدْتُ مَنْ يَرْوِي الغَلِيْلَ، وَيَشْفِي العَلِيْلَ، فَلَمّا لَمْ أَرَ مِنْهُ بُدًّا؛ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ وَاسْتَعَنْتُ بِهِ، وَشَرَعْتُ فِيمَا طُلِبَ مِنِّي، وَحَالِي:

إِذَا لَـمْ تَكُنْ إِلَّا الأَسِنَّةُ مَرْكَبًا *** فَمَا حِيلَةُ المُضْطَرِّ إِلَّا رُكُوبُهَا

فَنَظَرْت فِيمَا جَمَعْتُهُ وَبَعَثْرَتُهُ قَبْلُ فِي مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ، فَوَجَدْتُ قَدْرًا لَا بَأْسَ بِهِ مِنَ المَنْشُورَاتِ وَالكِتَابَاتِ؛ تَصْلُحُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- أَنْ تُفْرَدَ فِي كُتَيِّبٍ؛ حِفْظًا لَهَا مِنَ الضَّيَاعِ فِي دَهَالِيزِ مَوَاقِعِ التَّوَاصُل، وَرَجَاءَ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا مَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ.

بَـشَّـرَهَا دَلِـيـلُهَا وَقَـالا ❊❊❊ غَدًا تَرَيْنَ الطَّلْحَ وَالجِبَالَا

فَهَاكَهَا زَفَرَاتُ مَكْلُومٍ، وَنَفَثَاتُ مَصْدُورٍ؛ وَلا بُدَّ لِلْمَصْدُورِ أَنْ يَتَنَفَّسَا، إِنْ تَأَمَّلْتَهَا وَجَدْتَ فِيهَا رَائِحَةَ كَبِدٍ تَحْتَرِقُ، وَعَيْنًا تَدْمَعُ، وَقَلْبًا يَتَقَطَّعُ؛ حَسْرَةً وَأَسًى على الحَالِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ.

لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ ❊❊❊ إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

تَنْبِيهَاتٌ:

هَذَا جَمْعٌ لِكِتَابَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ نَشَرْتُهَا فِي مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ حَوْلَ هَذِهِ الفِتْنَةِ، وَمَا دَارَ فِي خَلَدِي يَوْمًا أَنْ أَجْمَعَ شَتَاتَهَا فِي كِتَابٍ، لَذَا قَدْ تَجِدُ فِي بَعْضِهَا التَّكْرَارَ، أَوِ الِاسْتِدْلَالَ بِنَفْسِ الأَدِلَّةِ؛ فَكُنْ عَذِيرِي.

وَقَدْ يَقَعُ فِي بَعْضِهَا شِدَّةٌ وَكَلَامٌ قَاسٍ، وَذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهَا = تَعْلِيقَاتٌ عَلَى حَوَادِثَ، وَلَأَنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ فِي غَفْلَةٍ سَحِيقَةٍ، وَسُبَاتٍ عَمِيقٍ، مَكَّنُوا أَهَالِيَهُمْ مِنَ الْجَوَّالَاتِ ثُمَّ لَمْ يُفَكِّرُوا فِي دِينٍ وَلَا عِرْضٍ! وَرَأَيْتُ وُجُوهًا لَا يَنْفَعُ مَعَهَا إِلَّا زَمْجَرَةُ الْأَسُودِ، وَقَصْفُ الرُّعُودِ. وَبَعْضُ الْوَسَخِ لَا تُزِيلُهُ إِلَّا الْخُشُونَةُ وَالدَّلْكُ بِشِدَّةٍ.

ومَن رَأَى مِنَّا زَلَّةً أَوْ خَطَأً فَلْيُبَادِرْ بِنُصْحِنَا وَالتَّبْيِينِ لَنَا، فَإِن كَانَ عَلَى حَقٍّ صِرْنَا إِلَى الْحَقِّ -بِإِذْنِ اللهِ- وانْقَدْنَا إِلَيْهِ بِشَعْرة، وَإِن كَانَ بِسَبَبِ سُوءِ فَهْمٍ بَيَّنَّا لَهُ، وَإِن كَانَ فِي الْمَسْأَلَةِ سَعَةٌ لَمْ نُحَجِّرْ وَاسِعًا، والشُّكْرُ مَوصُولٌ لِلْجَمِيعِ.

قَدْ أَنْتَقِدُ كَلَامًا لِبَعْضِ الدُّعَاةِ وَالْمَشَايِخِ وَأَذْكُرُ مَا ظَهَرَ لِي فِي الْمَسْأَلَةِ مَعَ تَوْقِيرِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَاحْتِرَامِهِمْ، فَقَصْدِي الْقَوْلُ وَلَا أَلْتَفِتُ إِلَى قَائِلِهِ.

وَلَا يَظُنَّنَّ شَخْصٌ، أَوْ تَحْسِبْ جَمَاعَةٌ أَنَّهُمْ الْمَقْصُودُونَ بِالْكَلَامِ دُونَ غَيرِهِم، فَإِن ذَكَرْتُ السَّلَفِيِّينَ فَقَد أَقْصِدُ بِهِ كُلَّ مُنْتَسِبٍ لِلْسَّلَفِيَّةِ، ثُمَّ آثَرْتُ مُؤَخَّرًا التَّعْبِيرَ بِـ"طُلَّابِ الْعِلْمِ" لِيَشْمَلَ طَلَبَةَ الْعِلْمِ فِي الْوَاقِعِ أَوِ الْمَوَاقِعِ، وَأَقْصِدُ بِالصَّالِحِينَ: كُلَّ ذِي لِحْيَةٍ وَذَاتِ جِلْبَابٍ، لَأَنِّي -وَاللهِ- قَدِ اطَّلَعْتُ عَلَى أَحْوَالِ طُلَّابِ الْعِلْمِ فِي بِلَادٍ كَثِيرَةٍ، وَتَوَاصَلُوا بِي مِنْ بِقَاعٍ شَتَّى، وَذَكَرُوا مَا يَلْقَونَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

كُلُّ مَا فِي هَذَا الْمَجْمُوعِ فَمِن كِتَابَتِي وَجَمْعِي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَقَال: (إِنَّهَا الْحَرْبُ) فَإِنَّهُ لِأَهْلِي بَارَكَ اللهُ فِيهَا، وَهَذَا الْجَمْعُ خُطْوَةٌ أُولَى تَتْبَعُهَا خُطُوَاتٌ فِي الْمَوْضُوعِ بِإِذْنِ اللهِ.

وَمَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْجَمْهَرَةِ مِنَ الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى بَعْضِهَا بِنَفْسِي، وَأَخْبَرَنِي بِبَعْضِهَا الثِّقَاتُ الأَثْبَات؛ تَثْبِيتًا لِي فِي الرِّباطِ عَلَى هَذَا الثَّغْرِ، وَبَعْضُهَا ظَاهِرٌ مَنْشُورٌ فِي الْوَاقِعِ وَالْمَوَاقِعِ. لَمْ أَبْذُلْ جُهْدًا لِلْحُصُولِ عَلَيْهَا، وَلَمْ أَتَتَبَّعْ لِأَجْلِهَا عَوْرَةَ مُسْلِمٍ وَلِلَّهِ الحَمْد. وَمَا سَتَرْتُهُ أَعْظَمُ مِمَّا أَظْهَرْتُهُ، وَالْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ.

وَمَا الدُّخَانُ بِأَدَلَّ عَلَى النَّارِ مِنْ دَلَالَةِ انْتِشَارِ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ عَلَى ظُهُورِ الْفَسَادِ وَالْفَوَاحِشِ وَانْتِشَارِهَا.

وَكَثِيرًا مَا أُطْلِقُ "الْجَوَّالَاتِ" وَقَصْدِي: الْجَوَّالَاتُ الْحَدِيثَةُ الْمُزَوَّدَةُ بِالْإِنْتَرْنِت وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ. وَأَكْرَهُ الإِنْتَرنِت وَمَوَاقِعَ التَّوَاصُلِ للرِّجَالِ والنِّساء، وَلَا أَرَى تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالَاتِ الْحَدِيثَةِ وَإِنْ كَانَ بِدُونِ إِنْتَرْنِت فَإِنَّ مَنْ فَتَحَ الْبَابَ وَلَجَهُ، وَمَنْ رَعَى حَوْلَ الْحِمَى أَوْشَكَ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ. وَالْأَسْلَمُ عَدَمُ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالَاتِ الْحَدِيثَةِ وَالْقَدِيمَةِ، فَإِنْ دَعَتِ الْحَاجَةُ فَتِلْكَ الْقَدِيمَةُ الْعَادِيَّةُ أَقَلُّ ضَرَرًا، وَكُلُّ هَذَا سَتَجِدُهُ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْكَ.

وَكُنْتُ قَدْ سَمَّيْتُ هَذَا المَجْمُوعَ "جَمْهَرَةُ المَقَالَاتِ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنَ الجَوَّالَاتِ"، وَالجَمْهَرَةُ: الجَمْعُ، وَجَمْهَرَ الشَّيْءَ: جَمَعَ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ. وَالمَقَالَاتُ: جَمْعُ مَقَالٍ أَوْ مَقَالَةٍ، وَهِيَ البَحْثُ القَصِيرُ المَنْشُورُ فِي مَجَلَّةٍ وَنَحْوِهَا.

وَتَخْصِيصُ النِّسَاءِ فِي العُنْوَانِ= مُرَاعَاةٌ لِاسْمِ القَنَاةِ الَّتِي نَقَلْنَا مِنْهَا هَذَا، وَلِأَنَّهُنَّ أَوَّلُ مَقْصُودٍ بِهَذِهِ المَقَالَاتِ. ثُمَّ أَشَارَ عَلَيَّ مَنْ إِشَارَتُهُ حُكْمٌ، وَطَاعَتُهُ غُنْمٌ، أَنْ أَجْعَلَ "السُّفَهَاء" مَكَانَ "النِّسَاء" فَلَبَّيْتُ؛ وَهُوَ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ، وَالنِّسَاءُ أَوَّلُ دَاخِلٍ فِيهِ؛ لِأَنَّهُنَّ أَسْفَهُ السُّفَهَاءِ كَمَا قَالَ الحَسَنُ والضَّحَّاكُ فِي تَفْسِيرِ قَولِ اللهِ:﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥] وهَذَا فِي الْمَالِ؛ فَكَيْفَ بِالْجَوَّالِ، وَمَا فِيهِ مِنْ الْمَفَاسِدِ وَالْمَخَاطِرِ وَالْأَهْوَالِ!

ويَدْخُلُ فِيهِ أَيْضًا كُلُّ مَنْ يُسِيءُ استِخْدامَ الجَوَّالَاتِ؛ لأنّ بَعضَ المَقَالَاتِ عَامَّة.

وَإِنِّي مُذْ كَتَبْتُ أَوَّلَ حَرْفٍ فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى يَقِينٍ أَنِّي لَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَلْسُنِ النَّاسِ وَأَذَاهُمْ؛ وَهَلْ يَأْمَلُ السَّلَامَةَ مِنْهُمْ إِلَّا مَجْنُونٌ!

فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْ أَلْسُنِ النَّاسِ سَالِمٌ *** وَلَوْ أَنَّهُ ذَاكَ النَّبِيُّ الْمُطَهَّرُ

لَا سِيَّمَا وَقَدِ اسْتَفْحَلَ الشَّرُّ، وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: نَعَمْ لِتَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالَاتِ؛ وَقَبِيحٌ قَوْلُ لَا بَعْدَ نَعَم كَمَا قَالَ الْمُثَقِّبُ الْعَبْدِيُّ، وَكثيرٌ مِنَ النِّسَاءِ قَدْ صَارَ الْجَوَّالُ غَايَةَ مُنَاهَا، وَمُنْتَهَى هَوَاهَا، تُؤثِرُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي حَيَاتِهَا مِنْ أَهْلٍ وَأَكْلٍ وَنَحْوِهِ؛ إِيثَارَ الْأَعْرَابِيِّ فَرَسَهُ بِاللَّبَنِ! وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي عُيُونِ الْأَخْبَارِ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَاتَ ضَيْفًا لِبَعْضِ الْحَضَرِ، فَرَأَى امْرَأَةً فَهَمَّ أَنْ يُخَالِفَ إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ فَمَنَعَهُ الْكَلْبُ، ثُمَّ أَرَادَ ذَلِكَ نِصْفَ اللَّيْلِ فَمَنَعَهُ ضَوْءُ الْقَمَرِ، ثُمَّ أَرَادَ ذَلِكَ فِي السَّحَرِ فَإِذَا عَجُوزٌ قَائِمَةٌ تُصَلِّي، فَقَالَ:

لَـمْ يَخْلُقِ اللهُ شَيْئًا كُنْتُ أَكْرَهُهُ *** غَيْرَ الْعَجُوزِ وَغَيْرَ الْكَلْبِ وَالْقَمَرِ

هَـذَا نَـبُوحٌ وَهَـذَا يُـسْتَضَاءُ بِـهِ *** وَهَـذِهِ شَـيْـخَـةٌ قَـوَّامَـةُ الـسَّحَـرِ

وَنَسْأَلُ اللهَ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ، وَأَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

أَبُوعَبْدِاللهِ حَمَدِيٌّ بْنُ عَبْدِاللهِ الْقُبَاطِيُّ

الثُّلاثَاء ٢٢ ذُو القَعْدَةِ ١٤٤٦

الحُدَيْدة – اليَمَن.

إِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ

خَلَقَ اللهُ البشَرَ وَهَدَاهُمُ النَّجْدَيْنِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ عَلَى صِنْفَيْنِ، سُعَدَاءُ وَأَشْقِيَاءُ، وَجَعَلَ لِكُلٍّ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ أَسْبَابًا؛ مَنْ تَعَلَّقَ بِهَا سَلَكَتْ بِهِ سَبِيلَهَا، وإنّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ= النَّجَاةَ مِنَ الفِتَنِ.

فَعَنِ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالُ: اَيْمُ اللهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جَنَّبِ الفِتَنَ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وهُو فِي الجَامِعِ الصَّحِيحِ.

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي اجْتِنَابِ الفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ؛ فَإِنَّ رِيحَهَا عَاصِفٌ، وَرَعْدَهَا قَاصِفٌ، وَسَيْلَهَا سَاحِبٌ جَارِف، فَلْيَفِرَّ مِنْهَا فِرَارَهُ مِنَ الجُذَامِ، أَوِ الأَسَدِ الهُمَامِ.

فَالقُلُوبُ ضَعِيفَةٌ، وَالشُّبَهُ خَطَّافَةٌ؛ مَنْ يَسْتَشْرِفْ لَها تَسْتَشْرِفْهُ وَتُهْلِكْهُ، وَنَحْنُ فِي زَمَنٍ تَمُوجُ الفِتَنُ فِيهِ كَأَمْوَاجِ البِحَارِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، فَإِيَّاكَ أَنْ تَرْعَى فِي مَرْعَاهَا، أَوْ تَحُومَ حَوْلَ حِمَاهَا، أَوْ تَفْتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا، أَوْ تَكْشِفَ سِتْرًا مِنْ أَسْتَارِهَا؛ فَتُوبِقَ نَفْسَكَ، وَتَسْتَجْلِبَ بُؤْسَكَ وَنَحْسَكَ.

وَتَأَمَّلْ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ مِنَ المُفَسِّرِينَ، مِنْ قِصَّةِ بَعْضِ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَيْفَ اسْتَدْرَجَهُ الشَّيْطَانُ لِيُوقِعَهُ فِي الفَاحِشَةِ وَالقَتْلِ ثُمَّ الكُفْرِ عِيَاذًا بِاللهِ، عِنْدَ قَوْلِ اللهِ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ﴾ [الحشر:١٦]. وفي حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ؛ فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**». صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاود، وهُو فِي الجَامِعِ الصَّحِيحِ. وَهُو أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي الأَمْرِ بِمُجَانَبَةِ الفِتَنِ وَأَهْلِهَا.

وَلْيَتَأَمَّلِ العَاقِلُ المُنْصِفُ هَذَا الحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وهُو فِي الجَامِعِ الصَّحِيحِ، عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ، لَا تَفْتَحْهُ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ**». وَيَرْحَمُ اللهُ ابْنَ الجَوزِيِّ إِذْ يَقُولُ فِي صَيدِ خَاطِرِه: "مَنْ قَارَبَ الفِتْنَةَ بَعُدَتْ عَنْهُ السَّلَامَةُ، وَمَنِ ادَّعَى الصَّبْرَ وُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ"اهـ.

إِنَّ السَّلامَةَ مِن سَلْمى وَجارَتِها *** أَلّا تَـمُـرَّ بِـوَادٍ حَـولَ وادِيـها

وَكَمْ مِنَ القَصَصِ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ جَازَفُوا فِي خَوْضِ بِحَارِ الشُّبُهَاتِ وَهُمْ آمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَوَقَعُوا عَلَى أُمِّ رُؤُوسِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَأَنْكَرُوا مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ وَعَرَفُوا مَا كَانُوا يُنْكِرُون! وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى خَيْرٍ فَلَمْ يُحَافِظُوا عَلَيْهِ.

فَهذَا الْمُلْحِدُ الْمَلْعُونُ ابْنُ الرَّاوَنْدِيِّ الرَّيْوَنْدِيُّ، نَقَلَ الذَّهَبِيُّ فِي "السِّيَرِ" أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ حَسَنَ السِّيرَةِ، كَثِيرَ الْحَيَاءِ، ثُمَّ انْسَلَخَ مِنْ ذٰلِكَ لِأَسْبَابٍ؛ مِمَّا ذَكَرُوهُ فِي أَسْبَابِ كُفْرِهِ

وَانْسِلاخِهِ: أَنَّهُ كَانَ يُلَازِمُ الرَّافِضَةَ وَالْمَلَاحِدَةَ، فَإِذَا عُوتِبَ قَالَ: "إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ أَقْوَالَهُمْ"، ثُمَّ إِنَّهُ كَاشَفَ وَنَاظَرَ، وَأَبْرَزَ الشُّبَهَ وَالشُّكُوكَ.

فَوَقَعَ فِي الكُفْرِ وَالزَّنْدَقَة، حَتَّى إِنَّهُ أَلَّفَ لَهُمُ الدَّامِغَ؛ لِيَدْمَغَ بِهِ القُرْآنَ زعَم!

وَهَكَذَا عَبْدُاللهِ القَصِيمِيُّ كَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ، تَصَدَّى لِلْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الأَزْهَرِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، وَأَلَّفَ كُتُبًا قِيلَ فِي بَعْضِهَا: إِنَّهُ دَفَعَ بِهِ ثَمَنَ الجِنَّةِ! وَهَذِهِ مُجَازَفَةٌ وَتَأَلٍّ عَلَى الله. ثُمَّ إِنَّهُ -كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِه- كَانَتْ تَعْتَرِيهِ شُكُوكٌ تُسَخِّنُ جِسْمَهُ، وَتُطِيرُ النَّوْمَ مِنْ عَيْنِهِ.

فَكَأَنَّهُ اسْتَرْسَلَ مَعَهَا وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا وَيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْهَا؛ فَأَوْصَلَته إِلَى حَضِيضِ الكُفْرِ وَالإِلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ. وَهَكَذَا كَثِيرٌ مِمَّنْ زَلَّ أَوْ ضَلَّ أَوْ اخْتَلَّ كَانَ سَبَبُ زَلَلِهِ وَضَلَالِهِ وَاخْتِلَالِهِ= خَوْضَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَجُرْأَتَه عَلَى الخَوْضِ فِيمَا آثَرَ العُقَلَاءُ تَلَافِيهِ، وَعَدَمَ الخَوْضِ فِيهِ.

وَهَكَذَا انْظُرُوا إِلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ أَدْخَلَ التِّلْفَازَ إِلَى بَيْتِهِ لِمُتَابَعَةِ أَخْبَارِ العَالَمِ حَوْلَهُ، وَمُشَارَكَةِ المُسْلِمِينَ أَفْرَاحَهُمْ وَأَتْرَاحَهُمْ كما يَزعُمُ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ المُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، فَإِذَا بِهِ يَعْرِفُ مَا كَانَ يُنْكِرُ، وَيَتَرَدَّى مِنْ سَيِءٍ إِلَى أَسْوَأ.

فَبَعْدَ أَنْ كَانَ يُتَابِعُ المُذِيعِينَ -الرِّجَال- فَقَطْ وَيَتَجَنَّبُ النَّشَرَاتِ الَّتِي تُقَدِّمُهَا المُذِيعَاتُ، صَارَ يُتَابِعُ المُذِيعَاتِ الفَاتِنَاتِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ مُتَابَعَةَ الأَلْعَابِ وَالمُبَارَيَاتِ، ثُمَّ تُسَوِّلُ لَهُ النَّظَرَ فِي بَاقِي القَنَوَاتِ، فَتُسَلْسِلُهُ الأَفْلَامُ وَالمُسَلْسَلَاتُ، فَيُهْدِرُ أَوْقَاتًا كَانَ بِهَا ضَنِينًا، وَيَسْتَسِيغُ مُنْكَرَاتٍ كَانَ لَهَا عَدُوًّا مُبِينًا. وَالنَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبتَهَا.

وَهَكَذَا هَذِهِ الجَوَّالَاتُ الخَبِيثَة، فَكَمْ مِنْ تَقِيٍّ اشْتَرَاهَا لِيَسْتَعْمِلَهَا فِي الخَيْرِ فَاسْتَعْمَلَتْهُ فِي الشَّر! وَآخَرُ أَعْطَى امْرَأَتَهُ جَوَالًا حَدِيثًا وَمَلَأَهُ بِالبَرَامِجِ المُفِيدَةِ لَهَا وَلأَطفَالِهِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ سَيَمْنَعُهَا مِنَ الخَوضِ فِي وَحَلِ الإِنْتَرْنَتِ وَقَدْ فَتَحَ لَهَا بَابَه، وَمَدَّ لَهَا أَسْبَابَه! وَيحَكَ.. **"إِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْه"**. وَهَكَذَا مَنْ يَتَسَاهَلُ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ النِّسَاءِ بِمُرَاسَلَةِ الآخَرِ -وَلَوْ لِفَتْوَى-؛ قَد يَغْرَقُ فِي بَحْرِ العِشْقِ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ، وَلَا نَجَاةَ مِنْه.

وَكَمْ مِنْ لَمْسَةٍ أَوْ لَمَسَاتٍ، أَغْرَقَتْ صَاحِبَهَا فِي بَحْرِ الشَّهَوَاتِ، وَأَشْرَبَت قَلْبَهُ حُبَّ الإِبَاحِيَاتِ، ومَنْ فَتَحَ هَذَا البَابَ وَلَجَهُ وَعَزَّ عَلَيْهِ الخُرُوجُ مِنْه؛ فَإِنَّ إِدْمَانَهُ أَشَدُّ مِنْ إِدْمَانِ القَاتِ، أَوِ الدُّخَانِ وَالمُسْكِرَاتِ.

وَهَكَذَا عَامَّةُ حُدُودِ الله، مِنْ تَجَاوَزَهَا، أَوْ حَامَ حَوْلَ حِمَاهَا، أَوْ فَتَحَ بَابَهَا؛ بَعُدَتْ عَنْهُ السَّلَامَةُ، وَعَزَّ عَلَيْهِ تَرْكُهَا وَالنَّجَاةُ مِنْهَا؛ إِلا أَنْ يَتَدَارَكَهُ اللهُ بِنِعْمَتِهِ، وَيَمُنَّ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ.

فَاتَّقُوا اللهَ فِي دِينِكُمْ أَيُّها الكِرام؛ تَمَسَّكُوا بِهِ، وَاثْبُتُوا عَلَيْهِ، وَعَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ.

وَإِيَّاكُمْ وَالمُحَرَّمَاتِ، فَإِنَّ مَنْ فَتَحَ بَابَهَا وَلَجَه، وَمَنْ حَامَ حَوْلَ حِمَاهَا أَوْشَكَ أَنْ يَرْتَعَ فِيْهِ، وَتَذَكَّرُوا أَنَّ رِحْلَةَ الأَلْفِ مِيلٍ تَبْدَأُ بِخُطْوَة، وأَوَّلَ السَّيْلِ قَطْرَة، والجِبالَ مِنَ الحَصَى! وقَدْ «**لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهَذَا بِاعْتِبَارِ المَآلِ. فَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْثِرُوا لَذَّةَ سَاعَةٍ بِتَعَاسَةِ الأَبَد. وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالصّوَابِ، وَإِلَيْهِ المَرْجِعُ وَالمَآب، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

المَقَامَةُ الهَاتِفِيَّة

حَكَى الحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي الدَّار، إِذْ أَفْزَعَنِي صُرَاخٌ وَجُؤَار، فَتَيَمَّمْتُ جِهَةَ الصَّوْت، وفِي ظَنِّي أَنَّهُ نَدْبُ نَائِحَةٍ فِي مَوت، فَإِذَا بِهَا أُمُّ أَوْلَادِي، تَصْرُخُ وَتُنَادِي: كُلُّ النِّسَاءِ مَعَهُنَّ جَوَّالَاتٌ حَدِيثَة، وَيَسْعَينَ خَلْفَ التَحَضُّرِ بِخُطًى حَثِيثَة، إِلَّا أَنَا؛ فَبَعْلِيْ مُتَخَلِّفٌ شَدِيد، فَكَأَنَّ قَلْبَهُ مِنْ صَخْرٍ أَوْ حَدِيد، لَسْتُ دُونَ النِّسْوَانْ، وَلَا بِأَهْلِ الذِّلَّةِ وَالهَوَانِ، فَهَلْ يَشُكُّ بَعْلِي، فِيْ حُسْنِ تَرْبِيَةِ أَهْلِي، أَمْ رَأَى مِنِّي مَا يَشِينُ، وَلَا يَزِيْنُ، أَمْ يَتَّهِمُنِي بِتَدْنِيسِ عِرْضِهِ، وَتَمْكِينِ غَيْرِهِ مِنْ حَرْثِ أَرْضِهِ؟! مَعَاذَ اللهِ مِنْ هَذِهِ القَبَائِحِ وَالفَضَائِحِ، فَوَاللهِ مَا خَطَرَتْ لِي على بَال، وَلَا دَارَتْ لِي فِي خَيَال.

قَالَ الحَارِثُ: فَخَرَجْتُ مِنَ البَيْتِ كَالهَائِمِ، وَأَنَا بَيْنَ اليَقْظَانِ وَالنَّائِمِ، أُفَكِّرُ فِي كَلَامِ الحَلِيلَةِ، ذَاتِ العِشْرَةِ الجَمِيلَةِ، وَالأَخْلَاقِ النَّبِيلَة، حَتَّى هَمَمْتُ بِالأَمْرِ السَّوء، لِمَا أَصَابَنِي مِنْ الحُزْنِ وَالسَّوء.

"وَصَارَ مِنِّي القَلْبُ فِي بَلْبَالَه *** يَنْزُو كَنَزْوِ الظَّبْيِ فِي الحِبَالَهْ"

إِذْ طَلَعَ عَلِيَّ رَجُلٌ عَلَيْهِ سِيمَا الأَعْرَاب، شَخْتَ الخِلْقَةِ رَثَّ الثِّيَاب، فَلَمَّا رَأَى حَالِي، أَشْفَقَ عَلَيَّ وَرَثَى لِيْ. فَقَالَ: مَا الَّذِي أَصَابَك، وَكَادَ يُفْقِدَكِ صَوَابَك؟! فَقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَاغْرُبْ عَنْ وَجْهِي وَلَا تُعِنِّي.

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الغَضْبَانِ، ثُمَّ انْتَصَبَ انْتِصَابَ الأُفْعُوَانِ، وَذَمَّ أَهْلَ هَذَا الزَّمَانِ، لِجَزَائِهِمْ بِالإِسَاءَةِ عَلَى الإِحْسَانِ.

فَقُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الشَّيْخُ الفَانِي، عَرِّفْ عَنْ نَفْسِكَ بِلَا تَوَانِي، وَإِلا فَلَا تَلُمْنِي إِنْ أَعْرَضْتُ، وَلِنُصْحِكَ رَدَدْتُ وَرَفَضْتُ.

فَتَرَنَّحَ وَمَال، ثُمَّ أَنْشَدَ وَقَال:

أَنَـا أَبُـو زَيْـدٍ الّـذِي *** طَوَّفَ الأَرْضَ وَالبِلَادْ

وَعَـلا كُـلَّ قِـمَّـةٍ *** وتَـمَـشَّـى بِـكُـلِّ وَادْ

قَـدْ تَـرَانِي فِي غَابَةٍ *** أَوْ لَـدُنْ مَجْلِسٍ وَنَادْ

قَـدْ خَبُرْتُ جَمِيعَ مَنْ *** يَـسَكُنُ التَّلَّ وَالوِهَادْ

هَـاتِ مَـا قَدْ أَلَمَّ بِكْ *** أُعْطِكَ الرُّشْدَ وَالسَّدَادْ

فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ، أُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ، وَأَعْتَذِرُ عَمَّا بَدَرَ، ثُمَّ أَخْبَرتُهُ الخَبَرَ. فَقَالَ: وَقَعْتَ عَلَى خَيْرِ مُشَيْرٍ، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فَاطِر: ١٤]. إِنَّ النِّسَاءَ لَحْمٌ عَلَى وَضَمٍ، وَصَيْدٌ فِي غَيْرِ حَرَمٍ، فَمَنْ مَكَّنَهُنَّ مِنَ الجَوَّالَاتِ، وَأَدْخَلَ لَهُنَّ الشَّبَكَاتِ، فَقَدْ اسْتَجْلَبَ لِنَفْسِهِ العَار، وَسَلَكَ مَسْلَكًا يُخْشَى عَلَى سَالِكِهِ النَّار، فَعَنِ العُلَمَاءِ قَدْ نُقِل، أَنَّهُ مُتَوَعَّدٌ بِحَدِيثِ مَعْقِل، فَكَمْ بِسَبَبِهِ مِنْ دِمَاءٍ سُفِكَتْ، وَأَعْرَاضٍ انْتُهِكَتْ، وَأُسَرٍ شُتِّتَتْ، وَنِسَاءٍ طُلِّقَتْ، وَاسْوَدَّتْ وُجُوهٌ بَيْضَاءُ، وَأُرْغِمَتْ أُنُوفٌ شَمَّاء!

ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوُّهَ الحَزِيْن، وَقَال: تَبًّا لِهَذَا اللَّعِيْن، مَا أَصْغَرَ حَجْمَهُ، وَأَكْبَرَ جُرْمَهُ!

ثُمَّ حَدَّثَنِي بِقِصَّة، أَوْرَثَتْ صَدْرِي غُصَّة، وَقَالَ: إِنَّهَا غَيْضٌ مِنْ فَيْض، وَقَطْرَةٌ مِنْ مَطْرة.

وَهِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ ذَوِي الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَسَالِكِي سُبُلِ الفَلَاحِ، اسْتَسْلَمَ لِلْأَمْرِ الوَاقِعِ، وَمَكَّنَ أَهْلَهُ مِنْ التَّنَقُّلِ فِي المَوَاقِعِ، فَفَتَحَ لِفِتْنَتِهَا البَابَ، وَمَدَّ لَهَا الحِبَالَ وَالأَسْبَابَ، وَأَعَانَ الشَّيْطَانَ عَلَى أَهْلِهِ، فَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَلْهُو بِذَاكَ الهَاتِفِ،

إِذْ سَمِعْتْ مِنْهُ صَوْتَ هَاتِف، يُنَادِي بِصَوْتٍ حَنُونٍ، وَيَتَحَدَّثُ بِحَدِيثٍ ذِي شُجُونٍ: أَيَا مَلِكَةَ الجَمَالِ، وَيَا ذَاتَ الغُنْجِ وَالدَّلَالِ، هَلُمِّي إِلَى صَبٍّ وَلْهَان، وَالآنَ الآنْ.

فَخَضَعَتْ لَهُ خُضُوعَ العَنْزِ لِلتَّيْس، وَقَالَت: وَقَعْتَ عَلَى لَيْلاكَ يَا قَيْس، فَتَبَادَلَا كَلِمَاتِ العِشْقِ وَالغَرَام، وَغَرِقَا فِي بَحْرِ الحُبِّ وَالهُيَام، وَتَذَاكَرَا قِصَصَ العُشَّاقِ، وَتَمَاجَنَا تَمَاجُنَ الفُسَّاقِ، وَخَلَعَا جِلْبَابَ الحِشْمَةِ وَالعَفَافِ، وَتَسَرْبَلا بِسِرْبَالِ الوَقَاحَةِ وَالاسْتِخْفَافِ، فَعَبِثَا وَتَهْتَّكَا وَفَعَلا مَا بَدَا لَهُمَا؛ فَمَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا.

فَتَعَلَّقَتِ الخَبِيثَةُ بِالخَبِيث، وَسَعَتِ السَّعْيَ الحَثِيْث، لِتَعْجِيلِ الخُلْعِ أَوِ الطَّلَاقِ، وَنَادَتْ بَعْلَهَا: الفِرَاقَ الفِرَاق؛ تَصْدِيقًا مِنْهَا لِوُعُودِ عُرْقُوب، وَعُهُودِ مُخَادِعٍ كَذُوب، فَأَبَى الزَّوْجُ وَامْتَنَعَ، وَحَلَفَ بِاللّهِ لَنْ يَقَعَ.

فَمَزَّقَتِ المَرْأَةُ الثِّيَاب، وَخَمَّشَتْ بَدَنَهَا بِالأَظَافِرِ وَالأَنْيَاب، وَهَرَعَتْ مُسْرِعَةً إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا؛ فَيَا غَافِلًا كُنْ نَبِيهًا. فَقَالَتْ: أَيَرْضَى أَهْلُ العَارِ وَالنَّامُوس، وَسَادَةُ القَوْمِ وَالرُّؤوس، بِأَنْ يُهِينَ الصِّهْرُ كَرِيمَتَهُم، وَيَضْرِبَ النَّذْلُ ابْنَتَهُم!

فَأَخَذَتْ أَهْلَهَا الحَمِيَّةُ، وَقَالَوَا: المَنِيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّة، لَا عِشْنَا إِنْ عَاشَ، أَوْ نُدْخِلَهُ الإِنْعَاشَ، فَضَرَبُوهُ ضَرْبَ أَوَابِي الحَمِيْرِ، وَتَرَكُوهُ عَاجِزًا عَنِ التَّحَرُّكِ وَالمَسِير، حَتَّى كَأَنَّهُ مَفْلُوجٌ أَوْ كَسِير. فَلَمَّا رَأَى تَدَهْوُرَ الحَالِ، وَرَكِبَهُ قَهْرُ الرِّجَالِ؛ طَلَّقَهَا طَلَاقَ البَائِنِ، وَقَال: لَا أَسَفَ عَلَى خَائِن.

فَلَمَّا طَلَّقَهَا الحَلِيل، هَرَعَتْ مُسْرِعَةً إِلَى الخَلِيل، وَقَالَتْ: هَلُمَّ تَقَدَّمَ، وَلَنْ تَنْدَمَ، فَقَدْ تَرَكْتُ زَوْجِي وَبَنِيهِ؛ لأَجْلِ حَبِيبِي الَّذِي أُغْلِيه، فَقَهْقَهَ قَهْقَهَةَ المُرِيْبِ، وَقَالَ: شَيْءٌ

عَجيب! أَيَّتُهَا السَّلْفَعُ الحَمْقَاء، قَلِيلَةَ الصَّوْنِ وَالوَفَاء، خُنْتِ أَبَا عُذْرِك، وَوَالِدَ بِكْرِك، وَقَدْ قَالَ الأَوَّل: إِنَّمَا الحُبُّ لِلْحَبِيبِ الأَوَّل، وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ مِنَ الصَّالِحِين، وَلِلْغَيْبِ مِنَ الحَافِظِين، وَعَلَى عِرْضِهِ مِنَ المُحَافِظِين، فَكَيْفَ آمَنُكِ وَأَنَا عَابِثٌ مِنَ العَابِثِين! فَلا وَاللّهِ مَا عَلَيْكِ أَمَان، وَإِنَّكِ لَتَجْزِينَ بِالإِسَاءَةِ عَلَى الإِحْسَانِ، فَلَا تَطْمَعِي فِيَّ، فَلَسْتُ لَكِ وَلَسْتِ لِيْ.

لَسْتِ مُمَنَّعَةً نَوَار، إِنَّمَا أَنْتِ نَهْبٌ لِكُلِّ عَابِرٍ وَمَار، لَا تَرُدِّينَ يَدًا، وَقَدْ تَخُونِينَ اليَوْمَ أَوْ غَدًا. فَبَعْدَ نَكْثِ عَهْدِهِ، وَإِخْلَافِ وَعْدِهِ، عَادَتْ صِفْرَ اليَدَين؛ أَخْيَبَ مِنَ العَائِدِ بِخُفَّيْ حُنَيْن، وَحَالُهَا:

" فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وبَينَهُ *** سِوَى عِبْرَةٍ= كَالقَابِضِ المَاءَ بِاليَدِ "

فَأَصَابَتْهَا نَدَامَةُ الكُسَعِي، أَوِ الفَرَزْدَقِ الشَّقِي، وَلَكِنْ لَاتَ حِينَ مَنْدَم، وَلَنْ يَعُودَ مَا تَقَدّم.

ثُمَّ قَال: يَا حَار، اعْلَمْ بِأَنَّ العَارَ نَار، وَالنِّسَاءُ مُسْتَوْدَعَاتُ الأَعْرَاض، فَاحْمِهِنَّ مِنْ كُلِّ خَدْشٍ وَمِقْرَاظ، وَإِيَّاكَ وَتَمْكِينَهُنَّ مِنَ الجَوَّالَاتِ، فَإِنَّهَا تَجْلِبُ البَلَايَا وَالآفَاتِ، وَتُوقِعُ النَّاسَ فِي مَخَافَات.

"فَـحَامِ عَنْ عِرْضِكَ وَاسْتَبْقِهِ *** كُمَا يُحَامِي اللَّيْثُ عَنْ لِبْدَتَيْه"

وَامْنَعَنَّ مِنْهَا الأَهْلَ وَالأَوْلادَ، وَكُنْ حَازِمًا؛ فَهَذَا -وَاللهِ- الرُّشْدُ وَالسَّدَادُ، وَأَبْعِدهَا عَنْهُمْ حَتَّى يُجْمِعُوا الإِيَاسَ، وَيَعْقِدُوا الإِبْلاس، وَيَرَوْا أَنّ تَنَاوُلَ الشّمْسِ، وَرَدَّ الأَمْسِ، أَيْسَرُ مِنَ الوُصُولِ إِلَيْهَا، أَوِ الحُصُولِ عَلَيْهَا. وَإِنْ أَرَدْتَ المَزِيد، مِنْ بَلَايَا هَذَا الشَّيْطَانِ المَرِيْد، فَعَلَيْك بِقَنَاةِ: لَا لِلتَّمْكِين، فَإِنَّ فِيهَا الحَقَّ المُبِين.

قَالَ الحَارِثُ بْنُ هَمَّام: فَوَقَعَ كَلَامُهُ فِي قَلْبِي مَوْقِعًا، وَآلَيْتُ أَلّا أُمَكِّنَ امْرَأَتِي مِنْ جَوّالٍ وَلَا أُدْخِلَهَا مَوْقِعًا، وَلَوْ بَكَتْ حَتّى جَرَتْ فِي دُمُوعِهَا الفُلْك، أَوْ أَشْرَفَتْ مِنْ قَهْرِهَا عَلَى التّلَفِ وَالهُلْك.

"لَـنْ تَـنَالِيهِ فَـإِنْ كُـنْتِ غَضْبَى *** فَامْلَئِي وَجْهَكِ الجَمِيلَ خُدُوشًا".

زَامِلَةُ العَارِ

لَا يَكَادُ يَمُرُّ أُسْبُوعٌ إِلَّا نَسْمَعُ فِيهِ بِالمَصَائِبِ وَالنَّكَبَاتِ، وَالبَلَايَا المُخْزِيَات، الَّتِي تَلْحَقُ النِّسَاءَ وَالبَنَاتِ، بِسَبَبِ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ.

فُلَانَةٌ تَهْرُبُ مَعَ فُلان، وَفُلَانَةٌ تُكْتَشَفُ مَعَ عَلَّان، وَفُلَانَةٌ حَامِلٌ وَلَا زَوْجَ لهَا، وَأُخْرَى بِالعَرَاءِ تُلْقِي طِفْلَهَا، وَخَامِسَةٌ تُهَدَّدَ بِصُوَرِهَا فَتَسْتَجِيب، وَسَادِسَةٌ تُرَغَّبُ فَتَبِيعَ عِرْضَهَا ثَمَنًا لِذَاكَ التَّرْغِيبِ، وَسَابِعَةٌ تُظْهِرُ العُقُوقَ، وَثَامِنَةٌ تُضَيِّعُ الحُقُوقَ، وَتَاسِعَةٌ تُبْدِي الشِّقَاقَ، وَعَاشِرَةٌ تَطْلُبُ الطَّلَاقَ، وهَلُمّ جَرًّا..!

فَكَمْ هُتِّكَتْ مِنْ سُتُوْر، وَفُضِحَتْ مِنْ ذَوَاتِ الخُدُورِ، واسْوَدّتْ وُجُوهٌ بَيْضَاءُ، وَأُرْغِمَتْ أُنُوفُ شَمّاء..!

فَـكَـمْ وَكَـمْ تُـكَمْكِمْ *** مِنْ شَرِّ هَذَا المُجَرِم..؟!

فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيهِ مِنَ الْمَخَازِي *** وَضَاعِفْهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا

فَآهٍ آه.. مَا أَصْغَرَ حَجْمَهُ وَأَكْبَرَ جُرْمَه!

فَيَا مَنْ مَكّنْتَ نِسَاءَك مِنَ الجَوَّالَاتِ؛ أَوْ بِالأَصَحِّ مَكَّنْتَهَا مِنْهُنّ، وَأَدْخَلْتَ عَلَيْهِنَّ مَا يُدَمِّرُهُنّ، وَيُفسِدُ فِطَرَهُنَّ السَّلِيمَة، وَأَخْلَاقَهُنَّ المُسْتَقِيمَة؛ أَمَا تَخَافُ العَار؟! أَمَا تَخْشَى الشَّنَار؟!

العَارُ نَارٌ يَا هَذَا؛ نَارٌ تُذِيبُ القَلْبَ، وَتُحْرِقُ الكَبِدَ؛ وَهَذَا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ، وضَمِيرٌ صَاحٍ. و "مَنِ اسْتُغْضِبَ فَلَمْ يَغْضَبْ فَهُوَ حِمَارٌ". كَمَا قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهَذِهِ مَرْيَمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾[مريم:٢٣].

عِنْدَمَا خَافَتْ أَنْ يَظُنَّ بِهَا النَّاسُ ظَنَّ السَّوْءِ، وَيَتَّهِمُوهَا فِي شَرَفِهَا وَعِفَّتِهَا وَعِرْضِهَا؛ الَّذِي هُوَ أَغْلَى مَا فِي المَرْأَةِ بَعْدَ دِينِهَا.

وَهَكَذَا قَرَنَ اللهُ العَارَ بِالقَتْلِ، وَجَعَلَ السَّاعِيَ فِيهِ مِنْ المُفْسِدِين، فَقَالَ جَلَّ وَعَلا: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ المُفْسِدِين﴾. [القَصَص:٤]. أَيْ أَنَّ فِرْعَوْنَ -لَعَنَهُ اللهُ- كَانَ يَقْتُلُ الذُّكُورَ مِنْ أَوْلَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيُبْقِي إِنَاثَهُمْ أَحْيَاءً؛ لِيَسْتَخْدِمَهُنَّ وَيَمْتَهِنَهُنَّ، ثُمّ يَمْنَعُ قَوْمَهُ مِنْ الزَّوَاجِ بِهِنَّ؛ فَيَصِرْنَ بِغَايَا! وَبِاعْتِبَارِ هَذَا المَقْصِدِ انْقَلَبَ الِاسْتِحْيَاءُ مَفْسَدَةً بِمَنْزِلَةِ تَذْبِيحِ الأَبْنَاءِ!

بَلْ إِنَّ الجَاهِلِيَّ فِي جَاهِلِيَّتِهِ كَانَ يَئِدُ البُنَيَّةَ وَيَدْفِنُهَا حَيَّةً؛ خَشْيَةَ العَارِ وَالشَّنَارِ، قَالَ اللهُ عَنْهُمْ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُون﴾ [النَّحل:٥٨،٥٩]

وَهَذَا الشَّاعِرُ الجَاهِلِيُّ لَقِيطُ بْنُ يَعْمُرَ الإِيَادِيُّ؛ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُنْذِرَ قَوْمَهُ غَزْوَ كِسْرَى لَهُمْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا أَنْ يُذَكِّرَهُمْ بِغَيْرَتِهِمْ عَلَى نِسَائِهِمْ حَتَّى يَسْتَحِثَّ هَمَمَهُمْ، وَيَسْتَنْهِضَ عزَائِمَهُم؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ رَكَنُوا إِلىٰ أَنَّ كِسْرَى لَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُم، ولَنْ يُرْسِلَ جَيْشًا فِي طَلَبِهِمْ؛ بَعْدَ أَنْ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا؛ فَقَالَ:

يَـا قَوْمُ لَا تَأْمَنُوا إِنْ كُنْتُمْ غُيُرًا *** عَـلَى نِسَائِكُمُ كِسْرَى وَمَا جَمْعَا

هُـوَ الـجَلَاءُ الَّـذِي تَبْقَى مَذَلَّتُهُ *** إِنْ طَارَ طَائِرُهُمْ يَوْمًا وَإِنْ وَقَعَا

فَالعَارُ تَبْقَى مَذَلَّتُهُ مَا بَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ! وَنَحْنُ نَقُولُ لَكُم:

يَـا قَـوْمُ لَا تَأْمَنُوا إِنْ كُنْتُمُ غُيُرً *** عَـلَى نِـسَائِكُمُ الجَوَّالَ وَالشَّبَكَةْ

هُـوَ الـجَلَاءُ الَّـذِي تَـبْقَى مَذَلَّتُهُ *** إِذَا تَسَاهَلْتُمُ واصطِيدَتِ السَّمَكَةْ

ولِشَنَاعَةِ العَارِ؛ فَإِنَّ الشَّرْعَ قَدْ حَرَّمَ نِكَاحَ الزَّانِيَةِ حَتَّى تَتُوبَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً، وَأَبَاحَ نِكَاحَ اليَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ المُحصَنَةِ!

وَجَازَ فِي شَرِيعَةِ مَنْ قَبْلَنَا أَنْ يَتَزَوَّجَ الأَنْبِيَاءُ الكَافِرَاتِ، كَمَا فِي قِصَّةِ امْرَأَتَيْ نُوحٍ وَلُوطٍ، وَلَمْ يَجُزْ أَنْ تَكُونَ تَحْتَ نَبِيٍّ بَغِيٌّ قَطُّ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ المُنَفِّرَاتِ عَنْ دَعْوَتِهِمْ، وَأَقْبَحِ المُسْتَقْذَرَاتِ.

قَالَ الآلُوسِيُّ فِي رُوحِ المَعَانِي: "فَالبَغْيُ لِلزَّوْجَةِ أَشَدُّ فِي إِيرَادِ الأَنَفَةِ لِأَهْلِ العَارِ وَالنَّامُوسِ مِنَ الكُفْرِ" اهـ.

وَيَرْحَمُ اللهُ أَبَا تَمَّامٍ إِذْ يَقُولُ؛ وَاصِفًا شَنَاعَةَ العَارِ وَخَوْفَ الكِرَامِ مِنْهُ:

وَنَـفْـسٌ تَـعَافُ الـعَارَ حَـتَّى كَـأَنَّهُ *** هُوَ الكُفْرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوْ دُونَهُ الكُفْرُ!

وَالشَّافِعِيّ إِذْ يَقُولُ:

هِمَّتِيْ هِمَّةُ المُلُوكِ وَنَفْسِي *** نَفْسُ حُرٍّ تَرَى المَذَلَّةَ كُفْرَا

وَأَيُّ ذِلَّةٍ أَنْكَى مِنْ ذِلَّةِ مَنْ تَدَنَّسَ عِرْضُهُ! فَالعِرْضُ أَعَزُّ عَلَى الكِرَامِ مِنْ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ. فقَدِ اخْتَلَفَ الفُقَهَاءُ فِي جَوَازِ القِتَالِ دُونَ المَالِ، وَالجُمْهُورُ عَلَى جَوَازِهِ. قَالَ الحَافِظُ: " وَشَذَّ مَنْ أَوْجَبَهُ".

وَاخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِ الدِّفَاعِ عنِ النَّفْسِ، قَالَ النَّوَوِي: "وَفِي المُدَافَعَةِ عَنِ النَّفْسِ خِلَافٌ فِي مَذْهَبِنَا وَمَذْهَبِ غَيْرِنَا". اهـ. وَالرَّاجِحُ وُجُوبُهُ.

لَكِنَّهُمُ اتَّفَقُوا علَى وُجُوبِ القِتَالِ عَنِ الأَعْرَاضِ وَالمَحَارِمِ، فَقَالَ النَّوَوِيُّ: "وَالمُدَافَعَةُ عَنِ الحَرِيمِ وَاجِبَةٌ بِلَا خِلَافٍ". وَبِنَحْوِهِ قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – فِي الاسْتِقَامَةِ.

وَقَدْ أَهْدَرَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ غَيْرَ مَا دَمٍ فِي مَنْ وَجَدَ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِهِ فَقَتَلَهُما.

وَلِأَجْلِ صِيَانَةِ الأَعْرَاضِ شُرِعَتِ الحُدُودُ؛ كَحَدِّ الزِّنَا وَحَدِّ القَذْفِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ أَجَازَ لَهُمُ الشَّرْعُ أَنْ يَفْقَأُوا عَيْنَهُ، وَشُرِعَ الِاسْتِئْذَانُ لِهَذَا الغَرَضِ.

وَكَذَا حُرِّمَتِ الخَلْوَةُ بِالأَجْنَبِيَّةِ، وَاخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ الأَجَانِبِ، والتَّبَرُّجُ وَالبِغَاءُ وَالنَّظَرِ، وَالدُّخُولُ عَلَى النِّسَاءِ الأَجَانِبِ، وَمَسُّ يَدِ المَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ، وَخُضُوعُهَا بِالقَولُ، وَسَفَرُهَا مِنْ دُونِ مَحْرَمٍ، وَنِكَاحُهَا مِنْ دُونِ وَلِي.

وَأُمِرَ بِالحِجَابِ وَالعَفَافِ، وَحُثّ عَلَى الزَّوَاجِ، وَشُرِعَ تَعَدُّدُ الزَّوجَاتِ، وَقَرَارُ المَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا. وَالكَلَامُ يَطُولُ فِي هَذَا المَوْضُوعِ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ بَسْطِهِ.

وَالخُلَاصَةُ أَنَّ العِرْضَ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ الخَمْسِ الَّتِي "اتَّفَقَت الأُمَّةُ؛ بَلْ سَائِرُ المِلَلِ عَلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ وُضِعَتْ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا". كَمَا قَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَأَخْتِمُ بِقَوْلِ الحَرِيرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

وَإِذَا مَطْلَبٌ كَسَا حُلَّةَ العَا *** رِ فَبُعْدًا لِمَنْ يَرُومُ نَجَازَهْ

وَمَتَى اهْتَزَّ لِلدَّنَاءَةِ نِكْسٌ *** عَافَ طَبْعِي طَبْعَهُ وَاهْتِزَازَهْ

فَالمَنَايَا وَلَا الدَّنَايَا وَخَيْرٌ *** مِنْ رُكُوبِ الخَنَا رُكُوبُ الجِنَازَهْ

بَيْنَ التِّلْفَازِ والجَوَّالِ

بِـأَيِّ جَـرِيـرَةٍ وَبِـأَيِّ ذَنْـبٍ *** يُـسَـاقُ لِـحَـمْـأَةِ الـعَـارِ الـكِـرَامُ
أَبِـي هَـذَا عَـفَـافِي لَا تَـلُـمْنِي *** فَـمِـن كَـفَّـيْـكَ دَنَّـسَـهُ الـحَـرَامُ
زَرَعْـتَ بِـدَارِنَـا أَطْـبَـاقَ فِـسْـقٍ *** جَـنَـاهَـا يَـا أَبِـي سُـمٌّ وَسَـامُ
أَنَـا الـعَـذْرَاءُ يَـا أَبَـتَـاهُ أَمْـسَـتْ *** عَـلَـى الأَرْجَـاسِ يُبصِرُهَا الكِرَامُ
سِـهَـامُ الـعَـارِ تُـغْـرَسُ فِي عَـفَـافِي *** وَمَـا أَدْرَاكَ مَـا تِـلْـكَ الـسِّـهَـامُ؟!
كَـأَنَّـكَ قَـدْ جَـلَـبْـتَ لَـنَـا بَـغِـيًّا *** تُـرَاوِدُنَـا إِذَا هَـجَـعَ الـنِّـيَـامُ
تُـخَـاصِـمُـنِي عَـلَـى أَنْـقَـاضِ طُـهْـرِي *** وَفِـيكَ الـيَـوْمَ لَـوْ تَـدْرِي الخِـصَـامُ
زَرَعْـتَ الـشَّـوكَ فِـي دَرْبِـي فَـأَجْـرَى *** دَمَ الأَقْـــدَامِ وَانْـهَـدَّ الـقِـوَامُ

هَذِهِ بَعْضُ قَصِيدَةٍ قِيلَتْ قَبْلُ فِي التِّلْفَازِ والدُّشِّ!

وَقَدْ أَطْبَقَ العُلَمَاءُ عَلَى تَحْرِيمِهِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَالتَّنْفِيرِ عَنْهُ، وَذِكْرِ مَخَاطِرِهِ وَأَضْرَارِهِ، وَالإِنْكَارِ عَلَى مَنْ اقْتَنَاهُ، وَالنُّفْرَةِ مِنْهُ، وَاسْتِقْبَاحِ فِعْلِهِ! وَأُلِّفَتْ فِي ذَلِكَ الْكُتُبُ، وَسُجِّلَتْ الأَشْرِطَةُ، وَأُقِيمَتِ النَّدَوَاتُ وَالْمَبَادَرَاتُ، وَلِلْعُلَمَاءِ فِيهِ أَقْوَالٌ صَارِمَةٌ، وأَحْكَامٌ حَاسِمَة.

فَهَذَا العَلَّامَةُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ كَمَا فِي: [فَتَاوَى جُدَّة شَرِيط ۞ : ٢]: "التِّلْفَازُ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ فِي بَيْتِ الْمُسْلِمِ"اهـ. وَالْعَلَّامَةُ العُثَيْمِين -عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ- بَعْدَ أَنْ أَوْرَدَ حَدِيثَ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا إِلى النَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**ما مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَهُ رَعِيَّةً يَموتُ يَومَ يَموتُ وَهُوَ غاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلا حَرَّمَ اللَهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

ذَكَرَ أَنَّ مَنْ مَاتَ وَفِي بَيْتِهِ دُشٌّ فَقَدْ مَاتَ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ، وَهُوَ مُتَوَعَّدٌ بِهَذَا الْوَعِيدِ، وَمُهَدَّدٌ بِهَذَا التَّهْدِيدِ.

فَأَسْأَلُكُمْ بِاللهِ: أَيُّهُمَا أَشَدُّ ضَرَرًا، وَأَعْظَمُ خَطَرًا؛ عَلَى الدِّينِ وَالْعِرْضِ، هَلْ هُوَ التِّلْفَازُ وَالدُّشُّ، أَمْ هَذِهِ الْجَوَّالاتُ الْخَبِيثَةُ وَالشَّبَكَاتُ؟!

فَوَالَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ، وَبَسَطَ الْغَبْرَاءَ، وَنَصَبَ الْجِبَالَ، وَفَضَّلَ الرِّجَالَ عَلَى رَبَّاتِ الْحِجَالِ؛ أَنَّ الْجَوَّالَ أَشَدُّ خَطَرًا، وَأَعْظَمُ ضَرَرًا مِنَ التِّلْفَازِ، وَهُوَ تِلْفَازٌ وَأَلْفٌ مِنْ أَمْثَالِهِ!

قَالَ شَيْخُنَا يَحْيَى حَفِظَهُ اللهُ: "الجَوَّالُ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الدُّشِّ".

وَقَالَ الشَّيْخُ يَحْيَى أَبُو طَاهِرٍ الْآنَسِيُّ حَفِظَهُ اللهُ: "وَاللهِ لَا يُوجَدُ فِي الدُّشِّ عُشرُ مِعْشَارِ مَا يُوجَدُ فِي الْجَوَّالِ اللَّمْسِ". [يَعْنِي: مِنَ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ].

وَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ جَلِيٌّ لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ، فَلَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ، وَلَا تَنْتَطِحُ فِيهِ عَنْزَانِ.

وقَدِ اسْتَفْتَيْتُ الإِخْوَةَ الْكِرامَ فِي قَنَاتِي فَكَانَ مَنْ غَلَّبَ خَطَرَ الجَوالاتِ الخَبِيثَةِ عَلى التِلفاز أكثَرَ مِن ٩٠٪. فَهَذا الحَقُّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ.

فَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً آثَرَتِ السَّلامَةَ، ولَزِمَتِ الاسْتِقَامة، وخَالَفَتْ هَوَاهَا، وَأَطَاعَتْ مَوْلَاهَا، وَتَرَكَتِ الْجَوَّالَ، قَبْلَ أَنْ يَجُرَّ عَلَيْهَا الْوَبَالَ.

وَرَضِيَ اللهُ عَنْ رَجُلٍ أَبْصَرَ، فَتَدَارَكَ الأَمْرَ فَأَقْصَرَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَصَّرَ؛ فَإِنَّ الْجَوَّالَ أَخْطَرُ وَأَخْطَرُ.

وَتَأَمَّلُوا:

كَـأَنَّكَ قَـدْ جَلَبْتَ لَنَا بَغِيًّا *** تُـرَاوِدُنَـا إِذَا هَـجَـعَ الـنِّيـامُ

لِتَعْرِفُوا الْبَغِيَّ وَالْقَوَّادَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي يَجْلِبُ الزُّنَاةَ وَالْفُسَّاقَ لِلنِّسَاءِ إِلَى الْبُيُوتِ أَوْ يُخْرِجُهُنَّ إِلَيْهِمْ!

عُشَّاقُهم وعُشَّاقُنَا!

قَالَ بَعْضُ المُتَقَدِّمِينَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَحَبَّ الفَتَاةَ يَطُوفُ حَوْلَ دَارِهَا حَوْلًا، يَفْرَحُ أَنْ يَرَى مَنْ يَرَاهَا؛ فَإِنْ ظَفِرَ مِنْهَا بِمَجْلِسٍ تَشَاكَيَا وَتَنَاشَدَا الأَشْعَارَ.

وقَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي الرَّوْضَةِ: "وَذَكَرَ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ عَنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يُحِبُّ الفَتَاةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا بِمَجْلِسٍ تَشَاكَيَا وَتَنَاشَدَا الأَشْعَارَ. وَاليَوْمَ يُشِيرُ إِلَيْهَا وَتُشِيرُ إِلَيْهِ فَيَعِدُهَا وَتَعِدُهُ، فَإِذَا التَقَيَا لَمْ يَشْكُ حُبًّا وَلَمْ يُنْشِدْ شِعْرًا، وَقَامَ إِلَيْهَا كَأَنَّهُ أَشْهَدَ عَلَى نِكَاحِهَا أَبَا هُرَيْرَةَ!

لَمْ يَخْطُ مِنْ دَاخِلِ الدِّهْلِيزِ مُنْصَرِفًا *** إِلا وَخِلْخَالُهَا قَدْ قَارَبَ السَّاقَا ".اهـ.

قُلت: هَذَا فِي زَمَانِهِمْ فَكَيْفَ فِي زَمَانِنَا هَذَا!، يَتَعَرَّفُ الرَّجُلُ عَلَى المَرْأَةِ فِي مَوَاقِعِ التَّوَصُّلِ إِلَى المَرَامِ، فَيُغْرِيهَا بِمَعْسُولِ الكَلَامِ، وَيُغْرِقُهَا فِي بَحْرِ الحُبِّ وَالغَرَامِ، يَعِدُهَا وَيُمَنِّيهَا؛ وَمَا يَعِدُهَا إِلَّا زُورًا، وَلَا يُمَنِّيهَا إِلَّا غُرُورًا.

فَإِذَا جَرَّهَا إِلَى رِجْسِهِ، وقَضَى مِنْهَا حَاجَةً فِي نَفْسِهِ، طَارَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ الأَغْرَارِ، فَهُوَ كَالنَّحْلَةِ تَتَنَقَّلُ بَيْنَ الأَزْهَارِ.

وَالَّذِي سَهَّلَ لَهُ الفُجُورَ، هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ المَغْرُورُ، الَّذِي يَزْعُمُ الثِّقَةَ، فَكَانَ أَحْمَقَ مِنْ هَبَنَّقَة، لِأَنَّ الأَعْرَاضَ يَجِبُ الِاحْتِيَاطُ لَهَا، وَيَحْرُمُ التَّفْرِيطُ فِيهَا، كَمَا قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ فِي الحُجَّةِ فِي بَيَانِ المَحَجَّةِ: "وَمِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ التَّوَرُّعُ فِي الْمآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَنَاكِحِ، وَالتَّحَرُّزُ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْقَبَائِحِ"اهـ. فَمَا تَحَرَّزَ -حقًا- عَنِ القَبَائِحِ، وَلَا خَافَ الفَضَائِحَ، مَنْ مَكَّنَ امْرَأَتَهُ مِنْ الجَوَّالِ، وَتَنَاسَى مَا فِيهِ مِنَ الفَظَائِعِ وَالأَهْوَالِ.

أَهْدَاهَا أَخْطَرَ جَلِيسٍ، وَمَكَّنَهَا مِنْ شَرِّ أَنِيْسٍ، يُلازِمُهَا مُلَازَمَةَ الغَرِيْم، أَوْ مُلَازَمَةَ الكَلْبِ لِأَصْحَابِ الرَّقِيْم، وَرُبَّمَا تَشْحَنُ البَاقَات، وَتَدْخُلُ فِي عَلَاقَاتِ، فَتَصْطَادُهَا الشَّبَكَاتُ فِي الشَّبَكَاتِ، وَيَصِلُهَا الشَّرُّ فِي مَوَاقِعِ التَّوَاصُلَاتِ، فَحِينَهَا سَتَنْدَمُ، وَسَتَبْكِي الدَّمَ.

لِأَنَّهُ -وَاللهِ- جِهَازٌ خَطِير، وَسَفَّاحٌ مُبِيْر، مُسْرِفٌ فِي التَّخْرِيبِ وَالتَّدْمِيرِ، يَفْعَلُ مَا لَا تَفْعَلُهُ الزَّلَازِلُ وَالأَعَاصِيرُ.

جِهَازٌ عَلَى كُلِّ الفَضَائِلِ أَجْهَزَا *** وَشَـرُّ سِـلَاحٍ سَلَّهُ مُفْسِدٍ غَزَا

فَيَا مَنْ يُهِمُّهُ عِرْضُهُ، وَيَغَارُ أَنْ يُفتَرَسَ بَعْضُه، وتُفْتَرَشَ أَرْضُه؛ أَبْعِدْ نِسَاءَكَ عَنْ هَذَا الشَّيْطَانِ المَرِيْدِ، وَانْجُ سَعْدُ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيد.

أَيُعَيَّرُ صَاحِبُ الحَقِّ بِمَا يَعْتَزُّ بِهِ!

اعْلَمُوا -عَلَّمَكُمُ اللهُ- أَنَّ المُنْكَرَ إِذَا شَاعَ وَذَاعَ، وَصَارَ لَهُ حَمَلَةٌ وَأَتْبَاع؛ أَظْهَرُوهُ فِي مَظْهَرِ الحَقِّ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلَا غُبَارَ عَلَيْهِ؛ وَكَأَنَّهُ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّيْنِ بِالضَّرُورَةِ...!

فَيُصْبِحُ صَاحِبُ الحَقِّ -فِي نَظَرِهِم- هُوَ صَاحِبُ البَاطِلِ الَّذِي جَاءَ بِبِدْعٍ مِنْ القَوْلِ مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ وَلَا مَنْ سَبَقَهُمْ.

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ قَوْمَ لُوطٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ جَاءَهُمْ دَاعِيًا إِلَى خِلَافِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ البَاطِلِ قَالَوَا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾!! [النَّمْل:٥٦].

فَيُعَيَّرُ صَاحِبُ الحَقِّ بِمَا يَعْتَزُّ بِهِ مِنْ الحَقِّ الَّذِي مَعَهُ؛ يُعَيَّرُ الطَّاهِرُ بِطُهْرِهِ، وَالغَيُورُ بِغَيْرَتِهِ، وَالمُستَقِيم بِاستِقامتِه، وَالعَفِيفَةُ المُحْتَشِمَةُ بِعِفَّتِها وحِشْمَتِهَا...، وَيُوصَفُونَ بِأَبْشَعِ الأَلْفَاظِ، وَيُرْمَونَ بِكُلِّ حَجَرٍ وَمَدَر!

وَلَا يَضُرُّهُمْ ذَلِكَ؛ فَمَا هُوَ إِلَّا نُبَاحُ جِرَاء، جَرَّتْهُ الأَهْوَاءُ، فَصَارَ هَبَاءً فِي الهَوَاءِ.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرضِ﴾ [الرَّعْد:١٧].

وَلِدُعَاةِ السُّوْءِ الحَظُّ الأَوْفَر، وَالنَّصِيبُ الأَكْبَر، فِي تَقْلِيبِ الحَقَائِقِ، وَإِظْهَارِ الحُلوِ علقَمًا والعَلْقَمِ بِمَظْهَرِ الحُلْوِ الرَّائِق؛ بِفَتَاوَى الزَّيْغِ وَالتَّلْبِيس، الَّتِي سَلَكُوا فِيهَا مَسْلَكَ قُدْوَتِهِم إِبلِيس؛ حَيْثُ قَالَ؛ كما قالَ اللهُ عَنْه: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طٰهٰ:١٢٠].

وَهَكَذَا لَمّا تَسَاهَلَ النّاسُ فِي هَذِهِ الفِتْنَةِ، وَمَكَّنُوا نِسَاءَهُمْ مِنْ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ الخَبِيثَةِ؛ بَعْدَ أَنْ كَانَ هَذَا الأَمْرُ مِنْ أَعْظَمِ المُنْكَرَاتِ؛ تَجَرّأَ عَلَى تَغْيِيرِ مُنْكِرِ المُنْكَرِ الّذِي وَقَعْنَ فِيهِ...!

لَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يبرُدَ دَمِي، أو يَسْكُتَ فَمِي، أَوْ يُرفَعَ قَلَمِي؛ حَتَّى يَنْقَلِبَ الأَمْرُ رَأْسًا عَلَى عَقِب، وَيَعُودَ كَمَا كَانَ -بِإِذْنِ اللهِ- أَوْ أَفْنَى وَأَنَا أُحَاوِلُ. وَعلَيَّ أنْ أسْعَى وليسَ علَيَّ إدراكُ النَّجاحِ.

فَلَا تَسُوِّلْ لِأحدٍ نَفْسُه تَقْلِيبَ الحَقَائِقِ، وَتَغْيِيرِي بِالتَّخَلُّفِ وَالرَّجْعِيَّة. إِنِّي بِالمِرْصَادِ.

وَإِنْ يَخْلُقْ لِي الأَعْدَاءُ عَيْبًا *** فَقَوْلُ العَائِبِينَ هُوَ المَعِيبُ

الإِنْهِزَامُ!

أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ بَعْضَ كِتَابَاتِي حَوْلَ فِتْنَةِ الجَوَّالَاتِ الحَدِيثَةِ وَتَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْهَا، وَإِبْحَارِهِنَّ فِي مُحِيطِ الإِنْتَرْنِتِ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ وَلَا نَجَاةَ مِنْهُ؛ لَعَلَّهُ يَنْتَفِعُ، أَوْ يَتفكَّرُ فِي أَضْرَارِ تَسَاهُلِهِ فِي هَذِهِ الفِتْنَةِ فَيَرْجِع، أَوْ تَقَعُ سِيَاطُ الحَقِّ عَلَى مَوْضِعِ الجُرْحِ مِنْهُ فَيَنْزَجِرَ وَيَرْتَدِعَ، لَكِنَّهُ عَادَ إِلَيَّ يَائِسًا بَائِسًا عَابِسًا لِلرَّأْسِ نَاكِسًا؛ مُنْهَزِمًا أَمَامَ وَاقِعِهِ المُزْرِي، وَفِتَنِهِ الَّتِي تُغْوِي وَتُغْرِي؛ فَقَال: هَلْ معَ أَهْلِكَ جَوَّالَات...؟!

فَقُلْتُ لَهْ: لا، وإِنَّ النَّاسَ فِي بِلَادِي لَا يُمَكِّنُونَ نِسَاءَهُمْ مِنْهَا.

فقال: احْمَدُوا اللهَ. فَعَرَفْت أَنَّهُ مِنْ المُنْهَزِمِينَ لِلنِّسَاءِ وَالوَاقِعِ.

فَتفكَّرتُ قَلِيلًا؛ فَإِذَا بِشَوَاهِدَ كَثِيرَةٍ تَتَجَلَّى أَمَامِي، تُبَرْهِنُ عَلَى انْهِزَامِ كَثِيرٍ مِنْ أَبْنَاءِ الإِسْلَامِ. فَقُلْتُ مُتَسَائِلًا:

أَيُصْبِحُ الحَرَامُ حَلَالًا إِنْ وَقَعَ أَغْلَبُ النَّاسِ فِيهِ!

أَيُصَبِحُ الضَّلَالُ هُدًى إِنْ أَجْمَعَتِ الأَغْلَبِيَّةُ عَلَيْهِ!

أَيَصِيرُ الغَيُّ رُشْدًا إِنْ مَالَ الأَكْثَرُونَ إِلَيْه!

هَلِ اجْتِمَاعُ النَّاسِ عَلَى مُنْكَرٍ يُصَيِّرُهُ مَعْرُوفًا؟!

وَتَظَاهُرُهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ يُصَيِّرُهَا هَدْيًا مَأْلُوفًا؟!

وَهَلْ تَبَنِّي كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ لِمُنْكَرِ الغَرْبِ وَخَبَاثَتِه، وَانْجِرَارُهُمْ خَلْفَ تَحْدِيثِهِ وَحَدَاثَتِه، وَتَشَبُّهُهُمْ بِهِ فِي فُحْشِهِ وَدِيَاثَتِهْ؛ يُسَوِّغُ لَنَا فِعْلَهُمْ، وَأَنْ نَفْجُرَ مِثْلَهُمْ؟!

وَهَلْ بَلَغَ الأَمْرُ بِالرِّجَالِ إِلَى الرُّضُوخِ لِرَغَبَاتِ نِسَائِهِمْ وَإِنْ خَالَفَتِ الشَّرْعَ؛ بِحُجَّةِ أَنَّ هَذَا المُنْكَرَ وَقَعَتْ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ؛ بَلْ هُوَ الوَاقِعُ!

أَمْ عَلَى المَرْءِ أَنْ يُمَاشِيَ بِيئَتَهُ ومَن حولَهُ وَإِنْ تَنَازَلَ عَنْ بَعْضِ أُمُورِ الدِّيْنِ وَالغَيْرَة؟!

كَلَّا وَاللهِ؛ لاَ يَكُونُ العَيْرُ مُهْرًا لاَ يَكُونُ؛ المُهْرُ مُهْرُ.

فَلا يستَفِزَّنَّكَ فسادُ كَثِيرٍ من أهلِ زمَانِك فتصيرَ فاسِدًا .

أَلَمْ يَقُلْ نَبِيُّكَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاء**» كَمَا فِي مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَمَتَى تَذُوقُ طَعْمَ الغُرْبَةِ إِذَنْ؛ وَشُغْلُكَ الشَّاغِلُ لَك= مُمَاثَلَةُ النَّاسِ، وَمُسَايَرَةُ الوَاقِعِ!

وَمَتَى تَقْبِضُ عَلَى جَمْرِ دِيْنِكَ إِنْ وَلَجْت فِي كُلِّ فِتْنَةٍ وَخُضْت فِيهَا مَعَ الخَائِضِيْن!

يَا رَجُل، أَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْنَعَ نِسَاءَكَ مِنْ هَذِهِ الجَوَّالاَتِ الخَبِيثَةِ لِتَحْمَدَ اللهَ مَعَنَا؟!

يَا لِلْخِزِي وَيَا لِلْعَارِ! مَا أَسْرَعَ مَا انْهَزَمَ النَّاسُ فِي هَذِهِ الفِتْنَةِ، وَخَضَعُوا لِرَغَبَاتِ نِسَائِهِمْ وَهُمْ صَاغِرُونَ! وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ -تَقْرِيبًا- يَأْنَفُونَ مِنْ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنَ الهَوَاتِفِ الثَّابِتَة، أَوْ الجَوَّالاَتِ العَادِيَّةِ، فَحَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

وهَكَذا رَأَيْتُ أُنَاسًا إِنْ رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبْكَ أَجْسَامُهُمْ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ، لَهُمْ بَيْنَ النَاسِ مَكَانَةٌ عَالِيَةٌ، وقِيمَةٌ غَالِيَةٌ، يَهَابُهُمُ النَّاسُ وَيَحْتَرِمُونَهُمْ، ويَقْدِرونَ لهُم قدرَهُم؛ ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعُونَ مَنْعَ نِسَائِهِمْ مِمَا قَدْ يُدْخِلُ الشَرَّ عَلَيْهِنَّ إِلى مَضَاجِعِهِنَّ، يَرَى أَحَدُهُمْ أَضْرَارًا وَمَفَاسِدَ دَخَلَتْ عَلَى أَهْلِهِ بِسَبَبِهَا؛ ثُمَ لَا يَجْرُؤُ أَنْ يَقُولَ لِأَهْلِهِ: اتْرُكُوا هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ الْخَبِيثَةَ! تَرَاهُ يَسْبَحُ فِي خَيَالِهِ، وَيُفَكِّرُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ وَوَبَالِهِ، يَا تُرَى مَا أَقُولُ لَهَا، مِنْ أَيْنَ أَبْدَأُ وَأَيْنَ أَنْتَهِي؟! وَمَا الَّذِي سَتُجِيبُنِي بِهِ؛ هَلْ سَتَقْبَلُ أَمْ تَرْفُضُ؟!

فلَيْتَهُ يُمْضِي عَزْمَهُ وَيُصَدِّقُ هِمَّتَهُ بِفِعْلِهِ، لَكِنَّهَا -غَالِبًا- لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ حَدِيثَ نَفْسٍ لَا حَظَّ لَهُ مِنَ الأفْعَالِ! وإنَّمَا يَقِفُ أَعْجَزَ مِنْ هِلْبَاجَةٍ، أَوْ مِمَّنْ قَتَلَ الدُّخَانُ!.

أَلَا قَاتَلَهَا اللَهُ مِنْ رُجُولَةٍ، لَا سِرتُ -وَاللهِ- وَلَا رَفَعَت حَاجَتِي إِلَيَّ يدِي؛ إِنْ ذَهَبْتُ كُلَّ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ فِي سَبِيلِ مَنْعِ أَهْلِي مِنْ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ الْخَبِيثَةِ، كُونُوا رِجَالًا يَرحَمُكُمُ الله.

مَـا كُنْتُ أَرْجُو بِأَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَني *** حَتَى أَرَى النَّاسَ فِي ذُلٍّ وَفِي وَهَنِ

عَـجِبْتُ يَا قَـوْمِ! قَوَّامٌ ويَعْجَزُ عَنْ *** مَـنْعِ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالِ ذِي الْفِتَنِ!

حِيلَةٌ وَوَسِيلَةٌ، أَمْ صَلاحٌ وَفَضِيلَةٌ؟!

مِنْ عَجِيبِ مَا مَرَّ بِي؛ أَنَّ بَعْضَ الإِخْوَةِ مِنْ أَهْلِ الغَيْرَةِ وَالحَمِيَّةِ كَمَا أَحْسَبُهُم، وَمِمَّنْ يَنْتَقِدُونَ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنْ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ الخَبِيثَةِ، وَيُحَذِّرُونَ مِنْ هَذَا المُنْكَرِ الخَطِيرِ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ؛ مَعَ نِسَائِهِمْ جَوَّالَاتٌ حَدِيثَة، وَيَستَخْدِمنَ الإِنْتَرْنِتّ وَمَوَاقِعَ التَّوَاصُلِ!

مَالَكَ يَا فُلَانُ؟!، قَالَ: وَاللهِ امْرَأَتِي لَا تُرِيدُ الجَوَّال، وَتَقُولُ لِي: خُذْهُ إِنْ شِئْتَ أَوْ كَسِّرْهُ!

وَأَنْتَ مَاذَا صَنَعْت، لِمَ لَمْ تَأْخُذْهُ وتُكَسِّرْه؟!

أَخْشَىٰ -وَاللهِ- أَنْ تَكُونَ هَذِهِ حِيلَةً مِنْ حِيَلِهِنَّ، وَمَكْرًا يَمْكُرْنَهُ بِأَزْوَاجِهِنَّ المَسَاكِين؛ فَإِنَّ كَيْدَهُنَّ عَظِيمٌ. و:

مَا اسْتَعْظَمَ الإِلَهُ كَيَدَهُنَّه *** إِلاَّ لِأَنَّـهُـنَّ هُـنَّ هُـنَّه

وَتَعَلُّقُ النِّسَاءِ بِهَذِهِ الجَوَّالَاتِ الخَبِيثَةِ عَظِيمٌ جِدًّا؛ قَدْ يَكُونُ أَعْظَم مِنْ تَعَلُّقِ الوَلَدِ بِأَبِيْهِ، أَوْ الوَالِدِ بِبَنِيهِ! وَقَدْ أَكَّدَتْ بَعْضُ الدِّرَاسَاتِ أَنَّ ٧٠ بِالمِائَةِ مِنْ النِّسَاءِ يَرَيْنَ أَنَّ الجَوَّالَاتِ أَهَمُّ مِنْ أَزْوَاجِهِنّ!

وَالَّذِي أَعْتَقِدُهُ أَنَا= أَنَّ الأَصْلَ فِي النِّسَاءِ التَّمَسُّكُ بِالجَوَّالَاتِ وَعَدَمُ تَرْكِهَا إِلَّا بِحَزْمِ أَوْلِيَائِهِنَّ.

فَكَمَا أَنَّ الأَصْلَ أَنَّ المُبْتَدِعَ لَا يَتُوب، كَذَا الأَصْلُ -عِنْدنا- أَنَّ المَرْأَةَ لَا تَتْرُكُ الجَوَّالَ أَبَدًا إِلَّا إِنْ وُجِدَ الرَّجُلُ الغَيُورُ الحَازِمُ الَّذِي يَمْنَعُهَا مِنْهُ طَوْعًا أَوْ كَرْهَا. وَإِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ فَيُرَغِّبَهَا عَنْهُ، أَوْ تَحْصُلَ لَهَا مَصَائِبُ بِسَبَبِهِ تُكَرِّهُهَا إِيَّاهُ؛ مَعَ أَنَّ هَذَا الأَخِيرَ لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِه، فقد نمت إلينا أَخْبَارُ نِسَاءٍ وَقَعْنَ فِي المُوبِقَاتِ بِسَبَبِ هَذِهِ الجَوَّالَات، وَيَأْتِينَ

يَتَبَاكَيْنَ عِندَنا، وَأَنَّهُنَّ نَادِمَاتٌ وَعَازِمَاتٌ عَلَى تَرْكِ الجَوَّالَاتِ، وَنَحْنُ نزيدُ فِي تَهْوِيلِ المُصِيبَةِ، وَأَنَّ مِنْ تَمَامِ تَوْبَتِهَا؛ أَنْ تَهْجُرَ الوَسِيلَةَ الَّتِي تَجُرُّهَا إِلَى هَذِهِ المَصَائِبِ -كَمَا فِي قِصَّةِ قَاتِلِ المِائَة- وَإِلَّا فَلْتَتَوَقَّعْ أَنْ تَقَعَ فِي المَزْيِدِ.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ تَرَاهَا تَسْرَحُ وَتَمْرَحُ فِي مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ، وقَد تَابَتْ مِنْ تَوْبَتِها!

وبعْضُهُنّ يقَعْنَ فِي المُوبِقاتِ مرَّاتٍ وكَرَّاتٍ؛ ثُمَّ لا يَنْتَهِين! **فَمَا أَصْلَبَ ظُهُورَهُنَّ عَلَى الهَوَانِ، ومَا أَشَدَّ غَفْلَةَ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ!** فَالحَزْمَ الحَزْمَ يَا أخِي؛ إِيَّاكَ أَنْ تُخْدَعَ وَتَغْتَرَّ بِزُخْرُفِ القَوْلِ، ومَعسُولِ الكَلامِ.

وَإِنْ كُنَّ صَادِقَاتٍ فِي كَلَامِهِنَّ؛ فَوَاللهِ لَقَدْ أَخْطَأْتَ أَيْضًا.

ابْنَةُ الكِرَامِ أَمَانَةٌ عِنْدَك؛ فَكَيْفَ تُضَيِّعُ الأَمَانَة، وَتَسْلُكُ سَبِيلَ الغِشِّ وَالخِيَانَة، وَتَتْرُكُ فِي يَدِهَا مَا قَدْ يُدَمِّرُهَا! احْمَدِ اللهَ عَلَى هَذِهِ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ وَلَا تَكُنْ سَبَبًا فِي فَسَادِهَا.

هَذِهِ لَيْسَتْ إِمْرَةً؛ يُعْطَاهَا مَنْ لَمْ يَسْأَلْهَا وَلَمْ يَتَطَلَّعْ إِلَيهَا، هَذِهِ مُصِيبَةٌ -وَاللّهِ- وَأَيّ مُصِيبَة!

فَفِي كِلَا الحَالَيْنِ أَنْتَ مُخْطِئٌ يَا صَاحِبِي، فَإِنَّهُ يَنبغي أَنْ تُمْنَعَ جَمِيعُ النِّسَاءِ مِنَ الجَوَّالَاتِ؛ الصَّالِحَةُ وَالطَّالِحَة، الصَّغِيْرَةُ والكَبِيرةُ، المُسْتَشْرِفَةُ وَغَيْرُ المُسْتَشْرِفَةِ.

استفتِ قلبَك

إِنَّ مِن أَضْعفِ النَّاسِ بَصِيرةً رَجُلًا يُعَرِّضُ عِرْضَهُ لِفِتَنِ الإِنْتَرْنتِ بِحُجَّةِ الثِّقَةِ (العَمِيَاءِ) بِهِنَّ. لا تُغامِرْ يا أَخِي، هذا عِرْضٌ، وَهُوَ أَغْلَى مَا تَمْلِكُ بَعْدَ هذا الدِّينِ، إِنْ دُنِّسَ فلن تُنَظِّفَهُ جَمِيعُ المُنَظِّفاتِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَإِن ذَهَبَ فلن يَعُودَ.

كَـمَا ذَهَبَ الحِمَارُ بِأُمِّ عَمْرٍو*** فَلا رَجَعَتْ ولا رَجَعَ الحِمَارُ!

وَإِنَّ مُصِيبَةَ الْغَيُورِ فِي بَدَنِهِ وَمَالِهِ؛ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ إِصَابَتِهِ فِي عِرْضِهِ وأَهْلِه، وَيَهُونُ عَلَيْهِ بذلُ دَمِهِ وَمَالِهِ فِدَاءً لِعِرْضِهِ وأَهْلِه.

والْمَرْأَةُ مُسْتَودعُ عِرْضِك، ومَعَ ذَلِكَ فَهي ضَعِيفَةٌ يا أَخِي، نَاقِصَةُ عَقْلٍ وَدِينٍ، لَوْ تَمَكَّنَ أَقْبَحُ خَلْقِ اللّهِ مِنَ الوُصُولِ إِلَيْهَا وَكَلَامِهَا، وَأَعَارَتهُ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَهُوَ يَسْتَهْوِيها؛ لَهَوِيتْهُ وَمَالَتْ إِلَيْهِ، وَتَعَلَّقَتْ بِهِ، ثُمَّ تَبُوءُ أَنتَ بِالْخِزْيِ الْعَظِيمِ، وَالْعَارِ الْمُقيمِ؛ الَّذِي لَا يُغَطِّيهِ ذَيْلٌ، وَلَا يَسْتُرُهُ لَيْلٌ؛ مَا بَقِيتَ أَو بَقِيَ الْمَلَوان.

الإنترنِتُ مُحيطٌ واسِعٌ عَميقٌ لا ساحِلَ لَهُ وَلا نَجاةَ مِنهُ إِلا ما رَحِمَ رَبِّي، فَكَيفَ تُلْقي بِهَذِهِ المِسْكِينَةِ فيهِ؛ وَأَنْتَ تَرى الْغَرْقى هُنا وَهُناكَ وقد طَفَت جِيفُهُمُ المُنْتِنة عَلى سَطْحِه، لِيَتَأَفَّفَ مِنها كُلُّ غادٍ وَرائِحٍ، لَقَدْ أَبْعَدْتَ إِذ أَلْقَيْتَها فيهِ وَأَنْتَ تَرى آلَةَ السَلامَةِ تَذوبُ، وَأَدَوَاتِ النَجاةِ تَنْصَهِرُ فِي حَرِّ هذا المُحيط؛ ثُمَّ تَرْجو لَها النَجاةَ وَتَأَمَلُ السَلامَةَ!

أَلْقاهُ فِي اليمِّ مَكْتُوفًا وَقالَ لَهُ: *** إِيَّـاكَ إِيَّـاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِـالـماءِ!

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا *** إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

يَا أَخِي، كَمْ قَدْ نَصَحْتُكَ وَبَيَّنْتُ لَكَ الْمَخَاطِرَ وَالْأَضْرَارَ، فَلَمْ أَرَكَ انْتَفَعْتَ ولا اسْتَجَبْتَ، وَتَسْتَدِلُّ عَلَيَّ بِقَوْلِ فُلَانٍ وَفِعْلِ علَّانٍ! ! فَـ«**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ؛ -لَا أُحَاكِمُكَ الآنَ إِلَى غَيْرِهِ- البِرُّ مَا اطمأنّت إليه النّفسُ واطمأنّ إليه القلبُ، والإِثْمُ ما حَاكَ في النّفْسِ وتردَّد في الصّدر وإنْ أفْتَاكَ الناس أَفْتَوك**» رَوَاهُ أَحْمَدُ والدَّارِمِيُّ وحَسَّنه لِغَيرِهِ الأَلْبَانِيُّ.

أَفيَطْمَئِنُّ قَلْبُكَ وَهَذِهِ الجَوَّالَاتُ الخَبِيثَةُ فِي أَيْدِي مَحَارِمِكَ، أَمْ ثَمَّ شَيءٌ هُنَاكَ يَحُوكُ وَيَتَرَدَّدُ فِي صَدْرِكَ؟!.

قَالَ أَبُو أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا الْإِثْمُ؟ فَقَالَ: «**إِذَا حَكَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَدَعْهُ**». وَفِي رِوَايَةٍ «**إِذَا حَاكَ...**». رواهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيح وهُو فِي الجَامِعِ الصَّحِيحِ. قَالَ العُلَمَاء: "حَكَّ الشَّيْءُ فِي نَفْسِهِ أَثَّرَ فِيهَا بِالِانْقِبَاضِ وَلَمْ يَنْشَرِحْ بِهِ الصَّدْرُ وَكَانَ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ الشَّكِّ وَالرَّيبِ. وَحَاكَ أَثَّرَ فِي الصَّدْرِ حَرَجًا وَضَيْقًا وَقَلَقًا وَاضْطِرَابًا فَلَمْ يَنْشَرِحْ لَهُ الصَّدْرُ". اهـ.

وَقَدْ ذَكَرْتُ الْحَدِيثَ لِفَاضِلٍ فِي معْرِضِ كلامِنَا فِي هَذا المَوضُوعِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: مَا تَقُولُ؟!

فَقَالَ: أَحِسُّ بِأَشْيَاءَ وَلَا أَطْمَئِنُّ، لَكِنْ أَقُولُ: هَذِهِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ.

فقُلْتُ لَه: هَذا صَوْتُ الْحَقِّ فِي قَلْبِكَ، وَنِدَاءُ الفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، يَقُولُ: **يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**. وَلَوْ يَعْلَمُ أَوْلِيَاءُ الْمُؤَنْتِرَاتِ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ السَّعَادَةِ وَالرَّاحَةِ وَالِاطْمِئْنَانِ؛ لَجَالَدُونَا عَلَيْهَا بِالسِّلَاحِ! وقَدْ قَالَ بعْضُ العَامَّةِ: أَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ وَأَنَا مُرْتَاحٌ؛ لِأَنَّ فُلَانَةَ (امْرَأَتُهُ) لَيْسَ مَعَهَا جَوَّالٌ.

فَرَاجِعُوا أَنْفُسَكم، واسْتَفْتُوا قُلُوبَكُم، واعْلَمُوا أَنَّكُم مَوْقُوفونَ مَسْؤُولون يَوْمَ القِيَامَةِ.

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُون﴾ [الصَّافَّات: ٢٤].

فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الغَدِ!

بَعْضُ النَّاسِ يَسْتَهِينُ بِتَحْذِيرَاتِنَا المُتَكَرِّرة مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْمُدَمِّرَةِ وَلَا يُلْقِي لَهَا بَالاً، ثُمَّ لَا يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ إِلَّا عَلَى قَارِعَةٍ تَحُلُّ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى أَهْلِهِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ. فمَا أَحَقَّنَا وَإِيَّاهُمْ بِقَوْلِ القَائِل:

أَمَرْتُـهُمْ أَمْرِي بِـمُنْعَرَجِ الـلِّوَى *** فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الغَدِ

وَكَمْ قُلْتُ يَا قَوْمِ أَنْتُمْ عَلَى*** شَفَا جُرُفٍ مَا بِهِ مِنْ بَنَا

شَـفَا جُـرُفٍ تَـحْـتَهُ هُـوَّةٌ *** إِلَى دَرَكٍ كَـمْ بِـهِ مِنْ عَـنَا!

وَتَكْرَارُ ذَا النُّصْحِ مِنَّا لَهُمْ *** لِـنُـعْـذَرَ فِـيـهِـمْ إِلَـى رَبِّـنَا

فَـلَـمَّـا اسْـتَـهَـانُوا بِـتَـنْـبِيهِنَا *** [بُـلُوا بِـالنِّسَاءِ وَذَاقُوا العَنَا]

كَمْ نَصَحْنَا وَأَرْشَدْنَا وَحَذَّرْنَا مِنْ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنَ الجَوَّالَاتِ، وَفَتْحِ القَنَوَاتِ وَالمَجْمُوعَاتِ، وَالتَّصَدُّرِ عَلَى مَوَاقِعِ التَّوَاصُلَات، وَجَمَعْنَا عَشَرَاتِ التَّحْذِيرَاتِ لِشُيُوخِنَا الثِّقَاتِ الأَثْبَاتِ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ الأَوَّل:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا *** وَلَـكِنْ لَا حَـيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

وَلَوْ نَارًا نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ *** وَلَـكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادِ

وَالَّذِي يُحْرِقُ الفُؤَادَ، وَيَفْطِرُ الأَكْبَادَ؛ أَنْ يَقُومَ بَعْضُ مَنْ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيْهِم، وَيَثِقُونَ بِفَتَاوِيهِمْ، لِيَهْدِمَ -زَعَمَ- مَا بَنَيْنَاه، وَيَنْقُضَ مَا شَيَّدْنَاه، فَيُخَالِفَ السَّوَادَ الأَعْظَمَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالغَيْرَةِ؛ لَا سِيَّمَا فِي بِلَادِ اليَمَن، وَيُقِرَّ بِفَتَاوِيهِ أَعْيُنَ المُؤْنْتِرَاتِ والمَوتُورات بما

نَنْشُر؛ وَأَنَّهُ لَا بَأْسَ مِنْ تَمْكِينِهِنَّ مِنَ الجَوَّالَاتِ، وَفَتْحِهِنَّ للمَجْمُوعاتِ والْقَنَوَاتِ، وَأَنّ لِرَبّاتِ الحِجَالِ مَا لِلرّجَالِ فِي هَذَا المَجَالِ!

وَأَنّ اللّهَ قَدْ خَلَقَ لَنَا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا. وَنَسِيَ أَوْ تَنَاسَى أَنَّ دَرْءَ المَفَاسِدِ مُقَدَّمٌ عَلَى جَلْبِ المُصَالِحِ. "وَمِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ التَّوَرُّعُ فِي الْمآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَنَاكِحِ، وَالتَّحَرُّزُ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْقَبَائِحِ". كَمَا فِي الحُجَّةِ فِي بَيَانِ المَحَجَّةِ.

فَحَسْبُنَا اللهُ عَلَى قَصِيرِي النَّظَر، عَدِيمِي الِاعْتِبَارِ بِالمَصَائِبِ وَالعِبَرِ.

فَوَاللّهِ لَقَدْ اتّسَعَ الخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ، وَأَصْبَحَتْ كَثِيرٌ مِنْ النِّسَاءِ مِنْ الحَيَاءِ بَلَاقِع، فَخُضْنَ فِيمَا لَا يَجُوزُ لِامْرَأَةٍ الخَوْضُ فِيهِ، وَجَسَرْنَ عَلَى مَا سَلَكَ كَثِيرٌ مِنْ عُقَلَاءِ الرِّجَالِ طَرِيقَ البُعْدِ عَنْهُ وَتَلَافِيهِ.

ذُبِحَ الحَيَاءُ، وَمَاتَتْ العِفَّةُ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنْ النِّسَاءَ، وَتَجَرَّأَتْ بَعْضُ رَبَّاتِ الحِجَالِ عَلَى نُبَلَاءِ الرِّجَالِ بِلَا هَوَادَةٍ وَلَا اسْتِحْيَاءٍ، فإنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ما هَذَا الْخُنُوعُ وَالانْبِطَاحُ؟!

مِنْ عَجِيبِ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْأَسْئِلَةِ هَذِهِ الْأَيَام:

- مَا حُكْمُ مَنْعِ الزَوْجَةِ مِنَ الْجَوَّالِ؟!

- أَمَرْتُ زَوْجَتِي أَنْ تَتْرُكَ الْجَوَّالَ اللَمْسَ فَرَفَضَتْ وَقَالَتْ لَا طَاعَةَ لَكَ فِي ذَلِكَ؟!

وهَذَا النَّوعُ مِنَ الأَسْئِلَةِ كَثِيرٌ جِدًا!.

عَجِيبٌ -وَاللهِ- أَنْ نَصِلَ إِلَى هَذَا الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ الانْبِطَاحِ أَمَامَ غَزْوِ أَعْدَاءِ اللهِ وَدِينِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ! بَدَلًا مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَاسُ عَنْ حُكْمِ تَمْكِينِ النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ مِنْ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ الْخَبِيثَةِ؛ صَارُوا يَسْأَلُونَ عَنْ حُكْمِ مَنْعِهِمْ مِنْهَا! أَصْبَحَ الْأَصْلُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ= أَنَهَا حَقٌ لِكُلِ فَرْدٍ فِي الْبَيْتِ كَحَقِّهِ فِي النَّفَقَةِ، فَأَصْبَحَ لَازِمًا مِنْ لَوَازِمِ الْحَيَاةِ، وَضَرُورَةً مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الْعَيْشِ!

وَالْمُؤْسِفُ أَنَّ هَذَا الْفِكْرَ الْمُتَدَنِّيَ قَدْ أَصْبَحَ عِنْدَ بَعْضِ أَهلِ الخَيْرِ والصَّلاحِ!

بَلْ وَصَلَ الْحَالُ بِبَعضِ طَالِبَاتِ العِلمِ أَنْ تَخْجَلَ مِنْ جَوَّالِهَا الْعَادِيِّ لِأَنَّ جُلَّ مَنْ حَوْلَهَا مِنْ زَمِيلَاتِها لَدَيْهِنَّ جَوَّالَاتٌ حَدِيثَةٌ مُتَطَوِّرَةٌ!، مَعَ أَنَّ فِي كِلِيهِمَا شَرٌّ؛ ولَكِنَّ بَعْضَ الشَرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا اتَّصَلَ زَوْجُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بِهَا وَهِيَ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ طَالِبَاتِ الْعِلْمِ؛ تَخْجَلُ أَنْ تُخْرِجَ الْجَوَّالَ لِتَرُدَّ عَلَيْهِ، فَتُجِيبُهُ وَالْجَوَّالُ فِي حَقِيبَتِها!

فَانْظُرُوا إِلَى هَذِهِ الْفِطَرِ الْمَنْكُوْسَةِ، وَالْمَفَاهِيمِ الْمَعْكُوْسَةِ؛ كَيْفَ أَصْبَحَتْ فِي طَالِبَاتِ الْعِلْمِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِنَّ! فَالْأَوْلَى وَالْأَحْرَى بِالْخَجَلِ؛ هِيَ تِلْكَ الَتِي تُمسِكُ بِيَدِهَا مَا هُوَ

كَفِيلٌ بِإِفْسَادِ دِينِهَا وَدُنْيَاهَا إِنْ لم يَلطُفِ اللهُ، فَمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَلَايَا الْمُخْزِيَات، وَالْقَبَائِحِ الْمُوْبِقَات؛ إِلَا لَمْسَةٌ أَوْ لَمَسَاتٌ!

وَمَا ذَاكَ إِلَا لِضَعْفِ قِيَامِ الْوُلَاةِ، وَسُكُوتِ كَثِيرٍ مِنَ الدُّعَاةِ، عَنْ إِنْكَارِ الفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ، فَعَمَّتْ وَطَمَّتْ وَانْتَشَرَتْ، وَاسْتَفْحَلَتْ بَيْنَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ وَالدُّعَاةِ إِلَى اللَهِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ!

بَلْ وَصَلَ بِنَا الْحَالُ؛ أَنْ صَارَ الغَيُورُ عَلَى النِّسَاءِ، مِنْ هَذَا الشَرِّ وَالْبَلَاءِ= مَوْضِعَ سُخْرِيَّةٍ وَازْدِرَاءٍ، عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْفُضَلَاءِ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَوَامِّ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ!

وَإِذَا مَحَاسِنِيَ اللاَتِي أُدِلُّ بِهَا *** كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ؟!

لَكِنْ نَقُولُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

إِذَا عَيَّرَ الطَائِيَّ بِالْبُخْلِ مَادِرُ *** وَعَيَّرَ قِسًّا بِالْفَهَاهَةِ بَاقِلُ

وَقَالَ السُّهى لِلشَّمْسِ: أَنْتِ كَثِيفَةٌ *** وَقَالَ الدُّجَى لِلصُبْحِ: وَجْهُكَ حَائِلُ

فَيَا مُوتُ زُرْ إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ *** وَيَا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكِ هَازِلُ

وَمَهْمَا سَفَّهَ السُفَهَاءُ دَرْبِي *** فَحَسْبِي أَنَهُ دَرْبُ الرِشَادِ

واللهُ حسْبِي ونِعْمَ الوَكِيل.

الْحِكْمَةُ اليَمانِيَّة

فِي ظِلِّ مَعْمَعَةِ هَذِهِ السِّنِينَ الْخَدَّاعَةِ، وَالْفِتَنِ الْمُدْلَهِمَّةِ، الَتِي تَدَعُ الْحَلِيمَ حَيْرَانًا؛ سَقَطَ كَثِيرٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْإِسْلَامِ فِي وَحَلِ الْخُنُوعِ وَالتَّبَعِيَّةِ لِلْحِقَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ! فَتَلَوَّنُوا كَأَبِي بَرَاقِشَ، وَأَنْكَرُوا كَثِيرًا مِمَّا كَانُوا يَعْرِفُونَ، وَعَرَفُوا كَثِيرًا مِمَا كَانُوا يُنْكِرُونَ، فَمَا كَانَ حَرَامًا بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ؛ أَصْبَحَ الْيَوْمَ حَلَالًا زُلَالًا يُنْكَرُ عَلَى مُنْكِرِهِ! وَمَا كَانَ حَزْمًا وَصِيَانَةً؛ أَصْبَحَ تَشَدُّدًا وَتَخَلُّفًا وَرَجْعِيَّةً! فَسَقَطَ شُيُوخٌ وَدُعَاةٌ فِي هَذِهِ الْفِتَنِ وَاسْتَحَلُّوا مَا حَرَّمُوا مِنْ قَبْلُ! وَسَقَطَتْ شُعُوبٌ فِي مُسْتَنْقَعِ الرَذِيلَةِ كَانَتْ قَبْلُ رُمُوزًا لِلْفَضِيلَةِ!

وَرُغْمَ كُلِّ هَذِهِ التَنَازُلَاتِ؛ مَا زَالَتْ هُنَالِكَ ثُلَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ قَابِضَةً عَلَى جَمْرِ دِينِهَا، مُتَمَسِّكَةٌ بِكِتَابِ رَبِهَا وَسُنَّةِ نَبِيِها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى فَهْمِ سَلَفِهَا الصَّالِحِ، حَرِيصَةً عَلَى صَوْنِ الْأَعْرَاضِ.

أَضْرِبُ لَكُمْ هَذَا الْمِثَالَ لِيَتَّضِحَ الْمَقَالُ: فَقَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً -تَقْرِيبًا- كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الخَلِيجِ؛ لا سِيَّما الْمَمْلَكَةِ فِي يَقَظَةٍ عَظِيمَةٍ، وَحَذَرٍ شَدِيدٍ مِنْ أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ دَنَسِ الْكُفَّارِ وَحَقَارَتِهِمْ، فَمَثَلًا عِنْدَ ظُهُورِ الْجَوَّالَاتِ الْمُزَوَّدَةِ بِالْكَامِيرَا؛ ضَجَّ ضَجِيجُ الدُّعَاةِ، وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْتَحْذِيرِ مِنْهَا، بَلْ وَحَرَّمَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، وَأَفْتَوْا بِتَكْسِيرِهَا عَلَى مَنْ وُجِدَتْ عِنْدَهُ وَلَا ضَمَانَةَ فِيهَا وَلَا حُرْمَةَ لَهَا، وَهَكَذَا أُلِّفَتْ كُتُبٌ وَرَسَائِلُ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ شَرِّهَا: "هَاتِكُ الْأَسْتَارِ!"، "الْبَلَاءُ تُوتْ"، "احْذَرِي التِلِيفُونَ يَا فَتَاةَ الْإِسْلَامِ"، "الْبُلُوتُوثُ.. الْخَطَرُ الْمُدَمِّرُ"، "أَوْقِفُوا فَضَائِحَ البلُوتُوث"..!

وَهَكَذَا مَنَعَتِ الدَّوْلَةُ بَيْعَهَا وَشِرَاءَهَا، وَكَانَتْ تَقْبِضُ عَلَى مَنْ يُدْخِلُهَا تَهْرِيبًا!

بَيْنَمَا أَصْبَحَتِ الْآنَ أَكْثَرَ دَوْلَةٍ اسْتِخْدَامًا لِلْإِنْتَرْنِتِ؛ بِكُلِ فَخْرٍ!

وَيُسْأَلُ بَعْضُ شُيُوخِ الْخَلِيجِ عَنْ حُكْمِ مَنْعِ الْمَرْأَةِ مِنَ الْجَوَّالِ؟، "فَيَقُولُ: أَنْتَ لَدَيْكَ جَوَّالٌ أَمْ لَا؟! إِنْ كَانَ لَدَيْكَ جَوَّالٌ فَكَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تَمْنَعَهَا! فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَمْنَعَهَا وَأَنْتَ لَمْ تَمْتَنِعْ!". اهـ. وَكَأَنَّهُ نَسِيَ أَنَ الْمَرْأَةَ قَارُورَةٌ ضَعِيفَةٌ سَفِيهَةٌ نَاقِصَةُ عَقْلٍ وَدِينٍ، وَيَجِبُ سَتْرُهَا وَصَوْنُهَا! أَيْنَ ذَهَبَتْ الْفَوَارِقُ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ!

وَآخَرُ مِمَنْ يَزْعُمُونَ التَصَدِّيَ لِلْأَفْكَارِ الْغَرْبِيَّةِ وَالنِّسْوِيَّةِ يَنْصَحُ شَابًا مُقْبِلًا عَلَى الزَّوَاجِ يُرِيدُ مَنْعَ أَهْلِهِ مِنَ الْإِنْتَرْنِتِ بِعَدَمِ مَنْعِهَا مِنْهُ؛ لِأَنَهُ أَصْبَحَ شَيْئًا ضَرُورِيًّا لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ؛ حَسَبَ رَأْيِهِ الْمُنْهَزِمِ! وَغَيْرُ هَذَا كَثِيرٌ... وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

بَيْنَمَا تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مَا زَالُوا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ مِنْ تَحْرِيمِ التَّلَافُزِ وَالدُّشُوشِ وَالتَحْذِيرِ الشَّدِيدِ مِنْ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالَاتِ، وَقَدْ جَمَعْنَا قُرَابَةَ مِائَةِ فَتْوَى وَنَصِيحَةٍ صَوْتِيَّةٍ وَكِتَابِيَّةٍ لِعَشْرَاتِ الْمَشَايِخِ وَالدُّعَاةِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْيَمَنِ، وَعَلَى رَأْسِ هَؤُلَاءِ؛ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ الْمُبَجَّلُ النَّاصِحُ الْأَمِينُ أَبُو عَبْدِالرَحْمَنِ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْحَجُورِيُّ حَفِظَهُ اللهُ وَرَعَاهُ؛ فَهُوَ مِنْ أَشَدِّ النَاسِ بُعْدًا عَنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَتَحْذِيرًا مِنْهَا. فَهُوَ لَا يَسْتَخْدِمُهَا وَلَا يُمَكِّنُ أَهْلَهُ مِنْهَا، وَيُشَدِّد فِي تَحْذِيرِ النَاسِ مِنْهَا؛ لَا سِيَّمَا النِسَاءِ.

فَنَأْمَلُ مِنْ بَقِيَّةِ إِخْوَانِنَا -لَا سِيَّمَا طُلَّابِ الْعِلْمِ- الَّذِينَ مَا زَالُوا فِي سَكْرَةِ التَبَعِيَّةِ يَعْمَهُونَ، أَنْ يَسْتَيْقِظُوا مِنْ سِنَتِهِمْ، وَيَنْتَبِهُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ، فَيَسْتَجِيبُوا لِنُصْحِ النَّاصِحِينَ فِي الْحَذَرِ مِنْ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ الْخَبِيثَةِ، وَعَدَمِ تَمْكِينِ النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ مِنْهَا لِأَيِّ سَبَبٍ وَعُذْرٍ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ تُجَازِفَ لِأَجْلِهِ. وَهَكَذَا نَأْمَلُ مِنْ إِخْوَانِنَا فِي بَقِيَّةِ الْبُلْدَانِ أَنْ يَسْمَعُوا لِمَنْ

يُنْذِرُ الْخَسَارَ وَالْإِفْلَاسَ، وَإِيَاهُمْ وَمَنْ يَقُولُ لَا بَاسَ لَا بَاسَ، وَأَنْ يَقْبِضُوا عَلَى جَمْرِ دِينِهِمْ بِقُوَّةٍ، وَيَسْتَشْعِرُوا فَضْلَ الْغُرْبَةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَيَحْتَسِبُوا أَجْرَهَا.

الجَوَّالاتُ وَالطَّلاقُ

سَمِعْتُ بَعْضَ الدُّعَاةِ فِي خَارِجِ بِلَادِنَا هَذِهِ يَذْكُرُ عَنْ بَعْضِ قُضَاةِ الْمَحَاكِمِ أَنَّ قُرَابَةَ ٩٠٪ مِنْ حَالَاتِ الطَّلَاقِ؛ سَبَبُهَا الْجَوَّالاتُ!

وَهَذَا الْكَلَامُ لَا يُسْتَبْعَدُ، بَلْ هُوَ وَاقِعٌ مَعَاشٌ مَحْسُوسٌ، وَعِنْدَ المَحَاكِمِ وَالقُضَاةِ الخَبَرُ اليَقِينُ.

وكَمْ قَدْ سَمِعْنَا وَسَمِعْتُمْ مِنْ قِصَصِ الطَّلَاقِ وَالْفِرَاقِ وَالشِّقَاقِ! وَالسَّبَبُ الْجَوَّالُ.

وَدَوَاعِي الطَّلَاقِ بِسَبَبِ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ الْحَدِيثَةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا وَاللهِ:

فَقَدْ يَقَعُ لِانْشِغَالِ الْمَرْأَةِ عَنْ زَوْجِهَا وَأَوْلَادِهَا بِالْجَوَّالِ؛ فَتُضَيِّعَ حُقُوقَهُمْ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى طَلَاقِهَا؛ لا سِيَّما وقَدْ صَارَ الْجَوَّالُ غَايَةَ مُنَاهَا، وَمُنْتَهَى هَوَاهَا، تُؤْثِرُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي حَيَاتِهَا مِنْ أَهْلٍ وَأَكْلٍ وَنَحْوِهِ؛ إِيثَارَ الْأَعْرَابِيِّ فَرَسَهُ بِاللَّبَنِ!، وَقَدْ أَكَّدَتْ بَعْضُ الدِّرَاسَاتِ أَنَّ ٧٠ ٪ مِنْ النِّسَاءِ يَرَيْنَ أَنَّ الْجَوَّالَاتِ أَهَمُّ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ!

أَوْ يَصْطَادُهَا ذِئْبٌ وَيُوقِعُهَا فِي حَبَائِلِهِ؛ فَمَا إِنْ يَكْتَشِفَهَا زَوْجُهَا إِلَّا وَتَثُورُ حَمِيَّتُهُ؛ فَيُطَلِّقُهَا، وَإِنْ كَانَ قَبْلُ مِنَ الْمُفَرِّطِينَ.

ويَعِدُهَا ذَاكَ بِالزَّوَاجِ مِمَّا يَجْعَلُهَا تَطْلُبُ الطَّلَاقَ مِنْ زَوْجِهَا؛ فَتُضَيِّعُ رَأْسَ الْمَالِ بِسَبَبِ رِبْحٍ مَوْهُومٍ.

وَهَكَذَا تَتَعَرَّفُ الْمَرْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَوَاقِعِ -وهِيَ أَوْكَارٌ لِلتَّخْبِيبِ- عَلَى بَعْضِ النِّسَاءِ النَّوَاشِزِ والْمُخَبِّبَاتِ -وَمَا أَكْثَرَهُنَّ لَا كَثَّرَهُنَّ اللهُ- فَمَا تَدْرِي -أَنْتَ- إِلَّا وَقَدْ أَبْدَتِ الْعُقُوقَ بِزَعْمِ الْمُطَالَبَةِ بِالْحُقُوقِ! فَمَصِيرُهَا الطَّلَاقُ؛ حَتْمًا.

وَمَا مِنْ شَكٍّ أَنَّهَا سَتَرَى فِي هَذِهِ الْمَوَاقِعِ مَنْ هُوَ أَجْمَلُ مِنْ زَوْجِهَا وَأَغْنَى وَأَلْطَفُ وَأَشْهَرُ وَأَرْجَلُ، وَكُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ، وَأَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَه، وَالشَّيْطَانُ يُرَغِّبُ وَيُزَيِّنُ.

فَتَسُوءُ عَلَاقَتُهَا بِزَوْجِهَا، وَرُبَّمَا أَهْمَلَتْهُ وَضَيَّعَتْ حُقُوقَهُ؛ وَالطَّلَاقُ هُوَ الْمَصِيرُ.

فَكَمْ وَكَمْ سَتُعَدِّدُ مِنْ دَوَاعِي الطَّلَاقِ بِسَبَبِ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ الْخَبِيثَةِ!

وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ هَذَا وَسَمِعْنَا شَيْئًا كَثِيرًا. وَالْمَسْؤُولُ عَنْ جُلِّ هَذَا؛ هُوَ ذَاكَ الزَّوْجُ الْمَغْرُورُ الَّذِي أَعْطَاهَا مَا يُفْسِدُهَا عَلَيْهِ.

سِنَةُ الغَفْلَةِ وَحِجَابُ الثِّقَةِ

أَيُّهَا السَّادِرُ فِي سَهْوِهِ وغَفلَتِهِ، المُمَكِّنُ نِسَاءَهُ مِنْ الجَوَّالَاتِ الخَبِيثَةِ بِزَعْمِ أَمْنِهِ وَثِقَتِهِ، اعلَمْ أَنَّكَ سَلَكَتَ طَرِيقًا مُذَلِّلًا إِلَى الخِزيِ وَالعارِ، وَرُبَّما سلكَتْ بِكَ سَبِيلَ النَّارِ، لِأَنَّكَ راعٍ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِكَ، وَالغَاشُّ لِرَعِيَّتِهِ لَا يَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ.

فالنِّسَاءُ ضَعِيفَاتٌ، نَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِينٍ بِشَهادَةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحَاجَتُهُنَّ إِلَى الرِّعَايَةِ وَالْحِفَاظِ عَلَيْهِنَّ أَشَدُّ مِن حَاجَةِ الأَطْفَالِ كَمَا يَقُولُ العُلَمَاءُ؛ وَيَشْهَدُ لِذا الوَاقِعُ؛ وَهُوَ شَاهِدٌ عَدْلٌ.

إِنِّي نَذِيرٌ لَكَ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ، نَذِيرٌ لَكَ مِن عَارٍ قَد يُنكِّسُ رَأْسَكَ، وَيُسَوِّدُ وَجْهَكَ، وَيُسْقِطُ مَكانَتَكَ، وَيُذِلُّكَ عِندَ أَقْرانِكَ بَلْ وَعِندَ مَنْ دُونَكَ!

النِّسَاءُ قَوَارِيرُ، وَتَعْلَمُ ضَعْفَ القَوَارِيرِ، وأَنَّها تَنْكَسِرُ عِنْدَ أَوَّلِ سَقْطَةٍ! خَافَ نَبِيُّكَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَيهِنّ مِن حَادٍ يَحْدُو الإِبِلَ بِصَوتٍ مُجَرَّدٍ، أَفَتَأْمَنُ أَنتَ عَلَى نِسَائِكَ وَسطَ هَذَا الْبَحرِ الْخِضَمِّ مِن الفِتَنِ؟!، فإِنَّهُنَّ فِي بَحرٍ لا سَاحِلَ لَهُ وَلا نَجاةَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ.

إِنَّهُنَّ غَنَمٌ ضَعِيفَةٌ فِي أَرْضٍ مَسْبَعَةٍ، ومَا ثَمَّ راعٍ يَقِظ!

وَمَن رَعَى غَنَمًا فِي أَرْضِ مَسْبَعَةٍ *** وَنَـامَ عَـنْهَا؛ تَوَلَّى رَعْيَها الأَسَدُ

هَذَا الْعَصْرُ لا يَحْتَمِلُ الْغَفْلَةَ فَاسْتَيْقِظْ، وَلَا تَصُدَّنَّكَ الثِّقَةُ عَنْ الحَزْمِ وَتَمْنَعَكَ مِنْهُ، وَتَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ فإِنَّ الثِّقَةَ الزَّائِدَةَ حِجَابٌ كَثِيفٌ عَنْ رؤيَةِ الحَقَائِقِ.

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ جَمْرٍ *** وَأَخْـشَى أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ

فَـإِنَّ الـنَّارَ بِـالْعُوْدَيْـنِ تُـذْكَـى *** وَإِنَّ الـحَرْبَ مَـبْدَؤُهَا كَلامُ

وَغِـرَّةُ مَـرَّةٍ مِـن فِـعْلِ غِـرٍّ *** وَغِـرَّةُ مَـرَّتَيْنِ فِـعَالُ مُـوقِ

وَمَن لَم يَتَّقِ الضَّحْضَاحَ زَلَّت *** بِهِ قَدَمَاهُ فِي الْبَحْرِ الْعَمِيقِ

وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرٌ ثُمَّ يَنهَمِرُ.

فَإِلَامَ هَذِه الْغَفْلَةُ، وَحَتَّامَ هَذَا الْعَمَى، وَعَلَامَ كُلُّ هَذِه المُجازَفَة؟! أَلَمْ تُوقِظْكَ قَوَارِعُ الدَّهْرِ، أَلَمْ تُنَبِّهْكَ صَرَخَاتُ الحَسْرَةِ وَالقَهْرِ!، أَلَيْسَ لَكَ فِي مَنْ ومَا حَوْلَكَ عِبْرَةً! كَفَاكَ نَوْمًا يَا هَذَا؛

قَـدْ نُمْتَ مَا لَم يَنْمْ أَهْلُ الرَّقِيمِ فَقُمْ *** فَـوَالَّذِي عَـزَّ قَـدْ أَسْرَفْتَ إِغْـمَاءَ

يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الـدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ *** إِنْ كُنتَ فِـي سِنَةٍ فَالْدَّهْرُ يَقْظَانُ

فَآهٍ آه..

فِي زَمَانِ الصُّقُورِ صِرْنَا حَمَامًا *** كَيْفَ يَحْيا مَعَ الصُّقُورِ الحَمَامُ

وَقَعَ السَّقْفُ يَا صَنَادِيدَ قَـوْمِي *** أَوَصَـاحُونَ أَنـتُمُ أَمْ نِـيَامُ؟!

أَنتَ الْخَاسِرُ أَوَّلًا وَأَخِيرًا إِن لَم يَلْطُفِ اللهُ وَيَرْحَمْ، فواللهِ وَبِاللهِ وَتَاللهِ لَيَندَمَنَّ أُنَاسٌ فَرَّطُوا وَلَم يَسْمَعُوا نُصْحَ النَّاصِحِينَ فِي تَرْكِ مَا يَشِينُ.

فاسْتَمِعْ -يَا هَذَا- لِمَن يُنذرُ الإِفْلاسَ وَالإِبْلاسَ، وَإِيَّاكَ ومَن يَقُولُ: لا بَاسَ لا بَاسَ؛ فَالْوِقَايَةُ خَيْرٌ مِنَ العِلاجِ، وأكثرُ مَأْتَى المَرْءِ مِنْ مُطْمَأَنِّهِ، والعَاقِلُ البَصِيرُ: مَن يَرَى الفِتَنَ مُقْبِلَةً فَيُعِدُّ لَهَا العُدَّةَ.

فَإِنْ أَبَيْتَ فَجَهِّزْ -احْتِيَاطًا- لِسُمْعَتِكَ وَعِرْضِكَ أَكْفَانًا سُوْدًا، وانْتَظِر العَارَ انْتِظَارَكَ المَوتَ، فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنْهُ نَجَاءٌ! إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ، وَلَا تَأْمَنَنَّ أَنْ يَكُونَ اليَوْمَ بِدَارِكَ مَا كَانَ

فِي الأمِسِ بِدَارِ جَارِكَ، فَإِنْ جَاوَزَكَ اليَوْمَ إِلَى غَيْرِكَ فَقَدْ يَتَجَاوَزُ غَيْرُكَ إِلَيْكَ غَدًا، وَاضْرَعْ إِلَى اللهِ بِدُعَاءِ الاستِصْحَاءِ؛ اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا.

وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِن قَبِلْتَ نَصِيحَتِي *** وَالـنُّصحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

الحَزْم

واللهِ إنَّ بَعضَ الكُفَّارِ فَضْلًا عَنِ المُسْلِمِينَ يَعْلَمُونَ خَطَرَ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ، لَا سِيَّمَا عَلَى النِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ. وَلَكِنْ نَظْرَتُهُمْ دُنْيَوِيَّةٌ بِحَتَة، فَلَا يُهِمُّهُمْ دِينٌ وَلَا عِرْضٌ!

لِذَا فَإِنَّهُمْ حَرِيصُونَ عَلَى مَنْعِ أَوْلَادِهِمْ مِنْهَا قَبْلَ بُلُوغِهِمِ السِّنَّ القَانُونِيَّ (١٨ سَنَةً)، وَهُوَ سِنُّ خُرُوجِهِمْ مِنَ البَيْتِ. كَمَا أَخْبَرَنَا بَعْضُ الإِخْوَةِ الَّذِينَ يُقِيمُونَ هُنَاكَ.

وَمَا زِلْتُ أَتَذَكَّرُ تِلْكَ المُرَبِّيَةَ الَّتِي تُرَبِّي الطِّفْلَ فِي مُسَلْسَلِ "توم وجيري" وَكَيْفَ أَنَّهَا تَنْشَغِلُ بِذَاكَ الهَاتِفِ السِّلْكِيِّ عَنِ الطِّفْلِ، وَلَا تَهْتَمُّ بِهِ، وَلَا تَدْرِي عَنْهُ شَيْئًا وَهِيَ مُؤْتَمَنَةٌ عَلَيْهِ! كُلُّهُ بِسَبَبِ انْشِغَالِهَا بِالهَاتَفِ السِّلْكِيِّ؛ فَكَيْفَ بِالجَوَالَاتِ الحَدِيثَةِ الخَبِيثَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ المَوَاقِعِ وَالمُلْهِيَاتِ!

وَهَكَذَا فِي بَعْضِ الحَلَقَاتِ الهِنْدِيَّةِ يُظْهِرُونَ رَجُلًا لَهُ طِفْلٌ وَابْنَةٌ شَابَّةٌ، وَكَانَتْ هَذِهِ البِنْتُ تَعْتَنِي بِأَخِيهَا فِي مَأْكَلِهِ وَمَلْبَسِهِ وَدِرَاسَتِهِ.. فَكَانَ فِي أَحْسَنِ حَالٍ، وَيَحْصُلُ عَلَى عَلَامَاتٍ جَيِّدَةٍ فِي دِرَاسَتِهِ. فَلَمَّا أَعْطَى الوَالِدُ ابْنَتَهُ جَوَّالًا انْشَغَلَتْ بِهِ، وَنَبَذَتْ أَخَاهَا نَبْذَ الحِذَاءِ المُرَقَّعِ، فَتَدَهْوَرَتْ حَالَتُهُ، وَصَارَتْ عَلَامَتُهُ ضَعِيفَةً فِي دِرَاسَتِهِ، وَلَمْ تَأْبَهْ بِأَبِيهَا، وَأَقْبَلَتْ عَلَى المُرَاسَلَاتِ وَالأَغَانِي وَالرَّقْصِ إِلَخْ.

وهَذَا (أَبُو الْهَوَاتِفِ) مَارْتِن كُوبِر مُخْتَرِعُ أَوَّلِ هَاتِفٍ مَحْمُولٍ، يَتَعَجَّبُ مِنْ إِدْمَانِ النَّاسِ لَهُ، وَإِهْدَارِ الْوَقْتِ عَلَيْهِ! وَيَدْعُو النَّاسَ لِأَنْ يَتْرُكُوهُ وَيَعِيشُوا حَيَاتَهُمْ.

يَقُولُ إِنَّهُ يَسْتَخْدِمُهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ٥٪ مِنْ وَقْتِهِ.

وَيَقُولُ: "تَصْدِمُنِي رُؤْيَةُ النَّاسِ يَعْبُرُونَ الشَّارِعَ وَيَنْظُرُونَ إِلَى هَوَاتِفِهِمُ الْجَوَّالَةِ. لَقَدْ فَقَدُوا عُقُولَهُمْ... عِنْدَمَا تَدْهَسُ السَّيَّارَاتُ بَعْضَ الْأَشْخَاصِ، سَيَفْهَمُونَ ذَلِكَ".

بَلْ إِنَّ طَائِفَةَ الحَرِيدِيمَ مِنَ اليَهُودِ وَالأَمِيشَ مِنَ النَّصَارَى يُحَرِّمُونَ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ الذَّكِيَّةَ! وَيَحْظِرُونَ اسْتِخْدَامَهَا.

فَلَا يَكُنْ هَؤُلَاءِ أَكْثَرَ وَعْيًا مِنْكُمْ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، فَخَطَرُ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ لَيْسَ عَلَى الدِّينِ وَالعِرْضِ فَقَطْ؛ مَعَ أَنَّهُ كَافٍ وَاللهِ، بَلْ عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالأَعْرَاضِ وَالعَلَاقَاتِ وسائِرِ أُمُورِ الحَيَاةِ! فَغَالِبًا مَا تَنْشَغِلُ المُؤَنْتِرَةُ عَنْ تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا بِالجَوَّالِ فَلَا تَدْرِي أَيْنَ هُوَ وَلَا كَيْفَ هُوَ! وَكُلَّمَا بَكَى طِفْلُهَا أَوْ أَزْعَجَهَا أَعْطَتْهُ الجَوَّالَ! فَيُدْمِنُونَ عَلَى هَذِهِ الجَوَّالَاتِ، وَالوَاقِعُ يَشْهَدُ؛ فَإِنَّ أَوْلَادَ اللَّوَاتِي مَعَهُنَّ جَوَالَاتٌ أَشَدُّ إِدْمَانًا وَتَعَلُّقًا بِهَذِهِ الجَوَّالَاتِ الخَبِيثَةِ مِنْ أَوْلَادِ غَيْرِهِنَّ. فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَوْلَادِكُمْ، لَا تُفْسِدُوهُمْ بِأَيْدِيكُمْ.

وَهَكَذَا تَنْشَغِلُ بِهِ عَنْ خِدْمَةِ زَوْجِهَا وَأَوْلَادِهَا، فَتَرَاهَا كَثِيرًا مَا تَطْلُبُ أَكْلًا جَاهِزًا، وَإِذَا طَبَخَتْ لَمْ تُتْقِنْ طَبْخَهَا بِسَبَبِ انْشِغَالِهَا بِالجَوَّالِ حِسِّيًا أَوْ مَعْنَوِيًّا، ثُمَّ تَكُونُ العَاقِبَةُ الطَّلَاقُ أَوِ الشِّقَاقُ بَيْنَ الأُسَرِ فَمَا لِعُقُولِ النَّاسِ!

هَذَا وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ المُبَادَرَاتِ هُنَا وَهُنَاكَ مِنَ المُسْلِمِينَ لِمَنْعِ النِّسَاءِ مِنْ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ الخَبِيثَةِ، فَفِي مَقَالٍ مَنْشُورٍ فِي الشَّبَكَةِ بِعُنْوَانِ: (المَرْأَةُ وَالمُوبَايِلُ.. عَلَاقَةٌ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ): "قَامَتْ إِحْدَى قُرَى الهِنْدِ فِي وِلَايَةِ بِيهَارَ بِفَرْضِ غَرَامَةٍ بِقِيمَةِ ١٨٢ دُولَارًا عَلَى أَيَّةِ فَتَاةٍ يُلْقَى القَبْضُ عَلَيْهَا وَهِيَ تَسْتَخْدِمُ الهَاتِفَ الجَوَّالَ. بَيْنَمَا فُرِضَتْ غَرَامَةٌ بِقِيمَةِ ٣٦ دُولَارًا عَلَى النِّسَاءِ المُتَزَوِّجَاتِ. وَقَالَ المَسْؤُولُ المَحَلِّيُّ فِي القَرْيَةِ مُحَمَّدُ

مَنْظُور عَلَّام: "إِنَّ الهَوَاتِفَ الجَوَّالَةَ بَاتَتْ تُشَكِّلُ مُخَاطَرَةً أَخْلَاقِيَّةً، فَهِيَ قَدْ أَسْهَمَتْ فِي ازْدِيَادِ العَلَاقَاتِ العَاطِفِيَّةِ وَحَالَاتِ الهُرُوبِ لِلزَّوَاجِ"اهـ.

وَهَكَذَا فِي قَبِيلَةِ غَضْرَانَ (إِحْدَى قَبَائِلِ بَنِي حُشَيْشٍ) فِي صَنْعَاءَ وَقَّعُوا اتِّفَاقِيَّةً فِيهَا بُنُودٌ... أَوَّلُهَا: (يُمْنَعُ مَنْعًا بَاتًّا إِعْطَاءُ أَيِّ امْرَأَةٍ تِلفُونَ لَمْسٍ وَمَنْ ثَبَتَ أَنَّ مَعَ زَوْجَتِهِ أَوِ ابْنَتِهِ أَوْ مَنْ لَهُ وِلَايَةُ الأَمْرِ عَلَيْهَا تِلفُونُ لَمْسٍ فَعَلَيْهِ مِائَتَا أَلْفِ رِيَالٍ وَرَأْسُ بَقَرٍ... وَمَنْ خَالَفَ.. لَا هُوَ مِنْ غَضْرَانَ وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَى غَضْرَانَ لَا مِنْ قَرِيبٍ وَلَا مِنْ بَعِيدٍ).

وَهَكَذَا أَهْلُ قَرْيَةِ العَسَادِيِّ فِي وُصَابِ العَالِي فِي ذَمَارَ وَقَّعُوا وَثِيقَةً مُقَارِبَةً، وَمِمَّا جَاءَ فِيهَا: «يُمْنَعُ مَنْعًا بَاتًّا اسْتِخْدَامُ الشَّبَكَاتِ (الوَاي فاي) فِي القَرْيَةِ وَضَوَاحِيهَا، وَأَيُّ شَبَكَةٍ تُخَالِفُ تُصَادَرُ كُلُّ مُمْتَلَكَاتِهَا مِنْ قِبَلِ أَيِّ شَخْصٍ فِي القَرْيَةِ، عَاقِلٍ أَوْ شَيْخٍ أَوْ أَمِينٍ أَوْ أَمْنِيٍّ. وفيها: يُمْنَعُ عَلَى النِّسَاءِ حَمْلُ وَاسْتِخْدَامُ الجَوَّالَاتِ اللَّمْسِ، وَمَنْ يُخَالِفُ يُغَرَّمُ وَلِيُّهَا مِلْيُونَ رِيَالٍ يَمَنِيٍّ فِي وَقْتِهِ. وفيها: يُمْنَعُ حَمْلُ وَاسْتِخْدَامُ جَوَّالَاتِ اللَّمْسِ عَلَى الأَطْفَالِ مَا دُونَ سِنِّ الخَامِسَةَ عَشْرة، وَمَنْ يُخَالِفُ يُصَادَرُ الجَوَّالُ مَعَ تَغْرِيمِ المُخَالِفِ مَبْلَغَ مِائَتَيْ أَلْفِ رِيَالٍ»

وَهَكَذَا فِي بَعْضِ المَرَاكِزِ العِلْمِيَّةِ تَمَّ مَنْعُ العَازِبَاتِ مِنَ الجَوَّالَاتِ الحَدِيثَةِ مُطْلَقًا، وَمُنِعَتِ المُتَزَوِّجَاتُ مِنِ اسْتِخْدَامِ الإِنْتِرْنِتِ وَجَمِيعِ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ، وَمَنِ اضْطُرَّتْ لِلْوَاتسِ لِمُرَاسَلَةِ أَهْلِهَا مَثَلًا فَمِنْ جَوَّالِ زَوْجِهَا. فَهَذِهِ خُطُوَاتٌ حَسَنَةٌ بِالجُمْلَةِ، وَلَا يَضِيرُهَا اخْتِلَافُنَا مَعَ أَصْحَابِهَا، ونَحْنُ أَوْلَى بِالحَزْمِ مِنْهُم.

بلِ هُناكَ كِتابٌ اسْمُهُ (مَوْقِفُ الغُرَباءِ مِنَ الشَّاشَةِ الغَبْراء) لأحَدِ الإخْوَةِ الكِرامِ في مِصرَ، خَلَصَ فيهِ صَاحِبُهُ إلى تَحْرِيمِ اسْتِخْدامِ هذِهِ الجَوّالاتِ الحَديثَةِ إلّا لِضَرورَةٍ، والضَرورَةُ تُقَدَّرُ بِقَدَرِها.

فَأَفِيقُوا أَيُّهَا النَّائِمُونَ، وَانْتَبِهُوا أَيُّهَا الغَافِلُونَ، مَنْ أُصِيبَ بِهذِهِ الجَوَّالَاتِ فِي نَفْسِهِ أَوْ أَهْلِهِ فَلْيَحْزِمْ؛ فَإِنَّ المُؤْمِنَ لا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، وَمَنْ سَلَّمَهُ اللهُ إِلَى الآنَ -وَلَنْ يَسْلَمَ مُؤَنْتِرٌ!- فَلْيَخَفْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَى هذِهِ الهَوَاتِفِ وَلا يَأْمَنْ **فَإِنَّ سَبِيلَهُ وَسَبِيلَهُمْ وَاحِدٌ!**

قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إِنَّ خَوْفَكَ حَتَّى تَلْقَى الأَمْنَ خَيْرٌ مِنْ أَمْنِكَ حَتَّى تَلْقَى الخَوْفَ"اهـ.

إِذَا كَانَ رُعْبِي يُورِثُ الأَمْنَ فَهُوَ لِي * أَحَبُّ مِنَ الأَمْنِ الَّذِي يُورِثُ الرُّعْبَا**

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الدَّفْعَ أَسْهَلُ مِنَ الرَّفْعِ، والْوِقَايَةُ خَيْرٌ مِنَ العِلاجِ، "وَمِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ التَّوَرُّعُ فِي الْمآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَنَاكِحِ، وَالتَّحَرُّزُ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْقَبَائِحِ". كَمَا قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ فِي الحُجَّة. وقَالَ الشَّاطِبِيُّ: "**الشَّرِيعَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الاحْتِيَاطِ وَالأَخْذِ بِالحَزْمِ، وَالتَّحَرُّزِ مِمَّا عَسَى أَنْ يَكُونَ طَرِيقًا إِلَى المَفْسَدَةِ**".

رِسَالَةٌ إِلَى مُغتَرِبٍ

"شَابٌّ يَذْهَبُ إِلَى زَوْجَةِ مُغتَرِبٍ دَائِمًا، وَيَجِدُ مِنْهَا مَا يَجِدُ الرَّجُلُ مِنْ زَوْجَتِهِ، بَلْ وَيُصَوِّرُ ذَلِكَ وَيُرِيْهِ النَّاسَ"!، قُلتُ:

كَذَا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ *** فَلَيْسَ لِمَن لَمْ يَنْتَبِهْ بَعْدَهَا عُذْرُ

وَيْلَكَ أَيُّهَا الْفَاجِرُ المُجَاهِرِ، الْهَاتِكُ لِحُرَمِ الْحَرَائِرِ، أَمَا تَخْشَى الْجَزَاء؛ فَإِنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

إِنَّ الزِّنَا دَيْنٌ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ *** كَانَ الْوَفَا فِي أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمِ

مَنْ يَزْنِ يُزْنَ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ *** إِن كُنتَ يَا هَذَا لَبِيبًا فَافْهَمِ

وَدَقَّةٌ بِدَقَّةٍ، وَلَو زِدتَ لَزادَ السَّقاءُ، وَعِندَ اللهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القَلَمُ:٣٣]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكَهْفُ:٤٩].

والْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ لَكِ أَيَّتُهَا الْفَاسِقَةُ الْفَاجِرَةُ الْخَائِنَةُ، أَهَكَذَا جَزَاءُ مَنْ فَارَقَ بِلَادَهُ، وَهَجَرَ أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ، وَقَاسَى الضِّيقَ وَالْكُرْبَةَ، فِي بِلَادِ الْغُرْبَةِ؛ لِيُطْعِمَ بَطْنَكِ، وَيَكْسُوَ ظَهْرَكِ، وَيُزِيلَ فَقْرَكِ، وَيَرْفَعَ بَيْنَ النِّسَاءِ قَدْرَكِ؟!

أُفٍّ لَكِ وَمِنْكِ، مَا أَقَلَّ أَمَانَتَكِ، وَأَفْحَشَ خِيَانَتَكِ! إِن لَمْ يَكُنْ لَكِ وَازِعٌ مِنْ دِينٍ، وَلَا رَادِعٌ مِنْ حَيَاءٍ وَتَرْبِيَةٍ؛ أَمَا عِندَكِ وَلَوْ قَلِيلًا مِنْ وَفَاءٍ لِزَوْجِكِ! أَمَا تَخْشَيْنَ النَّارَ وَالْعَارَ، أَمَا تَخَافِينَ أَنْ تُنَكِّسِي رُؤُوسَ وَالِدَيْكِ وَأَهْلِكِ؛ إِن كُنتِ قَدْ رَضِيتِ لِنَفْسِكِ بِالذُّلِّ وَالْهَوَانِ!

وَيْلَكِ مِنَ اللهِ، فَإِنَّ جُرْمَكِ عَظِيمٌ وَاللّهِ، أَسَأْتِ إِلَى نَفْسِكِ وَأَهْلِكِ وَزَوْجِكِ. فلَا بَارَكَ اللهُ فِي شَهْوَةِ سَاعَةٍ تُوْرِثُ شَقْوَةَ الْأَبَدِ.

وَأَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْغَافِلُ، اتَّقِ اللهَ فِي بَنَاتِ النَّاسِ، أَمْسِكْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحْ بِإِحْسَانٍ.

لَقَدْ ضَيَّعْتَ الْأَمَانَةَ، وَجَرَّأْتَ امْرَأَتَكَ عَلَى الْخِيَانَةِ

هَلَّا إِنْ دَعَتْكَ الضَّرُورَةُ لِلِاغْتِرَابِ، وَأَجْبَرَتْكَ الظُّرُوفُ عَلَى مُفَارَقَةِ الْأَتْرَابِ؛ قَدْ أَخَذْتَ حِذْرَكَ، وَاحْتَطَتَ لِعَرْضِكَ!

فَالْمَرْأَةُ الشَّابَّةُ لَا تُتْرَكُ فِي بَيْتٍ وَحْدَهَا، اجْعَلْهَا فِي بَيْتِ أَهْلِكَ -إِن أُمِنَتِ الْفِتْنَةُ- أَوْ فِي بَيْتِ أَهْلِهَا.

وَهَكَذَا الْمُصِيبَةُ الْكُبْرَى عِندَ الْمُغْتَرِبِينَ= تَمْكِينُ نِسَائِهِمْ مِنَ الْجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ، وَإِدْخَالُ الشَّبَكَاتِ إِلَى الْبُيُوتِ، بِحُجَّةِ التَّوَاصُلِ بِأَهْلِهِ!

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُطِيلُ الْغُرْبَةَ، وَيَظَلُّ يُرَاسِلُهَا وَيَتَكَلَّمُ مَعَهَا بِمَا يُثِيرُ غَرِيزَتَهَا، وَيُحَرِّكُ شَهْوَتَهَا، وَرُبَّمَا تَوَاصَلَ بِهَا صَوْتًا وَصُورَةً، وَتَجَرَّدَا مِنَ الثِّيَابِ؛ بَعْدَ التَّجَرُّدِ مِنَ الْمَسْؤُولِيَّةِ وَالْحَيَاءِ!

يَا أَخِي الْكَرِيمُ، النَّارُ إِذَا كَمَنَتْ فِي حَجَرٍ فَجَّرَتْهُ؛ فَكَيْفَ بِنَارِ الشَّهْوَةِ؛ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ النِّيرَانِ، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء:٢٨]. وَفِعْلُكَ هَذَا يَجُرُّ الْمَرْأَةَ لِطَلَبِ الْمَزِيدِ، فَتَذْهَبُ تُقَلِّبُ الصَّفَحَاتِ وَالْمَوَاقِعَ تَبْحَثُ عَنْ الْمَزِيدِ وَالْمَزِيدِ، وَتَصْبِحُ **كَالْشَّارِبِ مِن مَاءِ الْبَحْرِ؛ لَا يَزِيدُهُ كَثْرَةُ شُرْبِهُ مِنْهُ إِلَّا عَطَشًا!**، فَلَا تَجِدُ أَمَامَهَا إِلَّا الزِّنَا وَالْعِيَاذُ بِاللهِ مِنْهُ، فَتُصَيِّرُ بَيْتَكَ= بَيْتَ دَعَارَةٍ، وَتُكْرِمُ أَخْدَانَهَا بِمَالِكَ، وتَنَامُ مَعَهُم عَلى فِرَاشِكَ! وَتُبِيحُ لَهُمْ بَيْتَكَ وَعِرْضَكَ، وَرُبَّمَا أَفْسَدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْلَادَكَ وَبَنَاتِكَ؛ فَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا.

فَلَا أُبَرِّئُكَ مِنَ الإِثْمِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي تَدْنِيسِ عِرْضِكَ، وَلَأَنْ يَشْبَعَ الْمَرْءُ يَوْمًا وَيَجُوعَ أَيَّامًا وَهُوَ عِنْدَ أَهْلِهِ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْغُرْبَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ.

فَانظُروا فِي أَمرِكُم أَيُّهَا المُغتَرِبونَ، وَلا تُغُرَّنَّكُمُ الأَموالُ فتَستَهينوا بِهَذا الأَمرِ الجَلَلِ، فَلا بارَكَ اللهُ في المالِ بَعدَ العِرضِ، كَما قالَ الجاهِليُّ حَيَّةُ بنُ خَلَفٍ الطائيُّ:

أَصُونُ عِرضِي بِمالِي لا أُدَنِّسُهُ *** لا بارَكَ اللَّهُ بَعدَ العِرضِ بِالمالِ

أَحتالُ لِلمالِ إِن أَودىٰ فَأَكسِبُهُ *** وَلَستُ لِلعِرضِ إِن أَودىٰ بِمُحتالِ

وَقالَ المُثَقِّبُ العَبَديُّ، وَهُوَ جاهِليٌّ أَيضًا:

يَجعَلُ الهَزءُ عَطايا جَمَّةً *** إِنَّ بَعضَ المَالِ فِي العِرضِ أَمَمْ

لا يُبالي طَيِّبُ النَّفسِ بِهِ *** تَلِفَ المالُ إِذا العِرضُ سَلِمْ

أَجعَلُ المالَ لِعِرضي جُنَّةً *** إِنَّ خَيرَ المَالِ ما أَدّى الذِّمَمْ

إِي وَاللهِ، تَلِفَ المالُ إِذا العِرضُ سَلِم.

رِسَالةٌ إلَى مُراسِل لِلنِّسَاءِ

أَيْ دنِيءَ الهِمَّةِ، مُخَنَّثَ العَزْم، أمَا زِلتَ تلهثُ خَلْفَها لهثَ الكلبِ خَلْفَ صاحِبِهِ، تَسُومُكَ سُوءَ العَذَاب، وتُنكِّلُ بك أَشَدَّ النَّكال، صِرْتَ ذُبابًا لا يَقَعُ إلا عَلَى القاذوراتِ، ثُمَّ تُذَبُّ عَنْهَا فَتَعُودُ إِلَيْهَا!

يا أَخِي اصْرِمْهَا صَرْمَ المُطَلَّقَة، وَانْبِذْهَا نَبْذَ فَرِيقٍ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ كِتابَ الله.

أَمَا لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقٌّ تَرْعَاه، أَمَا نَهَاك أَنْ تَحُومَ حَوْلَ حِمَاه!، أَمَا لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ بأَلَّا تُذِلَّهَا بِاللَّهْثِ خَلْفَ هَؤُلاءِ القَبِيحاتِ مَظْهَرًا وَمَخْبَرًا.

يا أَخي، يَقُولُ أَحَدُ الجَاهِلِيِّينَ:

مَوْتُ الفَتى في عِزَّةٍ خَيْرٌ لَهُ *** مِن أَنْ يَبِيتَ أَسِيرَ طَرْفٍ أَكْحَلِ

وَانْظُرْ مَا قَالَهُ إِمامُنَا ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ فِي نُونِيَّتِه:

يَا مُطْلِقَ الطَّرْفِ المُعَذَّبِ فِي الأُلَى *** جُرِّدْنَ عَن حُسْنٍ وَعَنْ إِحْسَانِ

لا تَسْبِيَنَّكَ صُورَةٌ مِن تَحْتِهَا *** الدَّاءُ اَلْدَّوِيُّ تَبُوءُ بِالْخُسْرَانِ

قَبُحَتْ خَلَائِقُهَا وَقُبِّحَ فِعْلُهَا *** شَيْطَانَةٌ فِي صُورَةِ الإِنْسَانِ

تَنْقَادُ لِلْأَنْذَالِ وَالأَرْذَالِ هُمْ *** أَكْفَاؤهَا مِنْ دُونِ ذِي الإِحْسَانِ

مَا ثَمَّ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا *** خُلُقٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

وَجَمَالُهَا زُورٌ وَمَصْنُوعٌ فَإِنْ *** تَرَكَتْهُ لَمْ تَطْمَحْ لَهَا الْعَيْنَانِ

طُبِعَتْ عَلَى تَرْكِ الْحِفَاظِ فَمَا لَهَا *** بِوَفَاءِ حَقِّ الْبَعْلِ قَطُّ يَدَانِ

إِن قَصَّرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةً *** قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيتَ مِنْ إِحْسَانِ

أَوْ رَامَ تَقْوِيمًا لَهَا اسْتَعْصَتْ وَلَمْ *** تَقْبَلْ سِوَى التَّعْوِيجِ وَالنُّقْصَانِ

أَفْكَارُهَا فِي الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ الَّذِي *** قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرَةُ الإِنْسَانِ

فَجَمَالُهَا قِشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ *** مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ

أَمَّا جَمِيلَاتُ الْوُجُوهِ فَخَائِنَاتُ *** بُعُولِهِنَّ وَهُنَّ لِلْأَخْدَانِ

وَالْحَافِظَاتُ الْغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي *** قَدْ أَصْبَحَتْ فَرْدًا مِنَ النِّسْوَانِ

فَانْظُرْ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلَا *** مِنْ قَبْلُ مِنْ شِيبٍ وَمَنْ شُبَّانِ

وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ الْعَالِيَ الـ *** بَاقِي بِذَا الأَدْنَى الَّذِي هُوَ فَانِي

فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ عَنْهُنَّ، وَقُلْ كَمَا قَالَ الأَوَّل:

لَا كُنتُ إِنْ لَمْ أَصُمْ عَنْ كُلِّ غَانِيَةٍ *** حَتَّى يَكُونَ بِرِيقِ الْحُورِ إِفْطَارِي

وَلْتُكْمِلْ قِرَاءَةَ أَبْيَاتِ ابْنِ الْقَيِّمِ –رَحِمَهُ اللَّهُ– فِي النُّونِيَّةِ فَقَدْ رَغَّبَ فِي الْحُورِ أَيَّمَا تَرْغِيبٍ!

وَخُذِ الْخُلَاصَةَ النَّاهِيَةَ عَنْ هَذَا الْفِعْلِ الْمَشِينِ:

- فِي الْمُرَاسَلَةِ خَلْوَةٌ، وَالخَلْوَةُ مُحَرَّمَةٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «**أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.
- وَلِأَنَّ النِّسَاءَ مِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ، فَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى نَفْسِكَ، وَنَبِيُّكَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- وَفَسَّرَ بَعْضُ السَّلَفِ ضَعْفَ الْإِنْسَانِ فِي الْآيَةِ بِأَنَّهُمْ يَضْعُفُونَ أَمَامَ النِّسَاءِ.
- وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ قَوَارِيرُ ضَعِيفَاتٌ قَدْ يَتَعَلَّقْنَ فَلَا تَكْسِرْ قُلُوبَهُنَّ؛ وَلَأَنْ تُكْسَرَ عِظَامُكَ أَهْوَنُ مِنْ كَسْرِ قَلْبِ مُسْلِمٍ.

- وَمَنْ تَجَرَّأَ عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ تَجَرَّأَ النَّاسُ عَلَى عِرْضِهِ ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النَّبَأ:٢٦]، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطُّور: ١٦، التَّحْريم:٧].

مَنْ يَزْنِ يُزْنَ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ *** إِن كُنتَ يَا هَذَا لَبِيبًا فَافْهَمِ

لِذَا حَرَّمَ أَهْلُ الْعِلْمِ كَالْعُثَيْمِينَ وَالْفَوْزَانِ وَغَيْرِهِمَا مُرَاسَلَةَ أَحَدِ الْجِنْسَيْنِ لِلْآخَرِ.

نِدَاءٌ لِلْآبَاء

سُئِلَ الْعَلَّامَةُ الْفَوْزَانُ حَفِظَهُ اللهُ: عَنْ رَجُلٍ قَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: إِنْ لَمْ يُدْخِلْ لَها الْإِنْتَرْنِتَ فِي الْمَنْزِلِ فَإِنّها سَتطْلُبُ مِنْهُ الطَّلَاقَ.

فَقَالَ: "نَقُولُ: أَبْرَكُ سَاعَةٍ [يَعْنِي هَذِهِ سَاعَةٌ مُبَارَكَةٌ]، إِذَا طَلَبَتِ الطَّلَاقَ وَهِيَ مَا تَقْبَلُ وَلَا تُطِيعُ زَوْجَهَا فَأَحْسَنُ لَهُ يُطَلِّقُهَا، يَسْلَمُ مِنْهَا وَيَرْزُقُهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا"اهـ.

قُلتُ: اعْلَمُوا أَنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنْ الجَوَّالَاتِ لَيْسَ بِالأَمْرِ السَّهْلِ، وَلَا يَحْتَمِلُ الهَزْلَ.

هَذَا إِمَامُ هَذَا الزَّمَانِ، صَالِحُ الفَوْزَان، أَفْتَاهُ بِتَطْلِيقِهَا بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتْ فِي بَيْتِهِ، وَحَصَلَ بَيْنَهُمَا مَا حَصلَ مِنَ العِشْرةِ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَشْتَرِطُونَ عَلَى الرَّجُلِ وَقْتَ الخِطْبَةِ أَوِ العَقْدِ أَلَّا يَمْنَعَهَا مِنْ الجِوَّالِ وَالإِنْتَرْنِت؛ ثُمَّ يُوَافِقُ!

فَأنا ناصِحٌ لِكُلِّ رَجُلٍ اشْتُرِطَ عَلَيْهِ هَذَا الشَّر[ط] أَنْ يَرْفُضَهُ وَلَا يَرْضَى بِهِ البَتَّةَ، إِنِ اقْتَنَعُوا وَإِلَّا فَالنِّسَاءُ كَثِيْرٍ.

وَقَدْ أُخْبِرَنَا عَنْ أُنَاسٍ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْعِ نِسَائِهِمْ مِنْ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ الخَبِيثَةِ آبَاؤُهُنَّ المُغَفَّلُون! لِذَا فَإِنِّي مِنْ هَذَا المِنْبَرِ أُنَادِي الآبَاءَ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ فِي بَنَاتِهِمْ، وَلَا يُزَوِّجُوهُنَّ إِلَّا مِنْ غَيُورٍ مَرْضِيٍّ الدِّيْنِ وَالخُلُقِ؛ فَإِنَّا فِي زَمَنٍ شَاعَتْ فِيهِ الدِّيَاثَةُ، وَانْتَشَرَتْ فِيهِ الخَبَاثَةُ، فَمَنْ يَسَّرَ اللهُ لَهُ بِصِهْرٍ صَالِحٍ غَيُورٍ فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَلْيَكُنْ عَوْنًا لَهُ لَا حَرْبًا عَلَيْهِ.

إِنْ رَأَيْتَهُ حَرِيصًا عَلَى صِيَانَةِ عِرْضِكَ مِنْ خَبَثِ الإِنْتَرْنِت؛ فَشُدَّ عَلَى يَدَيْهِ، وَكُنْ لَهُ لَا عَلَيْه، وَاحْذَرْ أَنْ تَجُرَّ عَلَيْكَ العَاطِفَةُ عَاصِفَةً، فَأَنْتَ الرَّابِحُ المُسْتَفِيدُ، أَوْ الخَاسِرُ الأَكِيدُ.

وَفِي المُقَابِلِ فَإِنَّ بَعْضَ الآبَاءِ يَأْبَى أَشَدَّ الإِبَاءِ مِنْ تَمْكِينِ ابْنَتِهِ العَازِبَةِ مِنَ الجَوَّالِ؛ وَهَذَا أَمْرٌ يُشْكَرُ عَلَيْه، فَإِذَا تَزَوَّجَتْ مَكَّنَهَا زَوْجُهَا مِنْهُ، وَذَلِكَ الأَبُ سَاكِتٌ وَكَأَنَّ الأَمْرَ لاَ يَعْنِيهِ، أَوْ كَأَنَّهَا لَمْ تَعُدْ مِنْ أَهَالِيه!

تقُولُ لهُ: مَالَكَ يَا فُلَانُ؟!

قَالَ: خَلاَص؛ انْتَهَى دَورِي، مَعَهَا زَوْجٌ مُؤْتَمَنٌ عَلَيْهَا!

طَيِّب؛ إِنْ قَدَّرَ اللهُ عَلَيْهَا السُّقُوطَ فِي وَحَلِ الإِنْتَرْنِتِ وَشِبَاكِه، أَوْ أَوْقَعَهَا فُلَّانٌ أَوْ عَلَّانٌ فِي شِرَاكِهِ؛ وَلَا يَسْتَبْعِدُ هَذَا إِلَّا مَغْرُورٌ، أَوْ جَاهِلٌ بِهَذِهِ الأُمُوْر؛ فَمِنْ الخَاسِرُ الكَبِيْر، وَالمُتَضَرِّرُ فِي الأَوَّلِ وَالأَخِيرِ؟!

أَنْتَ -وَاللهِ- يَا مِسْكِينُ، يَا مَنْ ذُبِحْتَ بِغَيْرِ سِكِّيْنٍ؛ الرَّجُلُ لَيْسَ مُكَلَّفًا بِحَمْلِ العَارِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَلاَ أَنْ يَمُوتَ بِغَيْظِهِ وَقَهْرِه، سَيَتَخَلَّصُ مِنْها وَيُطَلِّقُهَا، وَيَتَبَرَّأُ مِنْ عَارِهَا وَسُوءِ سُمْعَتِهَا، وَتَبُوءُ أَنْتَ بِالخِزْيِ والعَارِ، وَازْدِرَاءِ الأَلْسُنِ وَالأَنْظَارِ، فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا الكَلَامِ، وَأَزْمَعْتَ فِي نَفْسِكَ المَلَامَ، فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ مَلِيًّا: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مَرْيَم:٢٨].

خُضوع النِّساءِ في مَواقِعِ التَّواصُل

(قَوْلُ المرأَةِ للرَّجُلِ "أُحِبُّكَ في الله" مَثَلًا)

يقولُ اللهُ جلَّ في عُلَاهُ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحْزَاب:٣٢].

قالَ ابْنُ العَرَبِيِّ –رَحِمَهُ اللَّهُ – في تَفْسِيرِه: "فَأَمَرَهُنَّ اللهُ –تَعَالَى– أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُنَّ جَزْلًا، وَكَلَامُهُنَّ فَصْلًا، وَلَا يَكُونَ عَلَى وَجْهٍ يُحْدِثُ فِي القَلْبِ عَلاقَةً بِما يَظْهَرُ عَلَيْهِ مِنَ اللِّينِ المُطْمِعِ لِلْسَّامِعِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُنَّ مَعْرُوفًا"اهـ.

وهذا يَشْمَلُ اللِّينَ فِي جِنْسِ القَوْلِ، وَاللِّينَ فِي صِفَةِ أَدَائِهِ، وَلَئِن نُهِيَ عَنْهُ أُمَّهَاتُ المؤمنينَ؛ فَغَيْرُهُنَّ أَوْلَى بِالنَّهْيِ وَأَحْرَى.

وَقَدْ –وَاللهُ– كَثُرَ خُضوعُ النِّسَاءِ فِي مَوَاقِعِ التَّواصُلِ الاجتماعي، وَزَادَ تَلَاِينُهُنَّ بِالْعِبَارَاتِ أَوِ الإِشَارَاتِ! وَصُوَرُ الخُضوعِ وَالتَّلَايُنِ فِي هَذِهِ المَوَاقِعِ كَثِيرَةٌ جِدًّا.. فَمِنْهَا: زَخْرَفَةُ مَنْشُورَاتِهِنَّ بِالْوُرُودِ وَالزَّخَارِفِ الَّتِي رُبَّمَا أَطْمَعَتِ الرَّجُلَ الحَازِمَ فَضْلًا عن الّذي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ!

وَمِنْ ذَلِكَ نَقْلُ مِزَاحِهِنَّ وَضَحِكَاتِهِنَّ إِلَى الْقَنَوَاتِ وَتَصْوِيرُ ذَلِكَ! أَوْ نَقْلُ طُرْفَةٍ لِشَيْخٍ أَوْ طَالِبِ عِلْمٍ، ثُمَّ التَّعْلِيقُ عَلَيْهَا بِضِحْكَةٍ طَوِيلَةٍ رِخوةٍ أَوْ بِـ"أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ!"، وَهَكَذَا ضَحِكَاتُهُنَّ الخاضِعةُ القَبِيحَةُ الَّتِي تَبْعَثُ الشَّهَوَاتِ مِنْ مَرَاقِدِهَا، وَتُوقِظُ فِتَنًا نَائِمَةً؛ يَكُون حَطَبُها مَنْ أَيْقَظَهَا.

وَمِنْ ذَلِكَ نَشْرُ الخَوَاطِرِ وَالْأَبْيَاتِ الغَزَلِيَّةِ أَوِ المُعَبِّرَةِ عَنْ مَشَاعِرِ الشَّوْقِ وَالتَّوْقِ وَالْوَحْشَةِ وَالْوَحْدَةِ وَالْحُزْنِ وَالْفَقْدِ!

وَهَكَذَا الرَّدُّ عَلَى الرِّجَالِ بِـ "آلووو" وَمَرْحَبًا وَكَلَامٍ يَقْطُرُ خُضوعًا وَرِقَّةً.

وَسُؤَالُ الشُّيُوخِ وَطَلَبَةِ العِلْمِ عَنْ أَحْوَالِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ وَالِاطْمِئْنَانُ عَلَى صِحَّتِهِمْ، وَرُبَّمَا شَكَينَ لَهُمْ أَزْوَاجَهُنَّ وَأَهَالِيَهُنَّ وَمَا يُلاقِينَ مِنْ مَتَاعِبِ الحَيَاةِ وَمَشَاقِّهَا؛ وَمَعْلُومٌ عِندَكُمْ رِقَّةُ الشَّاكِي وَخُضُوعُه!

وَالْمَظَاهِرُ كَثِيرَةٌ لَا نُرِيدُ استِقْصَاءَهَا هُنَا، وَمِنْ شَرِّ مَظَاهِرِ الخُضوعِ الَّتِي انْتَشَرَتْ فِي الصَّالِحَاتِ أَوِ المُتَظَاهِرَاتِ بِالصَّلاحِ؛ **هُوَ تَصْرِيحُهُنَّ بِحُبِّهِنَّ لِبَعْضِ الأَشْخَاصِ أَوِ الْجَمَاعَاتِ -فِي اللهِ-** كَمَا يَزْعُمْنَ، وَإِكْثَارُهُنَّ مِنْ هَذَا!

حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُنَّ تَجْعَلُ فِي خَانَةِ الاسْمِ فِي مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ: "مُحِبَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ"! أَوْ "أُحِبُّكُمْ فِي اللهِ يَا أَهْلَ السُّنَّةِ وَطَلَبَةَ العِلْمِ" ثُمَّ تُمْضِي بِهَا مَنْشُورَاتِهَا!

وَالْأَدْهَى وَالأَمَرُّ هُوَ دُخُولُهُنَّ عَلَى بَعْضِ الشُّيُوخِ وَطَلَبَةِ العِلْمِ وَتَصْرِيحُهُنَّ بِحُبِّهِنَّ لَهُمْ فِي اللهِ!

أَوْ تَنْشُرُ شَيْئًا لِبَعْضِ الشُّيُوخِ وَفِيهِ: "شَيْخُنَا الحَبِيب!"، حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَكْتُبْهُ هِيَ فَالأَوْلَى أَنْ تَتْرُكَ نَقْلَ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ، أَوْ تُعَدِّلَهُ مَا دَامَ فِي الْأَمْرِ سَعَةً؛ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَتْ بِاسْمِهَا "قَنَاةُ فُلَانَةٍ أُمِّ فُلَان"!

هذا، وَقَدْ شَكَا بَعْضُ الشُّيُوخِ وَطَلَبَةِ العِلْمِ مِنْ هَذَا الأَمْرِ، وَاضْطُرُّوا إِلَى إِغْلاقِ هَذَا الْبَابِ عَلَى النِّسَاءِ بِالْمَنْعِ مِنَ التَّوَاصُلِ بِهِمْ وَإِخْفَاءِ أَرْقَامِهِمْ، وَحَظْرِهِنَّ مُبَاشَرَةً!

أَخْبَرَنِي بَعْضُ الإِخْوَةِ الكِبَارِ أَنَّهُ دَخَلَتْ عَلَيه بَعْضُ النِّسْوَةِ فَقَالَتْ: "أُحِبُّكُمْ فِي اللهِ يَا أَهْلَ السُّنَّةِ"، ثُمَّ أَتْعَبَتْ هَذَا الْأَخَ، كُلَّمَا حَظَرَهَا حَذَفَتْ حِسَابَهَا وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ مُجَدَّدًا، أَوْ تَنْشِئُ مَجْمُوعَةً لَهَا وَلَهُ لِتَسْتَطِيعَ الوُصُولَ إِلَيْهِ وَإِيصَالَ مَا تُرِيدُ إِيصَالَه إِلَيْهِ!

فَهَذَا مُنْكَرٌ عَظِيمٌ وَاللهِ، وَفَتْحٌ لِبَابِ فِتْنَةٍ عَرِيضٍ، وَخُطْوَةٌ مِنْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ لِإِغْوَاءِ الإِنْسَانِ، وَإِيْقَاعِهِ فِي شِرَاكِهِ، لِإِفْسَادِهِ وَإِهْلَاكِهِ.

فَلَا يَجُوزُ لِامْرَأَةٍ أَنْ تَقُولَ هَذَا لِرَجُلٍ؛ "إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ"؛ فَقَدْ يُورِثُ قَلْبَ الرَّجُلِ مِنَ الْبَلَابِلِ وَالْأَفْكَارِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ!

وَالحُبُّ فِي اللهِ جَلَّ وَعَلَا -عُمُومًا- مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الإِيمَانِ، وَبِهِ يَجِدُ العَبْدُ حَلَاوَتَهُ، وَيَسْتَظِلُّ بِسَبَبِهِ فِي ظِلِّ عَرشِ الرَّحْمَـٰنِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ، وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ لَسْنَا فِي صَدَدِ سَرْدِهَا، وَثَوَابُ التَّحَابِّ فِي اللهِ يَشْمَلُ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ جَمِيعًا، وَالمُؤْمِنُ يُحِبُّ جَمِيعَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ فِي اللهِ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنَةُ تُحِبُّ جَمِيعَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ فِي اللهِ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ صَلَاحُ الإِنْسَانِ وَحَسُنَ حَالُهُ؛ زَادَ حُبُّهُ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الإِيمَانِ، لَكِنْ أَنْ تُخْبِرَ الْمَرْأَةُ الرَّجُلَ بِحُبِّهَا لَهُ فِي اللهِ -زَعَمَت- فَهَذَا هُوَ الْمُنْكَرُ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِاللهِ وَأَتْقَاهُمْ لَهُ فَلَا يَجُوزُ لَهَا أَنْ تُعْلِمَهُ بِهَذَا، فَالشَّيْطَانُ حَرِيصٌ عَلَى فِتْنَةِ النَّاسِ، وَيَتَدَرَّجُ مَعَهُمْ حَتَّى يُوَصِلَهُمْ إِلَى الْفَوَاحِشِ وَالْكُفْرِ عِيَاذًا بِاللهِ، وَاللهُ -جَلَّ وَعَلَا- يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النُّور:٢١]. وَهَكَذَا الرَّجُلُ يَضْعُفُ أَمَامَ الْمَرْأَةِ، فَفِتْنَتُهَا عَلَيهِ عَظِيمَةٌ، تُذْهِبُ لُبَّهُ، وَتَمْلِكُ قَلْبَهُ؛ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَحْزَمِ النَّاسِ وَأَعْقَلِهِمْ! قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء:٢٨]. "قَالَ

طاووسٌ: أَي: فِي أَمْرِ النِّسَاءِ، وَقَالَ وَكِيعٌ: يَذْهَبُ عَقْلُهُ عِندَهُنَّ". كَمَا فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ العُمْي:

يا قَوْمُ أُذُنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ *** وَالأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ: «**إِذا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ، فَلْيَأْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ لِلَّه**» فَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ؛ رَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزُّهْدِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ. "وَظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الرِّجَالَ، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَشْمَلَ النِّسَاءَ؛ بِمَعْنَى أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَحَبَّتِ الْمَرْأَةَ نُدِبَ أَنْ تَقُولَ لَهَا: (إِنِّي أُحِبُّكِ فِي اللهِ)"، كَمَا ذَكَرَ الْمُنَاوِيُّ فِي شَرْحِهِ لِلْجَامِعِ الصَّغِيرِ.

وَلَا يُعْلَمُ أَنْ إِحْدَى الصَّحَابِيَّاتِ قَالَتْهُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي جَعَلَ اللهُ مُحَبَّتَهُ فَرْضًا عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَهَكَذَا لَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ قَالَهُ لِإِحْدَاهُنَّ؛ وَهُوَ لِلْأُمَّةِ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ!

وَلَا جَاءَ هَذَا عَنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ، وَلَا عَمَّن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِم.

فَلَا يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْفِعْلُ مِنَ الْبِدَعِ الْمُحْدَثَةِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، فَإِنَّ "**كُلَّ جُزْئِيَّةٍ ضِمْنَ أَمْرٍ عَامٍّ، وَلَمْ يَجْرِ عَلَيْهَا عَمَلُ السَّلَفِ، فَالْعَمَلُ بِهَذِهِ الْجُزْئِيَّةِ مِنَ الْبِدَعِ الْإِضَافِيَّةِ**" كَمَا نَقَلَ ذلك بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَهُوَ أَيْضًا ذَرِيعَةٌ لِمَرَضِ الْقُلُوبِ كَمَا أَسْلَفْنَا قَبْلُ، وَسَدُّ الذَّرِيعَةِ مِنْ أَعْظَمِ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ، وَهُوَ مُقَدَّمٌ عَلَى جَلْبِ الْمَصَالِحِ؛ وَلَا نَرَى مَصْلَحَةً تُرْجَى مِنْ قَوْلِ هَذَا الْكَلَامِ.

وَقَدْ مَنَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ تَشْمِيتِ الْمَرْأَةِ الشَّابَّةِ، وَمِنَ السَّلَامِ عَلَيْهَا، وَمِنْ تَعْزِيَتِهَا مِنْ رَجُلٍ أَجْنَبِيٍّ عَنْهَا؛ حَيْثُ تُخْشَى الْفِتْنَةُ بَيْنَهُمَا، فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الرَّقِيقَةُ: (أُحِبُّكَ فِي اللهِ) أَوْلَى بِالْمَنْعِ فِي حَالِ تَوَقُّعِ الْفِتْنَةِ بِهَا؛ وَهِيَ مُتَوَقَّعَةٌ بِالتَّأْكِيدِ!

وَأَخِيرًا أَقُولُ لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الرِّجَالِ: هَلْ يَرْضَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنْ يَقُولَ رَجُلٌ أَجْنَبِيٌّ لِأَهْلِهِ: "أُحِبُّكِ فِي اللهِ أُخْتِي فِي اللهِ، شَيْخَتِي الْحَبِيبَة، مُعَلِّمَتِي الْغَالِيَة، أُسْتَاذَتِي الْفَاضِلَة"؟!

سَتَقُولُونَ: لَا وَأَلْفُ لَا.

فَكَيْفَ رَضِيَ بَعْضُكُمْ لِنِسَائِهِمْ مِثْلَ هَذَا الْخُضُوعِ وَالْخُنُوعِ!

أَلَيْسَ هَذَا الشَّيْخُ أَوِ الطَّالِبُ رَجُلًا يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ؟!

أَلَمْ يَقُلْ نَبِيُّكُمْ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لِلنِّسَاءِ إِنَّهُنَّ يُذْهِبْنَ لُبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ؟!

إِنْ لَمْ يَتَدَارَكِ الرِّجَالُ هَذَا الْأَمْرَ الْخَطِيرَ؛ اتَّسَعَ الْخَرْقُ، وَعَظُمَتِ الْفِتْنَةُ، وَذُبِحَتْ أَعْرَاضُ الْمُسْلِمِينَ= قُرْبَانًا لِلشَّيَاطِينِ.

فِتْنَةُ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ أَشَدُّ (تَعْزِيزٌ لِسَابِقِهِ)

يَا تُرَى مَاذَا سَيَرُدُّ مُتَصَدِّرُو مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ إِنْ تَسَمَّى أَحَدُ الرِّجَالِ بِـ "مُحِبِّ الصَّالِحَاتِ"، "مُحِبِّ طَالِبَاتِ الْعِلْمِ"، "أُحِبُّكُنَّ فِي اللهِ أَيَّتُهَا السَّلَفِيَّاتُ الأَثَرِيّات".

أَوْ دَخَلَ أَحَدُهُمْ عَلَى بَعْضِ طَالِبَاتِ الْعِلْمِ فَقَالَ لَهَا "أُحِبُّكِ فِي اللهِ مُعَلِّمَتِي الْغَالِيَةَ، شَيْخَتِي الْحَبِيبَةَ"!

يَا وَيْلَهُ وَيَا سَوَادَ لَيْلِهِ! مَنْ سَيَرْحَمُهُ؟!

مَنْ سَيَحْمِلُهُ عَلَى الْمَحْمَلِ الْحَسَنِ؟!

مَنْ سَيَقْتَنِعُ أَنْ حُبَّهُ لَهَا لِلَّهِ وَفِي اللهِ؛ وَإِنْ حَلَفَ لَهُمْ بِاللهِ؟!

حَتَّى وَإِنْ صَدَّقُوهُ أَنْ حُبَّهُ لَهَا خَالِصٌ مِنْ شَوَائِبِ الشَّهْوَةِ وَحَاجَاتِ النُّفُوسِ؛ فَمَنْ سَيَعْذُرُهُ فِي تَصْرِيحِهِ لَهَا بِهِ، وَإِخْبَارِهَا عَنْهُ؟!

حَسَنًا؛ لِمَاذَا هَذَا الْكَيْلُ بِمِكْيَالَيْنِ؟!

سَيَقُولُونَ: النِّسَاءُ قَوَارِيرُ، ضَعِيفَاتٌ، نَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِينٍ، وَهَذِهِ حِيلَةٌ مِنْكَ أَيُّهَا الـ***، وَاعْتِدَاءٌ عَلَى عَفَّةِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْعَفِيفَةِ، وَتَعَرُّضٌ لِأَعْرَاضِ النَّاسِ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ.

لَكِنْ إِنْ حَصَلَ الْعَكْسُ فَقَدْ لَا يَسْتَنْكِرُهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَرُبَّمَا بَعْضُهُمْ قَدْ قَالَتْ لَهُ كَثِيرٌ مِنَ النِّسْوَةِ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَلَمْ يَرَ فِي ذَلِكَ بَأْسًا، وَإِنْ كَانَ قَدْ لَقِيَ مِنْهُ بَأْسًا!

وَهَذَا فَهْمٌ مَعْكُوسٌ، وَفِكْرٌ مَنْكُوسٌ عِيَاذًا بِاللهِ، فَإِنَّ النِّسَاءَ أَشَدُّ فِتْنَةً عَلَى الرِّجَالِ مِنَ الرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الشَّرْعُ، وَشَهِدَ بِهِ الْحِسُّ وَالْوَاقِعُ.

وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَدْ حَذَّرَ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ؛ فَقَالَ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وَقَالَ: «**فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ..**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَفِي الصَّحِيحَينِ أَيْضًا عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**» . وَرَكِّزُوا جَيِّدًا عَلَى كَلِمَةِ "**الرَّجُلِ الْحَازِمِ**"، فَمَا الظَّنُّ بِمَنْ قَلَّ حَزْمُهُ.

وَأَدِلَّةُ تَحْذِيرِ الرِّجَالِ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ كَثِيرَةٌ جِدًّا بِخِلَافِ الْعَكْسِ، وَإِنَّمَا هَذِهِ إِشَارَةٌ تَكْفِي اللَّبِيبَ إِنْ شَاءَ اللهُ.

فَلِهَذَا أُمِرْنَ بِالْقَرَارِ فِي الْبُيُوتِ، وَلُزُومِ الْحِجَابِ الشَّرْعِيِّ، وَنُهِينَ عَنْ التَّبَرُّجِ وَالزِّينَةِ وَالْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ...إلخ.

وَهَكَذَا؛ أَمَا تَرَوْنَ أَنَّ امْرَأَةً وَاحِدَةً قَدْ سَتَرَتْ جَسَدَهَا وَأَسْبَغَتْ ثَوْبَهَا عَلَيْهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ كَشْفِ عَيْنَيْهَا وَكَفَّيْهَا (كَلِبَاسِ كَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ هَذِهِ الْأَيَّامِ)؛ إِنْ مَرَّتْ فِي طَرِيقٍ فَتَنَتْ كُلَّ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا مِنَ الرِّجَالِ، بَيْنَمَا تَمُرُّ الْمَرْأَةُ عَلَى مِئَاتِ الرِّجَالِ وُجُوهُهُمْ مَكْشُوفَةٌ، وَمَلَامِحُهُمْ بَادِيَةٌ، وَمَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الشَّبَابِ مِنَ الثِّيَابِ فَإِنَّهُ يَصِفُ مَا تَحْتَهُ..؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَرُبَّمَا لَا يُغْرِيهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَا تُبَالِي مِنْهُمْ بِأَحَدٍ، حَتَّى وَإِنْ رَأَتْهُمْ بِغَيْرِ ثِيَابٍ!

وَاقْرَؤُوا فِي قَصَصِ الْعُشَّاقِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ إِلَى الْآنَ، تَجِدُوا أَنَّ النِّسَاءَ قَدْ نَكَّلْنَ بِالرِّجَالِ أَشَدَّ التَّنْكِيلِ، وَسُمْنَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ؛ فَجُنَّ وَمَرِضَ بَعْضُهُمْ، وَاسْتُعْبِدَ لِلَّهَوَى قَوْمٌ آخَرُونَ، حَتَّى أُلِّفَتْ كُتُبٌ فِي مَصَارِعِ الْعُشَّاقِ، وَفَتَكَاتِ الْأَشْوَاقِ! فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ!

فَفِتْنَةُ النِّسَاءِ عَظِيمَةٌ جِدًّا عَلَى الرِّجَالِ، فَلِهَذَا هُنَّ أَوْلَى وَأَجْدَرُ أَنْ يُسْتَشْنَعَ قَوْلُهُنَّ لِلرِّجَالِ "أُحِبُّكَ فِي اللهِ".

وَهُوَ أَيْضًا يُنَافِي الْحَيَاءَ الَّذِي جَبَلَ اللهُ عَلَيْهِ النِّسَاءَ، وَلِهَذَا قَدَّمَ اللهُ ذِكْرَ الزَّانِيَةِ عَلَى الزَّانِي لِأَنَّه مِنْهَا أَقْبَحُ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَنْهُ أَبْعَد.

وَأَخِيرًا أَعُودُ عَلَى بَدْءٍ وَأَقُولُ: مَنْ الَّذِي نُهِيَ عَنْ الْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ لِلْآخَرِ؟!

فَنَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ، وَأَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

الجَوَّالاتُ وَذَبْحُ الأَوقاتِ

اعْلَمُوا يا إِخْوَتَاهُ أَنَّ هَذِهِ الجَوَّالاتِ الخَبِيثَةَ= بَابُ فِتْنَةٍ وَضِيَاعٍ فُتِحَ عَلَيْنَا؛ تُذْبَحُ فِيهِ الأَوقاتُ بِشَفَرَاتِ مَواقِعِ التَّوَاصُلِ قُرْبَانًا لِلشَّيَاطِينِ!

وَإِنْ زَعَمْنَا أَنَّا نَنْشُرُ الخَيْرَ وَنُفِيدُ وَنَسْتَفِيدُ..، لَكِنِ اعْلَمُوا أَنَّ مَا أَضَعْنَاهُ فِيهَا أَكْبَرُ مِمَّا اسْتَفَدْنَاهُ مِنْهَا.

وَقْتُكَ يا أَخِي= رَأْسُ مالِكَ، سَتُسْأَلُ عَنْهُ، فَلَا تُضَيِّعْهُ فِي اللَّهْثِ خَلْفَ رِبْحٍ مَزْعُومٍ مَوهُومٍ وَخُسْرٍ مَعْلُومٍ مَحْتُومٍ.

اتَّقِ اللهَ.. فإِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ مَجْمُوعَةٌ، كُلَّمَا مَضَى يَوْمٌ = مَضَى بَعْضُكَ!

كُلُّ يَوْمٍ يُقَرِّبُكَ إِلَى الْمَوْتِ يَوْمًا، وَكُلُّ سَاعَةٍ تُقَرِّبُكَ إِلَى الْمَوْتِ سَاعَةً، بل كُلُّ ثَانِيَةٍ تُقَرِّبُكَ إِلَيْهِ ثَانِيَةً، أَنْفَاسُكَ خُطَاكَ إِلَى أَجَلِكَ الْمَحْتُومِ.

مَاذَا أَعْدَدْتَ لِسُؤَالِ: «**عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ... وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟!**». وَقَدْ أَفْنَيْتَ عُمُرَكَ مُتَنَقِّلًا بَيْنَ صَفَحَاتِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ بِلا فَائِدَةٍ تُرْجَى، مَعَ فِتْنَةٍ لَا تُؤْمَنُ!

أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةِ الْفَرَاغِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُغْبَنَ فِيهَا؛ فَإِنَّهُ قَدْ غُبِنَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ كَمَا أَخْبَرَ نَبِيُّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الْوَقْتُ أَغْلَى مَا عُنِيتَ بِحِفْظِهِ * وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ!**

فَأَنَا نَاصِحٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْ هَذِهِ الجَوَّالاتِ الخَبِيثَةِ مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، فَإِنِ احْتَاجَ إِلَيْهَا فَلْيَسْتَغْنِ عَنِ الْإِنْتَرْنِتِ مَا اسْتَطَاعَ...، فَإِنِ احْتَاجَ إِلَيْهِ فَلْيُحَاوِلِ التَّقْلِيلَ مِنْهُ مَا اسْتَطَاعَ؛ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ حَزْمٍ.

أَمَّا النِّسَاءُ وَالشَّبَابُ الطَّائِشُ فَلَا أَرَى تَمْكِينَهُمْ مِنْهَا بِحَالٍ أَبَدًا؛ لَا سِيَّمَا النِّسَاءُ؛ كَمَا تَرَاهُ جَلِيًّا أَمَامك.

فَأَكْثَرُ النِّسَاءِ -إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي وَقَلِيلٌ مَا هُنَّ- يُضِيِّعْنَ جُلَّ أَوْقَاتِهِنّ فِي الْقِيْلِ وَالْقَالِ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ عَنْ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ، وَكَذَا فِي مُرَاقَبَةِ الْحَالَاتِ، أَوْ مُشَاهَدَةِ الْأَفْلَامِ وَالْمُسَلسَلاتِ إِنْ لَمْ يَكُنَّ مِنَ الصَّالِحَاتِ؛ أَمَّا جُنُونُ الْحَالَاتِ، فَجُلُّهُنَّ فِيهِ مُشْتَرِكَاتٌ، إِلَّا مَا رَحِمَ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ.

فَأَهْمَلْنَ أَهْلَهُنَّ وَبُيُوتَهُنَّ وَمَطَابِخَهُنَّ، وَضَيَّعْنَ دِينَهُنَّ وَحَيَاءَهُنَّ وَعِفَّتَهُنَّ، وَجُبْنَ الْعَالَمَ وَهُنَّ فِي بُيُوتِهِنَّ. فاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

أَنَا عَدُوُّهَا

رَحِمَ اللَّهُ الشَّيْخَ مُقْبِلًا فَقَدْ كَانَ لِلْحِزْبِيَّةِ فِي زَمَنِهِ رَوَاجٌ كَبِيرٌ حَتَّى اغْتَرَّ بِهَا كَثِيرٌ مِنْ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ بَلْ وَعُلَمَائِهِمْ!، وَلَكِنَّهُ تَصَدَّى لَهَا بِقُوَّةٍ وَشَرَاسَةٍ وَكَانَ يَقُولُ: "الْحِزْبِيَّةُ أَنَا عَدُوُّهَا".

فَلَمَّا انْجَلَى الْغُبَارُ، وَاتَّضَحَتِ الْأُمُورُ، وَتَجَلَّتِ الْحَقَائِقُ لِلنَاسِ؛ عَرَفَ النَاسُ لَهُ جِهَادَهُ لِهَذِهِ الْحِزْبِيَّاتِ، وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ، وَدَعَوْا لَهُ، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، لِتَصَدِّيهِ لَهَا، وَكَشْفِهِ لِعَوَارِهَا، وَتَحْذِيرِهِ مِنْ أَضْرَارِهَا. وَهَكَذَا نَحْنُ؛ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَلْ وَمِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ يَسْخَرُونَ مِنَّا حِينَ نَقُولُ (لَا لِتَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالَاتِ) وَيَقُولُونَ هَذَا تَشَدُّدٌ وَتَعَنُّتٌ وَتَزَمُّتٌ، إِنَّكُمْ مَجَانِين، فِيَا قَوْمُ؛ إِنَّا قَدْ رَأَيْنَا وَنَمَا إِلَيْنَا وَسَمِعْنَا مِنْ أَخطَارِها مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ! قصَصٌ وَمَآسٍ تَشَيْبُ لَهَا نَوَاصِي الْوِلْدَانِ! فَلِذَا:

أُعَادِي الهَوَاتِفَ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُت*** فَأُوصِي بَنِي قَوْمِي يُعَادُونَهَا بَعْدِي

فَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ الجَوَّالَاتُ كَمَا قِيلَ؛ مع الإضَافَةِ والتَّعدِيل: "مِعْوَلُ هَدْمٍ لِلْبُيُوتِ الرَّفِيعَةِ، وَزِلْزَالٌ يَخْسِفُ بِالْحُصُونِ الْمَنِيعَةِ، فَيُدَمِّرُ فِيهَا الْأُسَرَ وَالْأَنْسَابَ، وَيَهْدِمُ بِهَا الْأَعْرَاضَ وَالْأَحْسَابَ، وَيُلْبِسُ أَهْلَهَا لِبَاسَ الذُّلِّ وَالصَغَارِ بَعْدَمَا كَانُوا فِي عِزٍّ وَوَقَارٍ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ تَمْكِينُ النِّسَاءِ مِنْهَا مِنْ أَقْبَحِ الْقَبَائِحِ، وَجَالِبًا لِلْمَخَازِي وَالْفَضَائِحِ، وَهِيَ= بَابٌ يَلِجُ مِنْهُ إِلَى خُدُورِ ذَوَاتِ الْخُدُورِ كُلُّ غَادٍ وَرَائِحٍ، فَتَنْدَمُونَ أَنْ مَكَّنْتُمْ نِسَاءَكُمْ مِنْهَا وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ". فَاتَّقُوا اللهَ فِي مَنْ اسْتَرْعَاكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِنَّ مِنَ النِسَاءِ،

فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتٌ وَنَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِينٍ يُخْدَعْنَ بِكَلِمَةٍ، وَهَذَا مَحْسُوسٌ مَلْمُوسٌ لَا يُنْكِرُهُ إِلَا مُعَانِدٌ مَنْكُوسٌ.

فَيا مُنْكِرًا هَذَا تأَخَّرْ فإِنَّهُ *** حَرَامٌ عَلى الخُفَّاشِ أنْ يُبْصِرَ الشَّمْسَا

سُرعةُ انجِرارِ النِّساء

مِنْ شَواهِدِ ضَعْفِ النِّسَاءِ وَنَقْصِ عُقُولِهِنَّ أَنَ الْمَرْأَةَ السَّوءَ الْوَاحِدَةَ إِذَا دَخَلَتْ بَيْنَ عَشَرَاتِ الصَّالِحَاتِ قَدْ تُفْسِدُهُنَّ؛ فَهُنَّ سَرِيعَاتُ الْمَيْلِ إِلَى الشَرِّ.

قَالَ بَعْضُ مُدَرَاءِ الْمَدَارِسِ: إِنَ الطَّالِبَاتِ إِمَّا أَنْ يَكُنَّ كُلُهُنَّ هَادِئَاتٌ أَوْ كُلُهُنَّ فَوْضَوِيَّات؛ لِأَنَهُ إِنْ وُجِدَتْ طَالِبَةٌ وَاحِدَةٌ فَاسِدَةٌ أَفْسَدَتِ الْفَصْلَ كُلَّهُ.

وقَالَ الْمُعَلِّمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "وَالنِّسَاءُ أَشْبَهُ بِالضَّأْنِ، جُوْفٌ لَا يَشْبَعْنَ، وَهِيْمٌ لَا يَنْقَعْنَ، **وَأَمْرَ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْنَ**"اهـ.

قُلْتُ: فَانْظُرْ يَا مَنْ مَكَّنْتَ نِسَاءَكَ مِنَ الْجَوَّالَاتِ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ بِعَيْنِ الْفِكْرِ؛ كَيْفَ تُدْخِلُ عَلَيْهِنَّ شَرَّ جَلِيسٍ، يُلَازِمُهُنَّ مُلَازَمَةَ الْغَرِيمِ، أَوْ مُلَازَمَةَ الكَلْبِ لِأَصْحَابِ الرَّقِيمِ، وَيَتَعَرَّفْنَ عَلَى كُلِّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ مَنْ تُصَاحِبُ وَلَا بِمَنْ تَتَوَاصَلُ، فَمَا تَدْرِي إِلَا وَقَدْ وَقَعَ الْفَأْسُ فِي الرَّأْسِ.

فيَا هَذَا دَعْنا مِن أَمَانِيكَ، وَاغْتِرَارِكَ بِصَلَاحِ أَهْلِيكَ، فَقَدْ تُفْسِدُ الْمَجْمُوعَةَ مِنَ النِسَاءِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، وَوَدَّتِ الزَّانِيَةُ لَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كُلَّهُنَّ زَوَانٍ. وَالْتُّفَّاحَةُ الْفَاسِدَةُ تُفْسِدُ سَلَّةً كَامِلَةً.

وَقَدْ تُفْسِدُ الْمَرْعَى عَلَى أَخَوَاتِهَا *** شَاةٌ تَنِدُّ عَنِ الْقَطِيعِ وَتَمْرُقُ

وَهَكَذَا الْأَنْهَارُ الْعَذْبَةُ تَصُبُّ فِي الْبِحَارِ بِغَزَارَةٍ وَمَا إِنْ تَخْتَلِطُ بِمَاءِ الْبَحْرِ حَتَّى تَصْبِحَ مِلْحًا أُجَاجًا. فَلْيَنْظُرِ الْعَاقِلُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ الْخَطِيرِ، قَبْلَ أَنْ يَدْهَمَهُ الشَرُّ الْمُسْتَطِيرُ. فَكَمْ قَدْ سَمِعْنَا مِنْ هَذِهِ الْفَوَاقِرِ الَّتِي تَشِيبُ لَهَا نَوَاصِي الْوِلْدَانِ. فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

تَمْكِينُ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالاتِ يُنَافِي رُوحَ الْقَرَارِ فِي الْبُيُوتِ

لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ: «**الْمَرْأَة عَوْرَةٌ**»، وَسَتْرُ الْعَوْرَةِ وَاجِبٌ، وَلَا سِتْرَ لِلْمَرْأَةِ كَبَيْتِهَا؛ لِذَا أُمِرَتْ أَنْ تَقَرَّ فِيهِ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحْزَاب:٣٣]. وَأُذِنَ لَهَا أَنْ تَخْرُجَ مِنْهُ لِحَاجَتِهَا «**أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ فِي حَوَائِجِكُنَّ**»، فَإِنْ خَرَجَتْ مِنْ خِدْرِهَا؛ فَبِكَامِلِ سِتْرِهَا: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ [الأحْزَاب:٣٣]، وَنَهَاهَا عَنْ الطِّيبِ عِندَ خُرُوجِهَا «**وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلَاتٌ**»، وَتُوُعِّدَتْ إِنْ هِيَ خَالَفَتْ فـ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ**». وَنُهِيَتْ عَنْ كُلِّ مَا يَجُرُّ إِلَى الْفِتْنَةِ مِنَ الْخَلْوَةِ بِالْأَجَانِبِ وَالِاخْتِلَاطِ بِهِمْ وَالْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ لَهُمْ، وَنَحْوِ ذَلِك.

إِذَنْ؛ فَأَصْلُ حِجَابِ الْمَرْأَةِ وَسَتْرِهَا وَصِيَانَتِهَا = قَرَارُهَا فِي بَيْتِهَا، وَهَذَا الْقَرَارُ لَا يَكُونُ قَرَارًا حَقِيقَةً إِلَّا بِقَرَارِ بَدَنِهَا وَقَلْبِهَا وَسُكُونِهَا فِي بَيْتِهَا. قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَعَاصِمٌ: "وَقَرْنَ" بِفَتْحِ الْقَافِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِكَسْرِهَا، فَمَن فَتَحَ الْقَافَ فَمَعْنَاهُ، اقْرَرْنَ أَيْ: الزَمْنَ بُيُوتَكُنَّ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَرَرْتُ بِالْمَكَانِ أَقْرُرُ قَرَارًا... وَمَن كَسَرَ الْقَافَ فَقَدْ قِيلَ: هُوَ مِنْ قَرَرْتُ أَقْرُرُ، مَعْنَاهُ اقْرِرْنَ -بِكَسْرِ الرَّاءِ- فَحُذِفَتِ الْأُولَى وَنُقِلَت حَرَكَتُهَا إِلَى الْقَافِ...، وَقِيلَ: -وَهُوَ الأَصَحُّ- إِنَّهُ أَمْرٌ مِنَ الْوَقَارِ، كَقَوْلِهِمْ مِنَ الْوَعْدِ: عِدْنَ، وَمِنَ الْوَصْلِ: صِلْنَ، أَيْ: كُنَّ أَهْلَ وَقَارٍ وَسُكُونٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ وَقِرَ فُلَانٌ يَقِرُّ وُقُورًا إِذَا سَكَنَ وَاطْمَأَنَّ" اهـ.

إِذَنْ؛ فَلَيْسَ الْقَرَارُ قَرَارَ الْبَدَنِ فَقَطْ؛ بَلْ لَا بُدَّ مَنْ قَرَارِ النَّفْسِ؛ فَمَا فَائِدَةُ قَرَارِ الْبَدَنِ وَالنَّفْسُ خَرَّاجَةٌ وَلَّاجَةٌ فِيمَا كَانَ مَقْصُودًا أَنْ تُمْنَعَ عَنْهُ بِقَرَارِ بَدَنِهَا فِي بَيْتِهَا!

أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُنَاقِضُ رُوحَ قَرَارِ النِّسَاءِ فِي الْبُيُوتِ لَهُوَ= تَمْكِينَهُنَّ مِنْ هَذِهِ الجَوّالاتِ الْخَبِيثَةِ، تَكُونُ الْمَرْأَةُ فِي بَيْتِهَا وَهِيَ تَتَنَقَّلُ دُوَلِيًّا لَا مَحَلِّيًّا، وَتَتَعَرَّضُ لِلْفِتَنِ كُلِّهَا!

صَدِّقُونِي؛ مَا صَنَعْتُمْ شَيْئًا إِذْ مَنَعْتُمُوهُنَّ مِنَ الْخُرُوجِ وَأَدْخَلْتُمْ لَهُنَّ الْجَوَّالاتِ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ الْفَسَادُ بِهَذِهِ الْجَوَّالاتِ أَشَدَّ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرَ.

أَخِفْتُمْ عَلَيْهِنَّ الْفِتْنَةَ بِالْخُرُوجِ، ثُمَّ أَدْخَلْتُمْ عَلَيْهِنَّ أَعْظَمَ فِتْنَةٍ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ! وَاعْجَبَاهُ مِنْ غَفْلَتِكُمْ، أَوْ هَوَانِ أَعْرَاضِكُمْ عَلَيْكُمْ! أَخْبَرَنِي صَدِيقٌ عَنْ صَدِيقِهِ أَنَّهُ وَاعَدَ فَتَاةً عَبْرَ الْجَوَّالِ فَرَّ بِهَا أَبُوهَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِتَتْرُكَ خَرَجَاتِ الْأَرْيَافِ وَالِاخْتِلَاطَ بِالْأَقَارِبِ، ثُمَّ آنَسَ وَحْشَتَهَا فِي الْمَدِينَةِ بِجَوَّالٍ؛ فَبِئْسَ الْقَرِينُ! فَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا ذُكِرَ أَوَّلَ الْقِصَّةِ!

وَأُخْرَى مِنْ أُسْرَةٍ عَرِيقَةٍ، مِمَّنْ يَمْنَعُهُنَّ أَهْلُهُنَّ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْأَسْوَاقِ وَغَيْرِهَا، حَبَسُوهَا فِي غُرْفَتِهَا وَأَدْخَلُوا عَلَيْهَا هَذَا الْأَسَدَ الْمُفْتَرِسَ، فَوَصَلَتْ إِلَى الْكُفْرِ وَالإِلْحَادِ وَالْعُهْرِ والفُجُور، وَصَارَتْ تَزْعُمُ أَنَّ جَسَدَهَا مِلْكُها فَلَهَا أَنْ تُمَكِّنَ مِنْهُ مَنْ شَاءَتْ، وَلَهَا أَنْ تُعَدِّدَ الْأَزْوَاجَ..! فَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَكَمْ مِنْ حَبِيسَةٍ فِي الدَّارِ، وَهِيَ غَارِقَةٌ فِي الْخِزْيِ وَالْعَارِ؛ وَالسَّبَبُ الْجَوَّالُ!

وَيَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا الطَّيِّبِ إِذْ يَقُولُ:

إِلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَىٰ ***عِضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ

وَقَدْ ذكَرَ بَعضُ أهْلِ العِلمِ أنَّ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ كَانُوا يُلْزِمُونَ نِسَاءَهُمْ الْبُيُوتَ ثُمَّ يَسُدُّونَ الْكُوَى وَالثُّقُوبَ فِي بُيُوتِهِمْ، حَتَّى لَا يَطَّلِعَ الرِّجَالُ عَلَى نِسَائِهِمْ، وَلَا تَطَّلِعَ نِسَاؤُهُمْ عَلَى الرِّجَالِ. فَلِلّٰهِ أُولَٰئِكَ الرِّجَالُ!

وَأَنْتُمْ تَفْتَحُونَ فِي بُيُوتِكُمْ نَوَافِذَ تُطِلُّ عَلَى شَرِّ الْعَالَمِ كُلِّهِ وَخَبَثِهِ، الْكُفْرِ وَالْعَهْرِ بِأَنْوَاعِهِ وَأَشْكَالِهِ، مِنْ رِدَّةٍ وَإِلْحَادٍ وَدِيمُقْرَاطِيَّةٍ وَعَلْمَانِيَّةٍ وَنَصْرَانِيَّةٍ وَتَرَفُّضٍ وَتَجَهُّمٍ وَتَمَشْعُرٍ..، وَالزِّنَا وَاللُّوَاطِ وَالسِّحَاقِ وَالرَّقْصِ وَالْغِنَاءِ وَالِاخْتِلَاطِ وَمَا لَا تَتَوَقَّعُونَهُ وَلَا يُخْطُرُ لَكُمْ عَلَى بَالٍ!

إِنَّهَا ثَقْبٌ أَسْوَدُ يَبْتَلِعُ العَفَافَ وَالْحِشْمَةَ وَالْحَيَاءَ، بَلْ يَبْتَلِعُ الدِّينَ وَالْعِرْضَ وَالأَدَبَ! فَرَاجِعُوا حِسَابَاتِكُمْ فَالأَمْرُ جِدٌّ لَا يَحْتَمِلُ الْهَزْلَ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْفُوزَانُ -حَفِظَهُ اللّٰهُ-: "وَصَارَت الْاتِّصَالاتُ تَأْتِي إِلَيْهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا، يَتَّصِلُ بِهَا الأَشْرَارُ، تَجِيهَا الصُّوَرُ، تَنْظُرُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي الْإِنْتَرْنِتِ أَوْ أَشْيَاءَ أَنَا مَا أَعْرِفُهَا لَكِنْ حَصَلَتْ وَكَثُرَتْ وَالْمَرْأَةُ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا، عِندَكَ [فِي بَالِكَ] أَنَّهَا مَصُونَةٌ وَهِيَ فِي الْخَارِجِ فِي فِكْرِهَا... مُصِيبَةٌ جِدًّا؛ مَعَ الخُرُوجِ وَالْحُرِّيَّةِ فِي التَّنَقُّلِ حَتَّى لَوْ كَانَتْ فِي بَيْتِهَا يَجِيهَا الشَّرُّ بِوَاسِطَةِ هَذِهِ الْوَسَائِلِ" اهـ.

لَيْلُ الصَّالِحَاتِ، وَلَيْلُ المُؤْنِثِرَاتِ

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ التَّهَجُّدِ وَالْقِيَامِ: "عَنْ رَابِعَةَ العَدَوِيَّةِ -رَحِمَهَا اللهُ- أَنَّهَا كَانَتْ تَقُومُ اللَّيْلَ وَكَانَتْ تَقُولُ: يَا نَفْسُ كَمْ تَنَامِينَ؟ وَإِلَى كَمْ لَا تَقُومِينَ؟ أَوْشَكَ أَنْ تَنَامِي نَوْمَةً لَا تَقُومِينَ مِنْهَا إِلَّا بِصَرْخَةِ يَوْمِ النُّشُورِ.

وَقَالَ سُوَيْدُ بنُ عَمْرٍو: كَانَتْ عِندَنَا امْرَأَةٌ عَابِدَةٌ وَكَانَتْ فِي غِنًى، وَكَانَتْ لَا تَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا يَسِيرًا. فَعُوتِبَتْ فِي ذَلِكَ فَقَالَتْ: كَفَى بِطُولِ الرَّقْدَةِ فِي الْقُبُورِ.

وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ السَّدُوسِيُّ: كَانَتْ امْرَأَةٌ فِي الْحَيِّ يُقَالُ لَهَا مُنِيرَةٌ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ قَالَتْ: قَدْ جَاءَ اللَّيْلُ، وَقَدْ جَاءَتِ الظُّلْمَةُ؛ مَا أَشْبَهَ هَذَا بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ!، ثُمَّ تَقُومُ تُصَلِّي.

وَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ الْعَبْدِيُّ: كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ بَزِيعٍ مَولاةَ الْحَسَنِ بنِ يُوسُفَ تُصَلِّي اللَّيْلَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ.

وَقَالَ: كَانَتْ امْرَأَتَانِ غُصْنَةٌ وَعَالِيَةٌ، تَقُومُ إِحْدَاهُمَا مِنَ اللَّيْلِ فَتَقْرَأُ السَّبْعَ الطِّوالَ فِي رَكْعَةٍ"اهـ.

قُلْتُ: فَانظُرُوا إِلَى حَالِ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ، وَقَارِنُوا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ المُؤْنِثِرَاتِ فِي هَذا الزَّمانِ. تَسْهَرُ الْمَرْأَةُ أَغْلَبَ اللَّيْلِ فِي مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ فِي السُّخْفِ وَالْهُرَاءِ وَالكَلَامِ الْفَارِغِ؛ إِن لَمْ يَكُنْ فِي الإِثْمِ والفِسْقِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

تَرَى نَشْرَ بَعْضِ الْمُتَصَدِّرَاتِ لِلنَّشْرِ؛ أَغْلَبَهُ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ! وَهَذَا أَمْرٌ لا يَرْضَاهُ غَيُور، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

مُنْكَرٌ عَظِيمٌ -وَاللهِ- أَنْ تَسْتَتِرَ الْمَرْأَةُ بِغِطَائِهَا وَالْجَوَّالُ فِي يَدِهَا! ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾. [النُّور:٤٠].

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ قَدِ اسْتَهَانُوا بِهَذَا الْأَمْرِ الْجَلَلِ! ولَا يَرَوْنَ بِهِ بَأْسًا؛ فَكَثْرَةُ الْمِسَاسِ تُذْهِبُ الْإِحساسَ.

يَـا نَـائِـمَ الـلَّـيْلِ مُـسْـرُورًا بِـأَوَّلِهِ *** إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَسْحَارًا

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِمَّا يَكُونُ مِنَ الشَّرِّ فِي اللَّيْلِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]، قَالُوا: لِأَنَّ فِي اللَّيْلِ تَخْرُجُ السِّبَاعُ مِنْ آجَامِهَا، وَالْهَوَامَّ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَيَنْبَعِثُ أَهْلُ الشَّرِّ عَلَى الْعَبَثِ وَالْفَسَادِ. اهـ.

أَلَمْ تَسْمَعُوا بِقِصَّةِ الْفَتَاةِ الَّتِي خَرَجَتِ السَّاعَةَ الثَّانِيَةَ لَيْلًا مَعَ صَدِيقِهَا الَّذِي تَعَرَّفَتْ عَلَيهِ عَبْرَ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ، وَمَا هَذِهِ الْقِصَّةُ إِلَّا قَطْرَةٌ مِنْ مَطْرَةٍ!

وَاللَّيْلُ لَيْلُ الْعُشَّاقِ، مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ إِلَى الْآنِ، يَتَسَلَّلُ فِيهِ الْمُفْسِدُونَ؛ قَلِيلُو الْمَرُوءَةِ ضُعَفَاءُ الدِّينِ إِلَى نِسَائِكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْوَةِ الْغَفْلَةِ! يَسْهَرُ الشَّبَابُ غَالِبَ لَيَالِيهِمْ مَعَ كَثِيرٍ مِنْ نِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاللهِ، مُتْعَةٌ مَجَّانِيَّةٌ وَفَّرْتُمُوهَا لِلْفَرَغِ والمُفْسِدِينَ عِيَاذًا بِاللهِ!

وَانْظُرُوا إِلَى الشَّبَابِ فِي الشَّوَارِعِ وَالْمَجَالِسِ، يَسْهَرُونَ إِلَى آخِرِ اللَّيْلِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يُرَاسِلُ امْرَأَةً أَوْ أَكْثَرَ، أَلَمْ تَتَفَكَّرُوا: بَنَاتُ مَنْ يُرَاسِلُونَ يَا عِبَادَ اللهِ، وَأَخَوَاتُ مَنْ، وَنِسَاءُ مَنْ! إِنَّهُنَّ -وَاللهِ- بَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ وَمَنْ وَلَّاكُمُ اللهُ وَاسْتَرْعَاكُمْ وَأَتَمَنَكُمْ عَلَيْهِنَّ؛ فَخُنْتُمُ الْأَمَانَاتِ وَضَيَّعْتُمُوهَا وَغَشَشْتُمُ الرَّعِيَّةَ. وَإِلَيْكُمْ هَذِهِ الأَبْيَاتِ لِبَعْضِ الشُّعَرَاءِ فِيما نَحْنُ فِيهِ: قَالَ الأَعْشَى مَيْمُونٌ:

فَظَلِلْتُ أَرْعَاهَا وظَلَّ يَحُوطُهَا *** حَتَّى دَنَوْتُ إِذِ الظَّلَامُ دَنَا لَهَا

ولِامْرِئِ الْقَيْسِ بنِ حُجرٍ الْكِنْدِيِّ أبْيَاتٌ كَثِيرةٌ، مِنْها:

فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ *** فَأَلْهَيتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ

ولا يَكُونُ الطُّروقُ إلاّ بِالليلِ. وقَالَ:

فَجِئتُ وَقَدْ نَضَتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا *** لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبْسَةَ الْمُتَفَضِّلِ

وقَالَ يَصِفُ تَسَلُّلَهُ إِلَى امْرَأَةٍ فِي اللَّيْلِ، وَكَيْفَ لَانَتْ بَعْدَ اشْتِدَادٍ، فَأَذْعَنَتْ وَسَلَّمَتْ لَهُ الْقِيَادَ:

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بعدَ مَا نَامَ أهلُهَا *** سُمُوَّ حَبَابِ المَاءِ حَالًا علَى حَالِ

فَقَالَتْ سَبَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ فاضِحِي *** أَلَسْتَ تَرَىٰ السُّمَّارَ والنَّاسَ أحْوَالِي

فَقُلْتُ يَمِيْنُ اللهِ لا أَنَا بَارِحٌ *** وَلَو قَطَعُوا رَأْسِي لدَيكِ وأوْصَالِي

حَلفتُ لَهَا بِاللَّه حَلْفَةَ فَاجِرٍ *** لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِي

فَلَمَّا تَنازَعنا الحَدِيثَ وأسْمَحَتْ *** هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخَ مَيَّالِ

فَصِرْنا إِلَىٰ الحُسنى ورقّ كلامُنا *** ورُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةٌ أيَّ إِذْلالِ

فأصبَحْتُ مَعْشُوقًا وأصْبَحَ بَعْلُهَا *** عَلَيهِ قَتَامٌ كاسفُ اللونِ والبَالِ

يَغُطُّ غَطِيطَ البَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ *** لِيَقتُلَنِي والمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَّالِ

أَيَقتُلُنِي وَالمَشرَفِيُّ مُضَاجِعِي *** وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيابِ أَغْوالِ

وليسَ بِذِي سَيْفٍ فَيَقْتُلَنِي بِهِ *** وليسَ بِذِي رُمْحٍ وليسَ بِنبَّالِ

أيَقتلني وَقَدْ قطرْتُ فؤادها *** كَمَا قَطَرَ المَهْنوَّةَ الرَّجلُ الطالي

وَقَدْ عَلِمَت سَلمى وَإِن كانَ بَعلُها *** بِأَنَّ الفَتَى يَهذِي وَلَيسَ بِفَعّالِ

وأَخْتِمُ بأبْيَاتٍ لعُمَرَ بنِ أبِي رَبيْعةَ المَخْزومِيِّ -غَفرَ اللهُ لَه- إِذْ يَقُولُ:

ولَـيلَةَ ذي دَورانَ جَشَّمْتِني السُّرىٰ *** وَقَدْ يَجشَمُ الهَولَ المُحِبُّ المُغَرَّرُ
فَبِتُّ رَقِيبًا لِلرِّفاقِ عَلى شَفًا *** أُحاذِرُ مِنهُم مَنْ يَطُوفُ وَأَنظُرُ
إِلَيهِم مَتى يَستَمكِنُ النَومُ مِنهُمُ *** وَلي مَجلِسٌ لَولا اللُبانَةُ أَوْعَرُ
وَباتَتْ قَلوصي بِالعَرَاءِ وَرَحْلُها *** لِطارِقِ لَيْلٍ أَو لِمَنْ جَاءَ مُعْوِرُ
وَبِتُّ أُناجي النَّفْسَ أَينَ خِباؤُها *** وَكَيفَ لِما آتي مِنَ الأَمْرِ مَصدَرُ
فَدَلَّ عَلَيها القَلبَ رَيًّا عَرَفْتُها *** لَها وَهَوى النَّفْسِ الَّذي كادَ يَظهَرُ
فَلَمّا فَقَدْتُ الصَوتَ مِنهُم وَأُطفِئَت *** مَصابيحُ شُبَّت في العِشاءِ وَأَنوُرُ
وَغابَ قُمَيرٌ كُنتُ أَرجو غُيُوبَهُ *** وَرَوَّحَ رُعْيانٌ وَنَوَّمَ سُمَّرُ
وَخُفِّضَ عَنِّي النَّومُ أَقبَلتُ مِشيَةَ ال *** حُبابِ وَرُكنِي خَشيَةَ الحَيِّ أَزوَرُ
فَحَيَّيتُ إِذْ فاجَأْتُها فَتَوَلَّهَت *** وَكادَت بِمَخفوضِ التَّحِيَّةِ تَجهَرُ
وَقالَت وَعَضَّتْ بِالبَنانِ فَضَحتَني *** وَأَنتَ امرُؤٌ مَيسورُ أَمرِكَ أَعسَرُ
أَرَيتَكَ إِذ هُنّا عَلَيكَ أَلَم تَخَفْ *** وُقيتَ وَحَولي مِن عَدُوِّكَ حُضَّرُ
فَوَاللَهِ ما أَدري أَتَعجيلُ حاجَةٍ *** سَرَت بِكَ أَم قَد نامَ مَن كُنتَ تَحْذَرُ
فَقُلتُ لَها بَل قادَني الشَّوقُ وَالهَوى *** إِلَيكِ وَما عَيْنٌ مِنَ النّاسِ تَنظُرُ
فَقالَت وَقَد لانَت وَأَفرَخَ رَوعُها *** كَلاكَ بِحِفظٍ رَبُّكَ المُتَكَبِّرُ
فَأَنتَ أَبَا الخَطّابِ غَيرُ مُدافَعٍ *** عَلَيَّ أَميرٌ ما مَكُثتَ مُؤَمَّرُ
فَبِتُّ قَريرَ العَينِ أُعطِيتُ حاجَتي *** أُقَبِّلُ فاهَا في الخَلاءِ فَأُكثِرُ
فَيا لَكَ مِن لَيلٍ تَقاصَرَ طُولُهُ *** وَما كانَ لَيلي قَبلَ ذَلِكَ يَقصُرُ
وَيا لَكَ مِن مَلْهىً هُناكَ وَمَجلِسٍ *** لَنا لَم يُكَدِّرْهُ عَلَينا مُكَدِّرُ!

عَاقِبَةُ التَّفْرِيطِ!

إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ تَسَاهَلَ فِي صِيَانَةِ نِسَائِهِ، وَفَتَحَ لَهُنَّ بَابَ الْفِتَنِ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ بِيَدَيْهِ، وَرَضِيَ لَهُنَّ بِالْوُقُوعِ فِيهَا، وَالِاسْتِشْرَافِ لَهَا، وَلَمْ يَرَ فِي ذَٰلِكَ بَأْسًا، وَلَا رَفَعَ بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ رَأْسًا!

فَيُخْرِجُهُنَّ إِلَى الْأَسْوَاقِ وَالطُّرُقَاتِ، وَيَرْضَى لَهُنَّ بِالِاخْتِلَاطِ فِي الْمَدَارِسِ وَالْجَامِعَاتِ، وَرُبَّمَا خَرَجْنَ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ، بِعَبَاءَاتٍ مُلَوَّنَةٍ مُزَرْكَشَةٍ مُطَرَّزَةٍ مَضْغُوطَةٍ؛ أَضْيَقُ مِنْ بَيَاضِ الْمِيمِ أَوْ صَدْرِ اللَّئِيمِ، أَوْ يُدْخِلُ عَلَيْهِنَّ مَا يُفْسِدُهُنَّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْفَازٍ وَدُشٍّ وَجَوَّالٍ، وَيَعْمَى أَوْ يَتَعَامَى عَمَّا فِيهَا مِنَ الْمَفَاسِدِ وَالْمَخَاطِرِ وَالْأَهْوَالِ!

فَخَالَفَ نُصْحَ النَّاصِحِينَ، وَوَعْظَ الْوَاعِظِينَ؛ بِأَنَّ هَذَا دَرْبٌ مَشِينٌ، وَفِعْلٌ مَهِينٌ، سيُوَالِي عَلَيْهِ الْوَيْلَاتِ، ويَحْسِرُ لَهُ عَنْ سَاقِ الْحَسَرَاتِ؛ وَحُجَّتُهُ فِي ذَٰلِكَ= أَنَا أَثِقُ بِزَوْجَتِي وَأُخْتِي وَابْنَتِي!

ثُمَّ يَتْرُكُ الْحَبْلَ عَلَى الْغَارِبِ، وَيُسَلِّمُ الْقِيَادَةَ لِلرَّاكِبِ؛ فَلَا يَنْتَبِهُ إِلَّا عَلَى وجْبَتِهِنَّ مِنْ أَعْلَى قِمَّةِ الْعَفَافِ وَالْفَضِيلَةِ، إِلَى قَعْرِ مُسْتَنْقَعِ الْقَذَارَةِ وَالرَّذِيلَةِ!

فَبَعْدَ وَقْعِ الرَّزِيَّةِ، وَحُلُولِ الْبَلِيَّةِ، وَافْتِرَاسِ عِرْضِهِ، وَافْتِرَاشِ أَرْضِهِ، وَوُقُوعِ الْفَأْسِ عَلَى الرَّأْسِ؛ يَحُلُّ عَلَيْهِ خِزْيٌ وَوَيْلٌ؛ وَفَضَائِحُ شَنِيعَةٌ لَا يَسْتُرُهَا لَيْلٌ، وَلَا يُغَطِّيهَا ذَيْلٌ!

فَبَعْضُهُمْ يُصِيبُهُ نَدَمٌ شَدِيدٌ، وَهَمٌّ عَتِيدٌ، وَهَوْلٌ يَشِيبُ مِنْهُ الْوَلِيدُ؛ فَيَعْتَزِلُ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، وَيَنْهَزِمُ أَمَامَ خِزْيِ الْوَاقِعِ الَّذِي مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ؛ فَيَعِيشُ مَا تَبَقَّى مِنْ أَيَّامِهِ فِي عَنَاءٍ، وَتَعَاسَةٍ كَانَ عَنْهَا فِي غِنًى، وَكُلُّ مَنْ رَآهُ، سَبَّهُ وَمَا وَاسَاهُ.

فَرُبَّمَا انْجَلَطَ، أَوْ جُنَّ وَاخْتَلَطَ! وَأَقَلُّ أَحْوَالِهِ تَنْكِيسُ رَأْسِهِ، وَذُلُّهُ بَيْنَ قَوْمِهِ وَأَبْنَاءِ جِنْسِهِ.

وَبَعْضُهُمْ يَسْتَثِيرُ حَمِيَّتَهُ، وَيَسْتَنْهِضُ غَيْرَتَهُ، وَيَتَظَاهَرُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الحِشْمَةِ وَالشَّهَامَةِ، وَذَوِي الْعِفَّةِ وَالْكَرَامَةِ؛ فَيُعَالِجُ الزُّكَامَ بِالْجُذَامِ؛ وَيُزِيلُ الْمَكْرُوهَ أَوْ خَفِيفَ الْمُحَرَّمِ بِأَشَدِّ الْحَرَامِ

يُبادِرُ بِالكَيِّ قَبلَ الضِّمادِ *** وَيُسعِطُ بِالسَّمِّ لا بِالحُضَض

فَيُلْقِمُ بُنْدُقَهُ بِالرَّصَاصِ، وَيَسْعَى لِعِرْضِهِ مِنْ عِرْضِهِ بِالْقِصَاصِ، فَيَقْتُلُهَا أَوْ يَقْتُلُ نَفْسَهُ؛ وَيَظُنُّ أَنَّهُ بِذَلِكَ قَدْ مَحَا الْعَارَ، وَأَزَالَ الشَّنَارَ، وَمَا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَوْبَقَ نَفْسَهُ، وَجَلَبَ نَحْسَهُ، وَرُبَّمَا اسْتَوْجَبَ قَتْلَهُ أَوْ حَبْسَهُ. فَمَثَلُ هَذَا الْأَحْمَقِ فِي الْفِرَارِ مِنَ الْعَارِ= كَمَثَلِ نَعَامَةٍ أَحَسَّتْ بِبَعْضِ الْأَخْطَارِ؛ فَغَرَسَتْ رَأْسَهَا فِي الرَّغَامِ، وَظَنَّتْ أَنَّهَا فِي سَلَامٍ!

نَدِمَ عَلَى التَّفْرِيطِ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، وَطَلَبَ الْاسْتِدْرَاكَ فِي وَقْتِ الْعَدَمِ! ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونُس:٩١]. أَلا فَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ، وَلَا تَقْرَعَنَّ إِلَّا ضِرْسَكَ، وَلَا تَخْمِشَنَّ إِلَّا وَجْهَكَ. ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [إبْراهيم:٢٢].

أَتَتركُ مَن تُحبُّ وأنتَ جارُ *** وتطلُبُهُمْ وقد بَعدَ المزارُ

وتَبكي بعدَ نأيهِمُ اشتياقًا *** وتسألُ في المنازلِ أينَ ساروا

تركتَ سؤالَهُمْ وهُمُ حُضورٌ *** وترجُو أن تُخبرَكَ الدّيارُ!

فنفسَكَ لُمْ ولا تَلُمِ المطايا *** ومُتْ كَمداً فليسَ لكَ اعتذارُ

يَا أَخِي؛ دِرْهَمُ وِقَايَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِنْطَارِ عِلَاجٍ، وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ؛ فَلَوْ أَنَّكَ شَدَدْتَ وَحَزَمْتَ، وَبِشَرْعِ اللهِ التَزَمْتَ؛ لَسَلِمْتَ؛ وَالسَّلَامَةُ خَيْرُ مَغْنَمٍ لَا سِيَّمَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ

الَّتِي عَزَّتْ فِيهَا السَّلَامَةُ. وَيَرْحَمُ اللهُ الشَّيْخَ بَكْرًا إِذْ يَقُولُ فِي حِرَاسَتِهِ : "**وَفَسَادُ النِّسَاءِ سَبَبُهُ الْأَوَّلُ= تَسَاهُلُ الرِّجَالِ**".

أيْنَ كُنّا وإلَى أيْنَ صِرْنا!

قَالَ الْعَلَّامَةُ بَكْرُ بْنُ عَبْدِاللهِ أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي كِتَابِهِ [أَدَبُ الْهَاتِفِ، صـ ٣٢]:

"وَعَلَى رَبِّ الدَّارِ أَن يَبْذُلَ الْأَسْبَابَ، وَيُوَفِّرَ الضَّمَانَاتِ لِحِمَايَةِ مَحَارِمِهِ مِنَ الْعَابِثِينَ وَالسُّفَهَاءِ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ: **أَن يَكُونَ الْهَاتِفُ فِي مَكَانٍ لَا تَغِيبُ عَنْهُ الرَّقَابَةُ الْبَيْتِيَّةُ، مَعَ مَنْعِ تَعَدُّدِ أَجْهِزَةِ الْهَاتِفِ فِي الدَّارِ، خَاصَّةً فِي غُرَفِ الْبَنَاتِ**، ..وَهَكَذَا مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى مُحِبِّي الْعِفَّةِ وَالْكَرَامَةِ" اهـ.

قُلتُ: رَحِمَ اللهُ الشَّيْخَ بَكْرًا وَغَفَرَ لَهُ؛ مَا كَانَ أَشَدَّ غَيْرَتَهُ عَلَى أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ وَنِسَائِهِمْ!، يُدْرِكُ ذَلِكَ مَنْ عَاشَرَهُ أَوْ قَرَأَ كُتُبَهُ وَاطَّلَعَ عَلَى سِيرَتِهِ. وَقَدْ جَاءَ فِي سِيرَتِهِ: أنّه كانَ مِنْ أَسْبَابِ اشْتِدَادِ الْمَرَضِ بِالشَّيْخِ... كِتَابَاهُ: حِرَاسَةُ الْفَضِيلَةِ، وَالْمَدَارِسُ الْعَالَمِيَّةُ الْأَجْنَبِيَّةُ، اللَّذَيْنِ كَتَبَهُمَا الشَّيْخُ بِحُرْقَةٍ بَالِغَةٍ، وَأَلَمٍ عَمِيقٍ، وَمَنْ قَرَأَهُمَا عَلِمَ مِقْدَارَ تَأَثُّرِ الشَّيْخِ وَحُزْنِهِ وَأَسَفِهِ. اهـ.

وَهُوَ هُنَا يَتَكَلَّمُ عَنْ الْهَاتِفِ الثَّابِتِ، وَأَنَّ مُحِبَّ الْعِفَّةِ وَالْكَرَامَةِ يَجِبُ أَلَّا يَضَعَ الْهَاتِفَ فِي مَكَانٍ تَنْعَدِمُ فِيهِ رَقَابَةُ مَنْ فِي الْبَيْتِ، وَمَنَعَ مِنْ تَعَدُّدِ الْهَوَاتِفِ فِي الْبَيْتِ؛ خَاصَّةً فِي غُرَفِ الْبَنَاتِ! فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ بِهِ لَوْ رَأى مَا يَحْدُثُ الْآنَ وَمَا أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهُ؛ مِنْ تَمْلِيكِ النِّسَاءِ جَوَّالاتٍ حَدِيثَةٍ، وَوُلُوجِهِنَّ لُجَّةَ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ، وَخَوْضِهِنَّ فِي كُلِّ فِتْنَةٍ! فَتَخْلُو الْمَرْأَةُ بِهَاتِفِهَا فِي بَيْتِهَا وَفِي غُرْفَةِ نَوْمِهَا وَتَحْتَ غَطَائِهَا؛ لِتَتَصَفَّحَ مَا شَاءَتْ، وَتَنْظُرَ إِلَى مَا شَاءَتْ، وَتَذْهَبَ إِلَى حَيْثُ شَاءَتْ، بِلا رَقِيبٍ وَلَا حَسِيبٍ مِنَ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا..!

فَالناسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ *** وَرَحَى الْهَوَاتِفِ تَطْحَنُ!

رَحِمَكَ اللهُ أَيُّهَا الشَّيْخُ الفَطِنُ الْغَيُورُ؛ تَمْنَعُ مِنْ وَضْعِ الْهَاتِفِ الثَّابِتِ فِي غُرَفِ الْبَنَاتِ! مَا الْهَاتِفُ الثَّابِتُ! وَمَا أَضْرَارُهُ وَمَخَاطِرُهُ! وَمَا الْإِمْكَانِيَّاتُ الْمُمْكِنَةُ فِيهِ! وَأَيْنَ هُوَ مِنْ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ الْحَدِيثَةِ، وَالْمَوَاقِعِ الْخَبِيثَةِ!

رَحِمَكَ اللهُ، كَيْفَ بِكَ لَوْ رَأَيْتَ نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَبَنَاتِهِمْ وَفِي أَيْدِيهِنَّ هَذِهِ الْجَوَّالاتُ الْخَبِيثَةُ الَّتِي تَجْلِبُ الشَّرَّ الْمُتَفَرِّقَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ إِلَى شَاشَةٍ وَاحِدَةٍ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ مُخْتَلِطُونَ فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ!

وَيَسْتَطِيعُ الرَّجُلُ أَنْ يَخْلُوَ بِمَنْ شَاءَ مِنَ النِّسَاءِ، وَمِمَّا ضَاعَفَ الشَّرَّ فِيهَا؛ إِمْكَانِيَّةُ الِاتِّصَالِ بِالصَّوْتِ وَالصُّورَةِ!

وَكَذَلِكَ يَسْتَطِيعُ الرَّجُلُ الْحُصُولَ عَلَى مِئَاتِ الْأَرْقَامِ وَالْحِسَابَاتِ لِلنِّسَاءِ بِطُرُقٍ كَثِيرَةٍ لَا نُرِيدُ ذِكْرَهَا؛ حَتَّى لَا يَكُونَ الْمُحَذِّرُ مِنَ الشَّرِّ دَالًّا عَلَيْهِ.

ثُمَّ يَأْتِي بَعْضُ مَن يُظَنُّ فِيهِ الْعِلْمُ وَالصَّلاحُ فَيَقُولُ:

الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ لَا يُخَافُ عَلَيْهَا مِنَ الْجَوَّالِ!

وَلَا بَأْسَ مِنْ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالاتِ كَالرِّجَالِ!

وَلَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَفْتِّشَ جَوَّالَ امْرَأَتِهِ دُونَ أَنْ يَجِدَ مِنْهَا مَا يَرِيبُهُ!

فَالْحَقُّ أَنَّ أَعْرَاضَ النِّسَاءِ لَيْسَتْ آمِنَةً وَفِي أَيْدِيهِنَّ هَذِهِ الْجَوَّالاتُ؛ بَلْ هِيَ رِيشَةٌ فِي مَهَبِّ الْعَوَاصِفِ! وَمَهْمَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ ذَاتَ دِينٍ وَخُلُقٍ فَإِنَّهَا لَا أَمَانَ عَلَيْهَا وَفِي يَدِهَا هَذِهِ الْوَسَائِلُ الْجَالِبَةُ لِلْفَسَادِ، الْمُعِينَةُ عَلَيْهِ. **وَإِنْ أَمِنْتَهَا عَلَى الْجَوَّالِ فَلَا تَأْمَنِ الْجَوَّالَ عَلَيْهَا.**

يَا قَوْمُ لَا تَأْمَنُوا إِنْ كُنْتُمُ غُيُرًا *** عَلَى نِسَائِكُمُ الجَوَّالَ وَالشَّبَكَةْ

مَنِ المُخْطِئ؟!

تَرِدُنَا قِصَصٌ فِي وُقُوعِ بعضِ النِّسَاءِ والْفَتيَاتِ، فِي الْفَوَاحِشِ وَالْمُوبِقَاتِ، بِسَبَبِ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ، وَفِي بَعْضِها: أنّ أَهْلَهُنَّ قَدْ يَقْتُلُونَهُنَّ أَوْ يَعْتَدُونَ عَلَيْهِنَّ عُدوانًا شَديدًا، وَلَا يُحَمِّلُونَ أَنْفُسَهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِّنَ الْإِثْمِ، وَعَامَّةُ النَّاسِ لَا يَرَوْنَ لَهُمْ يَدًا فِي هَذَا، وَلَا كَأَنَّهُمْ فَرَّطُوا في الحِفَاظِ على أهلِهم، وَضَيَّعُوا رَعَايَاهُمْ، وَخَانُوا أَمَانَاتِهِمْ؛ نَحْنُ لَا نُنكِرُ أَنَّهُنَّ عَاصِيَاتٌ مُسِيئاتٌ خَائِنَاتٌ مُسْتَحِقَّاتٌ للْعُقُوبَةِ والتّقريع. وَأَنَّ مَن يَفْعَلُونَ هَذَا بِأَعْرَاضِ النَّاسِ مُجْرِمُونَ مُعْتَدُونَ يَسْتَحِقُونَ الزَّجْرَ وَالتَّأْدِيب.

لَكِنَّ الْمُخْطِئَ الْأَكْبَرَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْقَضَايَا هُوَ ذَلِكَ الْأَبُ الْغَافِلُ، وَالزَّوْجُ الْمُتَسَاهِلُ، وَالْأَخُ الْمُفَرِّطُ، فِي زَمَانٍ مَن غَفِلَ فِيهِ أُكِلَ. ويَدَاكَ أَوْكَتا وَفُوكَ نَفَخ.

فَاللهَ اللهَ فِي حِفْظِ النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ مُسْتَوْدَعُ أَعْرَاضِكُمْ وَكَرَامَتِكُمْ، فَلَا تُعَرِّضُوهُنَّ لِمَا يَشِينُ وَلَا يَزِينُ، وإِذَا أُهْمِلَتِ النِّسَاءُ ضِعْنَ ضَيْعَةَ الْأَبَدِ!

كَيْفَ يُعْطِي الرَّجُلُ ابْنَتَهُ أَوْ زَوْجَتَهُ أَوْ أُخْتَهُ جَوَّالًا خَبِيثًا! ثُمَّ لَا يَكْتَفِي بِهَذَا؛ بَلْ يَرْضَى لَهَا بِالتَّنَقُّلِ فِي كُلِّ الْبَرَامِجِ وَالْمَوَاقِعِ!، هَذَا -وَاللهِ- قَدْ يَكُونُ مِنَ التَّفْرِيطِ فِي الرِّعَايَةِ وَضَعْفِ الْغَيْرَةِ، أَوْ مِنَ الْجَهْلِ بِمَا فِي هَذِهِ الْجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ؛ وَلَا تَجُوزُ الْغَفْلَةُ عَمَّا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ.

فَإِن كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلكَ مُصِيبَةٌ *** وَإِن كُنْتَ تَدْرِي فَالْمَصِيبَةُ أَعْظَمُ

وَلَا يَجُوزُ كَذَلِكَ أَنْ يَنهَزِمَ لِلْوَاقِعِ الْمُحِيطِ بِهِ؛ ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:١٤٦]. فَاللَّوْمُ الْأَكْبَرُ عَلَى الْوَلِيِّ الَّذِي لَمْ يُحْسِنِ الرِّعَايَةَ، وَلَا سَلَكَ سُبُلَ الْوِقَايَةَ:

وَمَن رَعَى غَنَمًا فِي أَرْضِ مَسْبَعَةٍ *** وَنَـامَ عَـنْهَا تَـوَلَّى رَعْيَـهَا الْأَسَـدُ
وَلَا يُـلَامُ الـذِّئْـبُ فِـي عُـدْوَانِـهِ *** إِن يَـكُ الـرَّاعِـي عَـدُوَّ الْـغَـنَمِ
فَاسْتَـمِعُوا قَـوْلَ الشَّفِيقِ النَّـاصِـحِ *** وَإِلَّا فَـاسْـتَـعِـدُّوا لِـلْـفَـضَـائِـحِ
وَجَـهِّـزُوا لِـعِـرْضِـكُـمْ أَكْـفَـانًـا *** سَـــوداءَ، وَلْـتَـرْتَـقِبُوا الْـهَـوَانَـا

وَلَسْتُ أُعَمِّمُ، وَأَدَّعِي مَا لَا بُرْهَانَ لِي بِهِ، فَإِنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ -وَقَلِيلٌ مَا هُنَّ- قَدْ يَنْتَفِعْنَ بِهَذِهِ الْجَوَّالَاتِ، لَكِنْ أَدْعُوكُمْ لِتَحْتَاطُوا لِأَعْرَاضِكُمْ؛ فَإِنَّ فَسَادَ النِّسَاءِ بِالْجَوَّالَاتِ سَبِيلٌ مَسْلُوكَةٌ؛ وَ«**كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الشَّوْكِ الْعِنَبُ كَذَلِكَ لَا يَنْزِلُ الْفُجَّارُ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ فَاسْلُكُوا أَيَّ طَرِيقٍ شِئْتُمْ فَأَيَّ طَرِيقٍ سَلَكْتُمْ وَرَدْتُمْ عَلَى أَهْلِهِ**».

إنَّهَا الحَرْبُ!

إنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ اضمِحْلالِ الأَخْلاقِ وَتَفَشِّي السَّفَاهاتِ، والْوُقُوعِ فِي الشُّبُهاتِ، وَارْتِكَابِ المحَرَّماتِ، وَتَدْمِيرِ الفَضَائِلِ وَالمَكْرُمَاتِ، وَتَمْيِيعِ الشَّبَابِ وَالشَّاباتِ، وَتَضْيِيعِ الأَوْقَاتِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الرَّزِيَّاتِ؛ لَهِيَ هَذِهِ الجَوَّالاتُ!

فَخَيْرُهَا لا يُسَاوِي عُشْرَ مِعْشَارِ ضَرَرِهَا، تَأْخُذُ مِنكَ كَثِيرَ وَقْتٍ وَمَالٍ، وَتَجْنِي مِنْهَا الضَّيَاعَ وَالْوَبَالَ، وَيَتَرَدَّى بِكَ الحَالُ إِلَى أَسْوَأِ الأَحْوَالِ، وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنْشُرُ الْخَيْرَ، وَتُفِيدُ الْغَيْرَ؛ إِلَّا أَنَّكَ فِي الْحَقِيقَةِ قَدْ ضَيَّعْتَ نَفْسَكَ، وَأَهْدَرْتَ وَقْتَكَ، وَأَفْنَيْتَ عُمُرَكَ، فِي قَلِيلِ فَائِدَةٍ وَكَثِيرِ ذُنُوبٍ وَبَلَايَا حَاصِلَةٍ!

هَذَا إِنْ كَانَ مُسْتَخْدِمُهُ فَطِنًا لَبِيبًا ذا اسْتِقَامَةٍ وَدِينٍ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ لَا فِطْنَةَ لَهُ وَلَا اسْتِقَامَةَ وَلَا دِينٍ؛ يَتَخَبَّطُ تَخَبُّطَ الأَعْشَى، وَيَبِيعُ دِينَهُ وَعِرْضَهُ بِعَرَضٍ مَنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، فَيَكُونُ حَالُهُ كَمَنْ اسْتَبْدَلَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالذي هُو مِنْهُ أَرْقَى وَأَعْلَى، وَكَمَنْ يَسْتَبْدِلُ الْبَصَلَ بِالْعَسَلِ، وَالْعَاجِلَةَ الْفَانِيَةَ بِالْآجِلَةِ الْبَاقِيَةِ.

إِنَّ هَذِهِ الجَوَّالاتِ وَالشَّبَكَاتِ غَزْوٌ غَزَانَا بِهِ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ، وحَرْبٌ ناعِمَةٌ شَنُّوها علَيْنا، فأَغْنَتْهُم عنِ تَجْدِيدِ الحَمَلاتِ الصَّلِيبِيّةِ، والحُرُوبِ المَيْدانِيَّة، بَلْ كَأَنِّي بِالشَّيْطَانِ قَاعِدٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ قَدْ أَوْكَلَ مُهِمَّةَ الْإِضْلَالِ إِلَى نَائِبِهِ الْجَوَّالِ!

لَقَدْ غُزِينا إِلَى عُقْرِ دُورِنَا، غُزِينا فِكْرِيًّا وَعَقَدِيًّا؛ غَزْوًا يَسْتَهْدِفُ دِينَنَا وَقِيَمَنَا وَأَخْلاقَنَا حَتَّى نَكُونَ كَالْبَهَائِمِ حَيْثُمَا يَدُورُونَ دُرْنَا، وَأينما يَسِيرُونَ سِرْنَا، نَتْبَعُهُمْ كَمَا يَتْبَعُ الْقَطِيعُ رَاعِيَهُ، والظِّلُّ صَاحِبَه.

غَزَا الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ حَتَّى فَسَدَتْ عَقَائِدُهُمْ وَأَخْلَاقُهُمْ، وَضُيِّعَتْ أَوْقَاتُهُمْ، وَتَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ، وَفَسَدَتْ نِسَاؤُهُمْ، وَنُزِعَتِ الْغَيْرَةُ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْبَحَتِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِمْ، بِهَا يَعْتَزُّونَ وَيَتَفَاخَرُونَ، وَمِنْ أَجْلِهَا يَعْمَلُونَ.

نَبَذُوا الْقُرْآنَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، ضَيَّعُوا الْجُمَعَ وَالْجَمَاعَاتِ، وَالْفَرَائِضَ وَالْوَاجِبَاتِ، يُعَادُونَ أَوْلِيَاءَ اللهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَيُوالُونَ أَعْدَاءَ اللهِ مِنْ يَهُودٍ وَنَصَارَى وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكَافِرِينَ، يَسْخَرُونَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ، وَيَرْفَعُونَ الْمُمَثِّلِينَ وَالْفَنَّانِينَ السَّاقِطِينَ الْأَقْزَامِ؛ فَهَذَا هُوَ الْغَزْوُ الَّذِي غُزِينا بِهِ.

ثُمَّ إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَأْجَرُوا الزَّنَادِقَةَ وَالْمُلْحِدِينَ، لِيُشَوِّهُوا الدِّينَ وَيُحَارِبُوهُ بِاسْمِهِ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الْمِسْكِينُ، ضَعِيفُ الْعَقِيدَةِ رَكِيكُ الدِّينِ، فَيَدْخُلُ مَوَاقِعَهُمْ؛ فَيَقَعُ فِي شِبَاكِهِمْ وَيَتَأَثَّرُ بِهِمْ، وَيَجْعَلُ عَقْلَهُ صُنْدُوقًا لِقُمَامَاتِهِمْ وَمَزَابِلِهِمْ، فَمَا إِنْ يَلْبَثْ يَسِيرًا إِلَّا وَقَدْ أَصْبَحَ مِنَ الْمُرَوِّجِينَ لَهُمْ، الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَكَذلِك يسْتَأْجِرُونَ الْبَغَايَا وَالْعَاهِرَاتِ، لِيُفْسِدُوا الْفَتَيَاتِ الْمُسْلِمَاتِ؛ فَتَأْتِي تِلْكَ الْمِسْكِينَةُ -الَّتِي لَيْسَ لَهَا عاصِمٌ- لِتَدْخُلَ هُنَا وَهُنَاكَ تُتَابِعُ الْأَزْيَاءَ وَالْمَوْضَاتِ، وَأَخْبَارَ الْفَنَّانِينَ وَالْفَنَّانَاتِ، وَالْمُمَثِّلِينَ وَالْمُمَثِّلَاتِ؛ ظَنًّا مِنْهَا أَنَّهَا تُحسِنُ صُنْعًا، وَأَنَّهَا سَتُصْبِحُ الْمُثَقَّفَةَ بَيْنَ صُوِيحِبَاتِهَا وَنِسَاءِ حَيِّهَا، وَالْمُتَفَنِّنَةَ بِلِبَاسِهَا وَزِينَتِهَا؛ فَتَفْسُدُ وَتَنتَكِسُ فِطْرَتُهَا، وَتَهْتِكُ سِتْرَهَا، وَتَهْدِمُ شَرَفَهَا وَشَرَفَ قَبِيلَتِهَا بِيَدِهَا. فَيَجِبُ عَلَى الْعُقَلَاءِ الْفَطِنِينَ أَنْ يَتَنَبَّهُوا لِهَذِهِ الْأُمُورِ؛ الْآنَ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ.

فَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا غَزْوٌ فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْذَرَ أَنْ نَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ وَشِبَاكِهِمْ، وَأَنْ نَثْبُتَ وَنَصْبِرَ وَنُصَابِرَ وَنُرَابِطَ بِكُلِّ مَا أُوتِينَا مِنْ قُوَّةٍ، وَنَعْمَلَ جَاهِدِينَ مِنْ أَجْلِ تَرْكِ هَذَا الْجَوَّالِ

اللَّعِينِ؛ فَوَاللهِ إِنَّهُ لَشَرُّ بَلَاءٍ وَوَبَاءٍ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَأْصِلَهُ ونَتَخَلّصَ مِنهُ؛ وهُوَ خَطَرٌ يَفْتِكُ بِالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، ودُودَةٌ تنْخَرُ فِي جَسَدِها.

فَاسْتَيْقِظُوا مِنْ نَوْمِكُمْ يَرْحَمُكُمُ اللهُ، وَأَفِيقُوا مِنْ سُبَاتِكُمْ يَا أَيُّهَا الْكِرَامُ الأَبْرَارُ، يَا أَحْفَادَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فالْعَزْمَ الْعَزْمَ وَالْحَزْمَ الْحَزْمَ، اتَّقُوا اللهَ فِي مَنِ اسْتَرْعَاكُمْ مِنْ بَنِينَ، وَبَنَاتٍ، وَزَوْجاتٍ وَأَخَوَاتٍ، حْافِظُوا عَلَى فِطْرَتِهِمْ، عَلِّمُوهُمْ وَأَشْغِلُوهُمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، أَبْعِدُوا عَنْهُمْ مَا يُفْسِدُهُمْ وَيُدَمِّرُ أَخْلَاقَهُمْ، ادْفَعُوهُمْ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَحِلَقِ الذِّكْرِ؛ فَوَاللهِ لَا يَتَخَرَّجُ الرِّجَالُ رَجَالًا إِلَّا مِنْ هُنَاكَ، وَلَا تَصْلُحُ الْمَرْأَةُ إِلَّا إِذَا تَعَلَّمَتْ دِينَهَا، وَتَرَكَتْ مَا يَشْغَلُهَا عَنْهُ، وَكَانَ لَهَا مِنْ يَرْعَاهَا وَيُحَافِظُ عَلَيْهَا. فيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحَافِظُوا عَلَى أَعْرَاضِكُمْ أَشَدَّ مِنْ حِفَاظِكُمْ عَلَى أَرْوَاحِكُمْ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى النِّسَاءِ لَهُوَ إِبْعَادُ هَذِهِ الجَوَّالاتِ عَنْ أَيْدِيهِنَّ، وَعَدَمُ تَمْكِينِهِنَّ مِنْها الْبَتَّةَ؛ لِأَنَّهُ سَبِيلٌ إِلَى فَسَادِهِنَّ وَضِيَاعِ أَوْقَاتِهِنَّ، وَأَعْظَمُ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ النُّشُوزِ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وَعَدَمِ الْقِيَامِ بِوَاجِبَاتِهِنَّ مِنْ تَنْظِيفٍ وَطَبْخٍ وَتَرْبِيَةٍ لِأَوْلَادِهِنَّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي تَتْرُكُهَا كَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ بِسَبَبِ انْشِغَالِهِنَّ بِهَذِهِ الجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ.

فيا أَيُّهَا الْمُبَارَكُ؛ لَا تَقُلْ إِنَّنَا نَشُكِّكُكَ فِي أَهْلِكَ؛ لَا وَاللهِ إِنَّمَا نُذَكِّرُكَ أَنْ تَحْرِصَ عَلَيْهِنَّ قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، فَالذِّئَابُ بَلِ الثَّعَالِبُ وَالْكِلَابُ كَثِيرَةٌ جِدًّا تَتَرَبَّصُ وَتَبْحَثُ عَنْ فَرِيسَةٍ لَهَا، فَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ فَرِيسَةً لَهُمْ.

تَعْدُو الْكِلَابُ عَلَى مَنْ لَا أُسُودَ لَهُ *** وَتَتَّقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي

لِتَكُنْ أَسَدًا يَحْمِي رَعِيَّتَهُ مِنْ تِلْكَ الْكِلَابِ، وَلتَسُدَّ بَابَ الْفِتْنَةِ؛ بِعَدَمِ تَمْكِينِهِنَّ مِنَ الجَوَّالاتِ، وَلْتَنظُرْ حَالَ كَثِيرٍ مِنَ الَّذِينَ مَكَّنُوا نِسَاءهُم مِنَ الجَوَّالاتِ كَيْفَ اعْتَدَتْ تِلْكَ

الْكِلَابُ عَلَى نِسَائِهِمْ!؛ هُتِكَتْ أَعْرَاضُهُمْ، وَنُكِّسَتْ رُؤُوسُهُمْ، وَكُسِّرَتْ ظُهُورُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا أُسُودًا بَلْ كَانُوا نِعَاجًا. وَالسَّعِيدُ مِنَ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مِنْ لَمْ يَتَّعِظْ أَوْ كَانَ عِظَةً لِغَيْرِه. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَسَائِلُ وَبَدَائِلُ

أَحَدُ الإِخْوَةِ الكِرَامِ عَرَفَ خَطَرَ الجَوَّالاتِ وَخَطَرَ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْهَا، وَيُرِيدُ مَعْرِفَةَ الْوَسَائِلِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا لِمَنْعِ أَهْلِهِ مِنْهَا، وَالْبَدَائِلِ عَنْهَا.

أَقُولُ: يَنْبَغِي عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ حَازِمًا فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ الْخَطِيرِ؛ فَيَمْنَعَ عَنْ أَهْلِهِ هَذِهِ الجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ حَتَّى تُجْمِعَ الإِيَاسَ والإِبْلاَسَ، وَتَرَى أَنَّ تَنَاوُلَ الشَّمْسِ، وَرَدَّ الأَمْسِ، أَيْسَرُ مِنْ تَمْكِينِهَا مِنْهَا، أَوْ رَدِّهَا إِلَيْهَا بَعْدَ إِبْعَادِهَا عَنْهَا.

لِأَنَّ القَضِيَّةَ قَضِيَّةُ عِرْضٍ، وَالْمَصِيبَةُ فِي العِرْضِ جُلّى، فَإِن وَلَّى فَقَدْ وَلَّى!

إِذَا ذَهَبَ الْحِمَارُ بِأُمِّ عَمْرٍو *** فَلَا رَجَعَتْ وَلَا رَجَعَ الْحِمَارُ!

لَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ رُبَّمَا يَتَسَاهَلُ فِي الْبِدَايَةِ تَحْتَ وَطْأَةِ الْوَاقِعِ، وَإِلْحَاحِ النِّسَاءِ، وَبِدَعْوَى التَّرْفِيهِ عَلَى الْأَهْلِ وَالثِّقَةِ بِهِمْ وَنَحْوِ هَذَا، إِضَافَةً إِلَى قِصَرِ النَّظَرِ فِي مَخَاطِرِ هَذِهِ الْفَعْلَةِ الشَّنِيعةِ؛ مَعَ جَلَائِهَا لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ وَبَصِيرَةٍ!

وَمَعَ ذَلِكَ فَـ «**الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ**»؛ فَإِذَا ذُكِّرَ تَذَكَّرَ، وَإِذَا نُبِّهَ تَنَبَّهَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾. [الأعراف: ٢٠١].

وَبَعْضُ الإِخْوَةِ الكِرَامِ إِذَا تَجَلَّتْ لَهُ مَخَاطِرُ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْ هَذِهِ الجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ؛ نَدِمَ عَلَى تَمْكِينِ أَهْلِهِ مِنْهَا، لَكِنَّهُ يَرَى أَنَّ أَخْذَهَا مِنْهُمُ الْآنَ صَعْبٌ جِدًّا، فَيَخَافُ أَنْ تَذْهَبَ تَتَبَاكَى عِندَ أَهْلِهَا، وَأَنَّهُ لَا يَثِقُ بِهَا، وَتَتَّهِمُهُ بِأَنَّهُ يَتَخَوَّنُهَا.. وَإِلَّا لَمْ يَمْنَعْهَا بَعْدَ تَمْكِينِهَا، فَقَطْعُ الْعَادَةِ عَدَاوَةٌ! وَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا وَغَيْرَهُ وَسَمِعْتُهُ فِي الْوَاقِعِ.

فَمِنَ الْوَسَائِلِ: أَنْ تَحْزِمَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَتَجْعَلَهَا قَضِيَّةً مَصِيرِيَّةً لَا تَتَّسِعُ لِقَوْلَيْنِ، وَتُبَيِّنَ لِأَهْلِكَ مَخَاطِرَهَا وَأَضْرَارَهَا وَعَدَمَ رِضَاكَ بِامْتِلَاكِهِمْ لَهَا، وَتَأْمُرَهُمْ بِتَسْلِيمِ هَوَاتِفِهِمْ، فَإِذَا رَأَى أَهْلُكَ ذَلِكَ مِنْكَ خَضَعُوا وَسَلَّمُوهَا وَلَمْ يُجَادِلُوا فِي مَسْأَلَةٍ هَذَا شَأْنُهَا عِنْدَكَ. وَ:

هُــنَّ عَـوَادِي يُـوسُـفٍ وَصَـوَاحِـبُـه*** فَعَزْمًا فَقِدْمًا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَـالِبُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْتَخْلِصِ الْحَزْمُ نَفْسَهُ *** فَذِرْوَتُـهُ لِـلْـحَـادِثَـاتِ وَغَـارِبُـهُ

وَمِنَ الْوَسَائِلِ: أَنْ تَسْتَخْدِمَ الرِّفْقَ وَالتَّرْغِيبَ؛ فَمَا كَانَ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، فَبَيِّنْ لِأَهْلِكَ خَطَرَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَعَدَمَ رِضَاكَ بِوُلُوجِهِمْ فِيهَا، خَوْفًا عَلَيْهِمْ، وَسَعْيًا فِي سَلَامَتِهِمْ، واسْتِئْثَارًا بِهِم..، وَإِن كُنتَ مُوسِرًا فَرَغِّبْهُمْ بِتَعْوِيضِهِمْ عَنْهَا بِبَعْضِ الْهَدَايَا النَّافِعَةِ لَهُمْ مِنَ الكُتُبِ أَوِ الزِّينَةِ أَوِ المَالِ ونَحْوِه.

فَهَذَانِ حَلَّانِ جَامِعَانِ لِمَا قَدْ قِيلَ أَوْ سَيُقَالُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا تَرَاهُ مُنَاسِبًا لَكَ ولِأَهْلِكَ؛ إِمَّا التَّرْغِيبَ أَوِ التَّرْهِيبَ، وَإِن مَزَجْتَهُمَا فَقَدْ أَفْلَحْتَ وَأَنْجَحْتَ، ولَا تَلتَفِتْ لِلْحُلُولِ المُطَوّلةِ فإنَّ فِي بَعْضِهَا امْتِهَانٌ لِلرُّجُولَةِ!

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا *** مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

وَأَمَّا **الْبَدَائِلُ**؛ فَإِن دَعَتِ الْحَاجَةُ فَأَبْدِلْهُمْ عَنْهَا بِالجَوَّالاتِ الْعَادِيَّةِ، أَوِ الهَوَاتِفِ الثَابِتَةِ، مَعَ الْحَذَرِ مِنْ شَرِّهَا؛ فإنَّها لَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْ شَرٍّ؛ وَلَكِنَّ بَعْضَ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ.

وَهَنِيئًا -واللهِ- لِمَنْ مَنَعَ أَهْلَهُ مِنْ هَذِهِ الجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ، وَأَوْصِيهِمْ بِالْحَزْمِ وَالْصَّرامَةِ فِي هَذَا الْبَابِ، فَإِذَا رَأَى أَهْلُهُمْ ذَلِكَ مِنْهُمْ يَئِسُوا، فَيَنْتُج عَنْهُ السُّلُوُّ وَانْقِطَاعُ الرَّغْبَةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

النِّسَاءُ وَالتَّصْوِيرُ.. أَخْطَارٌ وَأَضْرَارٌ

كَانَ النَّاسُ إِلَى عَهْدٍ قَرِيبٍ يَعِيشُونَ فِي سِتْرٍ وَأَمَانٍ، يُلْزِمُونَ نِسَاءَهُمُ الْبُيُوتَ، وَيَحْجُبُونَهُنَّ بِالْخُدُورِ، فَتَبْقَى الْمَرْأَةُ فِي بَيْتِهَا دُرَّةٌ مَصُونَةٌ، وَبَيْضَةٌ مَكْنُونَةٌ، يَطْمَعُ الطَّامِعُونَ فِيهَا بِنَظْرَةٍ إِلَيْهَا، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا؛ فَدُونَهَا خَرْطُ الْقَتَادِ، وَقِتَالُ الْآسَادِ. "وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَحَبَّ الْفَتَاةَ يَطُوفُ حَوْلَ دَارِهَا حَوْلًا، يَفْرَحُ أَنْ يَرَاها أو يَرَى مَنْ يَرَاهَا!" هَذَا إِذَا لَمْ يُمْنَعْ مِنَ الْمُرُورِ قُرْبَ دَارِهَا كَمَا مُنِعَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فَقَالَ:

إن يَمنَعُوني ممَرِّي قُربَ دارِهِمُ *** فَسوفَ أَنْظرُ من بُعدٍ إلى الدَّارِ!

وَانْظُرُوا إِلَى قِيمَةِ النَّظْرَةِ عِندَهُمْ؛ فَقَدْ قَالَ بَعْضُ شُعَرَائِهِم:

قُلْتُ اسْمَحُوا لِي أَنْ أَفُوزَ بِنَظْرَةٍ *** وَدَعُوا الْقِيَامَةَ بَعْدَ ذَاكَ تَقُومُ

وَقَالَ آخَرُ:

مُنْتَهَى مَطْلَبِي وَأَقْصَى مَرَامِي *** نَظْرَةٌ مِنكِ قَبْلَ يَوْمِ الْحِمَامِ

وَذَكَرُوا أَنَّ أَعْرَابِيًّا طَلَّقَ امْرَأَتَهُ عِندَمَا رَأَى رَجُلًا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ:

وَأَتْرُكُ حُبَّهَا مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ *** وَذَاكَ لِكَثْرَةِ الشُّرَكَاءِ فِيهِ

إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ عَلَى طَعَامٍ *** رَفَعْتُ يَدِي وَنَفْسِي تَشْتَهِيهِ

وَتَجْتَنِبُ الْأُسُودُ وُرُودَ مَاءٍ *** إِذَا رَأَتِ الْكِلَابَ وَلَغْنَ فِيهِ

بَلْ هَذَا النَّابِغَةُ الْجاهِلِيُّ يَقُولُ:

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ *** فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ!

وَقَالَ عَنْتَرَةُ:

إِن تُغْدفِي دُوْنِي القِنَاعَ فإنَّني *** طَـبٌّ بِـأخذِ الْفَارِسِ المُسْتَلْئِمِ

وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ عَلَى خَيْرٍ فِي هَذَا الْجَانِبِ، حَتَّى جَاءَ زَمَانُنَا هَذَا وَقَدْ ذَهَبَ الصَّالِحُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَبَقِيَ حُثَالَةُ النَّاسِ وَرَعَاعُهُمْ؛ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبُّكَ، فَضَعُفَتْ غَيْرَةُ الرِّجَالِ؛ فَقَلَّ حَيَاءُ نِسَائِهِم، فَتَبَرَّجْنَ وَكَشَفْنَ وُجُوهَهُنَّ وَبَرَزْنَ لِلرِّجَالِ! وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا قِلَّةٌ مِنَ الْحَرَائِرِ مَقْصُورَاتٌ فِي الْبُيُوتِ، وَإِنْ خَرَجْنَ فَبِكَامِلِ السِّتْرِ وَالْحِجَابِ، فَجَاءَنَا إِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ بِهَذِهِ الْجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ، فَهَتَكَتِ السُّتُورَ، وَأَخْرَجَتْ صُورَ ذَوَاتِ الْخُدُورِ، فِي مَظَاهِرَ مُخْزِيَةٍ، وأوضَاعٍ مُزْرِيَة!

وَقَدْ لَقِيَتِ الْجَوَّالاتُ -ذَوَاتُ الْأَزْرَارِ- الْمُزَوَّدَةُ بِالْكَامِيرَا أَوَّلَ أَمْرِهَا حَرْبًا ضَرُوسًا، وَحَرَّمَهَا الْعُلَمَاءُ، وَمُنِعَ دُخُولُهَا فِي بَعْضِ الْبِلَادِ!

ثُمَّ لَمْ تَزَلِ الْفِتَنُ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ فَعَرَفَ النَّاسُ مَا كَانُوا يُنْكِرُونَ، وَأَنْكَرُوا مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ، فَمَا جَاءَتْ هَذِهِ الْجَوَّالاتُ الْحَدِيثَةُ الْخَبِيثَةُ إِلَّا وَقَدْ أَلِفَ النَّاسُ الْفِتَنَ، وَأُشْرِبَتْهَا قُلُوبُهُمْ، فَلَا تَكَادُ تَجِدُ مَنْ يُنْكِرُهَا إِلَّا قِلَّةٌ قَلِيلَةٌ!

فَتَفَنَّنَتِ النِّسَاءُ فِي التَّصْوِيرِ، وَمَلَأْنَ الْجَوَّالاتِ وَمَوَاقِعَ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ بِصُوَرِهِنَّ بِكُلِّ الْأَوْضَاعِ؛ قَائِمَاتٍ وَقَاعِدَاتٍ وَعَلَى جَنْبٍ وَبَيْنَ ذَلِكَ!

فَتَفَنَّنَتِ الْمُحْتَجِبَةُ الْمُتَبَرِّجَةُ بِنَشْرِ حِجَابِهَا الْمُتَبَرِّجِ! وَكَيْفَ تَلُفُّ الْحِجَابَ حَوْلَ رَأْسِهَا، وَكَيْفَ تَكُونُ أَجْمَلَ بِالْحِجَابِ، وَقَدْ صَيَّرَتْهُ لِلزِّينَةِ لَا لِلسِّتْرِ كَمَا زَعَمَتْ! فَصَارَ الْحِجَابُ يَحْتَاجُ حِجَابًا لِأَنَّهُ قَدْ تَبَرَّجَ!

وَتَرَى الصَّالِحَةَ الْمُنْتَقِبَةَ تَتَفَنَّنُ بِنَشْرِ صُورِهَا وَهِيَ تَغْسِلُ الْأَوَانِيَ لِتَدْعُوَ النِّسَاءَ لِخِدْمَةِ الزَّوْجِ -زَعَمَت-، وَبَيْنَ الْكُتُبِ، وَفِي طَرِيقِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ!؛ دعوةً لِلنِّسَاءِ لِلَّحاقِ

بِرَكْبِها!. وَتُعَلِّقُ بِـ: "أَمِيرَةٌ بِنِقَابِي"، "وَمَلِكَةٌ بِجِلْبَابِي!"، "طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ!"؛ أَنْتِ تَسْتَحِقِينَ طُوبَةً تَفْلِقُ رَأْسَكِ يَا قَلِيلَةَ الْحَيَاءِ، فَغُرْبَتُكَ إِنَّمَا هِيَ عَنْ أَحْكَامِ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَتَعَالِيمِ الشَّرْعِ الْمُنِيفِ.

بَلْ إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ شَوَاهِدِ الْغُرْبَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ؛ وُجُودُ عَارِضَاتِ أَزْيَاءٍ لِلحِجَابِ الإِسْلَامِيِّ!

وأَمَّا البَغَايَا والعَواهِرُ وفوَاسِقُ التّيك تُوك والانِستَجرام والسناب شات الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ؛ فحَدِّثْ عَنِ الْبَحْرِ ولا حَرَج!

فَمَفْسَدَةُ التَّصْوِيرِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ قَدْ عَمَّتْ وَطَمَّتْ وَبَلَغَتْ كُلَّ مَبْلَغٍ فِي الشَّرِّ وَالْفَسَادِ.

فَبَعْضُ النِّسَاءِ تُصَوِّرُ كُلَّ مَا تَقْتَنِيهِ، أَوْ يُهْدَى إِلَيْهَا، أَوْ تَتَفَنَّنُ فِي صُنْعِهِ مِنْ طَبْخٍ وَنَحْوِهِ وَتُنْشُرُهُ!

وَلَا يَخْفَى مَا فِي ذَٰلِكَ مِنَ التَّسَبُّبِ فِي الْحَسَدِ وَالْعُيُونِ، أَوْ التَّضْيِيقِ عَلَى خَلْقِ اللهِ وَإِحْزَانِهِمْ وَتَكْلِيفِهِمْ مَا لَا يُطِيقُونَ.

بَلْ إِنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ لَا تَلْبَسُ جَدِيدًا، وَلَا تَخْرُجُ مَكَانًا؛ تَلْتَقِي بِصَدِيقَةٍ أَوْ قَرِيبَةٍ أَوْ تَحْضُرُ مَحْفِلًا؛ إِلَّا التَقَطَتْ لَهَا صُورًا لِلذِّكْرَى! وَأَقَلُّ الْأَحْوَالِ أَنْ تَحْتَفِظَ بِهَا لِنَفْسِهَا وَتُرِيَها مَنْ حَوْلَهَا، وَإِلَّا فَقَدْ تَنْشُرُهَا فِي حِسَابَاتِهَا! وَلَا حَسِيبَ عَلَيْهَا وَلَا حِسَابَ!

وَمَنْ تَسْتَعْظِمُ نَشْرَ صُورَةِ جَسَدِهَا كَامِلًا؛ تُصَوِّرُ كُلَّ حِيْنٍ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهَا! وَأَنتَ اجْمَعْ وَارْبَحْ!

وَبَعْضُ صَانِعَاتِ الْمُحْتَوَى! تَبْدَأُ الْمِشْوَارَ وَهِيَ مُخْتَفِيَةٌ عَنْ الْأَنْظَارِ وَرَاءَ الْأَسْتَارِ، فَلَا يَزَالُ بِهَا حُبُّ الشُّهْرَةِ وَطَلَبُ الظُّهُورِ، حَتَّى تَرْفَعَ الْخُدُورَ، وَتَكْشِفَ الْمَسْتُورَ!

وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا وَرَأَيْتُمْ، وَسَمِعْنَا وَسَمِعْتُمْ مِنْ انْتِشَارِ صُوَرِ ذَوَاتِ الْخُدُورِ، وَهُنَّ خَلْفَ الْجُدْرَانِ وَالسُّتُورِ! فَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَبَعْضُ الْحَاقِدَاتِ يُصَوِّرْنَ اجْتِمَاعَاتِ النِّسَاءِ وَاحْتِفَالَاتِهِنَّ وَهُنَّ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ فِي قِمَّةِ الْوَقَاحَةِ وَالتَّفَسُّخِ، ثُمَّ يَنْشُرْنَهُ عَلَى مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ! فَيالِلجُرْمِ ما أعظَمَه!

وَبَعْضُهُنَّ رُبَّمَا حَصَلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَارَتِهَا أَوْ زَمِيلَتِهَا خِلَافٌ؛ فَتُصَوِّرُهَا وَتَنْشُرُ صُورَتَهَا!

وَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ قَدْ طَلَّقُوا نِسَاءَهُمْ أَوْ قَتَلُوا قَرِيبَاتِهِمْ بِسَبَبِ رُؤْيَتِهِمْ لِصُورِهُنَّ مَنْشُورَةً.

وَكَمْ مِنِ امْرَأَةٍ قَدْ انْتَحَرَتْ بِسَبَبِ صُورَةٍ!، وَكَمْ مِنْ امْرَأَةٍ بَقِيَتْ حَبِيسَةَ الدَّارِ، رَهِينَةَ الْخِزْيِ وَالْعَارِ، بِسَبَبِ صُورَةٍ! إِمَّا تَنْشُرُهَا بِيَدِهَا لِلْعَامَّةِ أَوْ لِبَعْضِ الْخَوَاصِّ مِنْ صَدِيقَةٍ أَوْ خِدْنٍ! أَوْ تُسْحَبُ مِن جَوَّالِها، أَوْ يلتَقِطُهَا لَهَا غَيْرُها.

وَبَعْضُ الرِّجَالِ يَسْتَخْرِجُ الصُّوَرَ مِنَ النِّسَاءِ بِدَعْوَى الْعِشْقِ وَالْغَرَامِ، أَوْ مُعَالَجَةِ الْأَمْرَاضِ وَالْأَوْرَامِ، ثُمَّ يَبْقَى يُهَدِّدُهَا بِهَا وَيَسْتَدْرِجُهَا إِلَى أَنْ تَفْقِدَ كُلَّ مَا تَمْلِكُ مِنْ شَرَفٍ وَمَالٍ، بَلْ وَتُضْطَرُّ لِلسَّرِقَةِ، وَرُبَّمَا جَنَّدُوهَا لِاصْطِيَادِ غَيْرِهَا! إِلَى غَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ الطُّرُقِ الْمُلْتَوِيَةِ، لِتَدْرَأَ عَنْ نَفْسِهَا الْخِزْيَ وَهَيْهَاتَ! كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ!

فَوَاللهِ إِنَّ هَذِهِ الْقَضَايَا بِالْمِئَاتِ، بَلِ الْآلَاف! وَكُلُّهُ بِسَبَبِ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالاتِ.

وَمَا قَضِيَّةُ الْأَخِ الأَغْبَرِيِّ –رَحِمَهُ اللَّهُ– عَنكُمْ بِبَعِيدَةٍ. وَأَقْرَبُ مِنْهَا مَا اشْتُهِرَ مِنْ قِصَّةِ الْمُتَسَمِّي بِالدُّكْتُورَةِ ابْتِسَامٍ!

وَمِمَّا زَادَ الطِّينَ بَلَّةً، وَالْمَرَضَ عَلَّةً، وَضَاعَفَ الشَّرَّ وَالْفَسَادَ؛ ظُهُورُ الذَّكَاءِ الاصْطِنَاعِيِّ. تُعْطِيهِ صُورَةَ امْرَأَةٍ لَابِسَةٍ فَيَعَرِّيهَا! بَلْ وَيُحَرِّكُهَا وَيَجْعَلُهَا بَجَانِبِ فُلَانٍ أَوْ فِي حِضْنِ عَلَّانٍ! وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهَا فِي أَفْلَامٍ إِبَاحِيَّةٍ والْعِيَاذُ بِاللهِ!

فَكُلُّ مَا يَحْتَاجُونَهُ لِيُرُوكَ نِسَاءكَ -أَجَارَنا اللهُ وإِيَّاكم- فِي فِيلْمٍ إِبَاحِيٍّ= هُوَ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ! وَلَا يَغُرَّنَّكَ أَنَّ نِسَاءكَ لَا يَتَصَوَّرْنَ؛ فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ كُلُّ أَحَدٍ أَنْ يَخْتَرِقَ جَوَّالاتِهِنَّ وَيَلْتَقِطَ لَهُنَّ مَقَاطِعَ دُونَ أَنْ يَشْعُرْنَ! وَهَذَا يَعْرِفُهُ أَدْنَى الْمُخْتَرِقِينَ مَنْزِلَةً، وَأَقَلُّهُمْ عِلْمًا فِي هَذَا الْفَنِّ؛ فَمَا الظَّنُّ بِالْخُبَرَاءِ! نَسْأَلُ اللهَ السِّتْرَ وَالسَّلَامَةَ.

أَوِ يَحتَفِظُونَ بِهَا مِنَ الْمُكَالَمَاتِ المَرْئِيَّة، أَوْ تُرْسِلُ صُورَتَهَا لِلْذَّكَاءِ الْاِصْطِنَاعِيِّ لِلتَّعْدِيلِ عَلَيْهَا، فَمَا تَشْعُرُ إِلَّا وَصُورَتُهَا فِي الْإِعْلَانَاتِ وَالتَّسْوِيقَاتِ!

وَاللهِ مَا أَذكُرُ لكُم إِلّا واقِعًا مُعَاشًا، ولَوْ ذَكَرْتُ لَكُمْ مَا أَعْلَمُهُ وَمَا نَمَا إِلَيَّ وعُرِضَ علَيَّ مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ وَأَضُمُّ إِلَيْهَا نَظَائِرَهَا؛ لَوَقَعَ الْمَقَالُ فِي كِتَابٍ! فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

فَلَا يَجُوزُ لِامْرَأَةٍ أَنْ تُصَوِّرَ نَفْسَهَا فَإِنَّ التَّصويرَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنْ فَعَلَتْ فَلْتَتَحَمَّلْ مَا جَاءَهَا. فَإِنْ وَصَلَتْ صُورَتُهَا إِلَى رَجُلٍ بِرِضَاهَا أَوْ بِدُونِهِ فَسَاوَمَهَا عَلَى عِرْضِهَا أَوْ طَلَبَ مِنْهَا فِدْيَةً؛ فَلَا تَنْجَرَّ خَلْفَهُ أَبَدًا، بَلْ تُكَلِّمُ أَعْقَلَ أَوْلِيَائِهَا لِيَتَصَرَّفَ، وَلْتَتَحَمَّلْ مِنْهُ مَا جَاءَهَا. أَمَّا تَصَرُّفَاتُ النِّسَاءِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْعَوِيصَةِ= فَعَامَّتُهَا تَصَرُّفَاتٌ خَرْقَاءُ؛ تَحْلِفُ أَيْمَانًا مُغَلَّظَةً بِنَقْصِ عَقْلِهِنَّ وَدِينِهِنَّ.

وَلْتَحْذَرِ الْمُهَدَّدَةُ أَنْ تَقَعَ فِي الْفَوَاحِشِ لِهَذَا الْأَمْرِ؛ فَوَاللهِ إِنَّهَا لَجَرِيمَةٌ شَنْعَاءُ، وَلَيْسَ لَهَا مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ مِنَ الْمُبَرِّرَاتِ؛ ولَا مُبَرِّرَ لِلْفَاحِشَةِ.

فَبَعْضُهُنَّ تَخْسَرُ دِينَهَا وَعِرْضَهَا، وَمَا فَوْقَهَا وَمَا تَحْتَهَا، وَتُضْطَرُّ لِسَرِقَةِ أَوْلِيَائِهَا؛ وتُصبِحُ قَوَّادَةً لِتَسْتُرَ نَفْسَهَا! ثُمَّ لَا يَزْدَادُ الْخَرْقُ إِلَّا اتِّسَاعًا! وَتُفْضَحُ فَضِيحَةً تُنَكِّسُ رُؤُوسَ أَهْلِهَا تَنْكِيسًا لَا تُرْفَعُ بَعْدَهُ مَا عَاشُوا.

فَالْحَاصِلُ أَنَّهُ لَا أَمَانَ عَلَى صُوَرِ النِّسَاءِ وَالله، وَلَنْ تُصَانَ النِّسَاءُ حَقَّ الصِّيَانَةِ وَفِي أَيْدِيهِنَّ هَذِهِ الْجَوَّالات. **فَأَنْجَعُ حَلٍّ وَأَجْوَدُهُ وَأَسْهَلُهُ وَأَقْرَبُهُ، وَأَيْسَرُهُ مَؤُونَةً وَأَقَلُّهُ كُلْفَةً= هُوَ مَنْعُ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالَاتِ.** ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ [إِبْرَاهِيم:٥٢].

الجَوَّالاتُ.. وذُنُوبُ الخَلَوَاتِ

لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لِعَالِمٍ أَثَّرَتْ فِيَّ مَا أَثَّرَ فِيَّ قَوْلُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي (بَحْرِ الدُّمُوعِ): "**الظَّاهِرُ مِنْكَ عَامِرٌ، وَالْبَاطِنُ وَيْحَكَ خَرَابٌ!**". لَقَدْ أَخَذَتْ بِلُبِّي وَمَجَامِعِ قَلْبِي، وَوَقَعَتْ فِي نَفْسِي مَوْقِعًا! فوَاللهِ لَكَأَنَّهُ يَصِفُ حَالَ كَثِيرٍ مِنْ مُدَّعِي الْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ فِي زَمَانِنَا هَذَا؛ وَهُمْ مَسْتُورُونَ فَقَطْ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الصَّلَاحِ إِلَّا اسْمُهُ، ولا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا رَسْمُهُ، أَشْبَاحٌ بِلَا أَرْوَاحٍ، وَأَسْمَاءٌ بِلَا مُسَمَّيَاتٍ، وَلَوْلَا سِتْرُ اللهِ عَلَيْهِمْ لَلَعَنَهُمُ النَّاسُ لَعْنَ الشَّيْطَانِ، وَرَجَمُوهُمْ رَجْمَ قَبْرِ أَبِي رِغَالٍ! فَإِنَّهُمُ اعْتَنَوْا بِالْمَظَاهِرِ وَأَهْمَلُوا السَّرَائِرَ، اهْتَمُّوا بِمَحَلِّ نَظَرِ النَّاسِ فِيهِمْ، وَأَهْمَلُوا مَحَلَّ نَظَرِ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تَعْجَبْكَ مَظَاهِرُهُمُ الْعَامِرَةُ بِالْخَيْرِ، وَإِذَا قُلُوبُهُمْ مِنَ التَّقْوَى وَالْمُرَاقَبَةِ وَالْخَوْفِ مِنَ اللهِ أَفْرَغُ مِنْ فُؤَادِ أُمِّ مُوسَى! وَأَجْوَافُهُمْ أَخْرَبُ مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ! لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ قَلَّ حَيَاؤُهُمْ وَخَوْفُهُمْ مِنَ اللهِ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ نَظَرَ اللهِ إِلَيْهِمْ وَقُرْبَهُ مِنْهُمْ، فَانْتَهَكُوا مَحَارِمَ اللهِ فِي خَلَوَاتِهِمْ! وهَذَا واللّهِ مُنْكَرٌ عَظِيم. فَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ، بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ.

وَالَّذِي جَرَّهُمْ إِلَى ذُنُوبِ الْخَلَوَاتِ، وَجَرَّأَهُمْ عَلَيْهَا، وَأَوْقَعَهُمْ فِيهَا، وَأَشْرَبَ قُلُوبَهُمْ حُبَّهَا، وَأَزَالَ اسْتِنْكَارَهُمْ لَهَا وَنُفْرَتَهُمْ عَنْهَا؛ هِيَ هَذِهِ الْجَوَّالَاتُ الْخَبِيثَةُ، فَقَدْ يَصْبِرُ الْإِنْسَانُ وَيُصَابِرُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ، فَلَا تَزَالُ بِهِ حَتَّى تُغْرِقَهُ فِي بَحْرِ الشَّهَوَاتِ، وإِنَّ الذَّنْبَ بَعْدَ الذَّنْبِ يُمِيتُ الْقَلْبَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ: ١٤]. تَرَاهُ يَنْدَمُ عَلَى مَا بَدَرَ مِنْهُ، فَمَا يَلْبَثُ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ! وَكَأَنَّ شَيْئًا فِي دَاخِلِهِ يَدُعُّهُ إِلَيْهِ دَعًّا، وَيَدْفَعُهُ إِلَيْهِ دَفْعًا! وحالُه:

وَلَوْ كَانَ سَهْمًا وَاحِدًا لَاتَّقَيْتُهُ *** وَلَكِنَّهُ سَهْمٌ وَثَانٍ وَثَالِثُ

فَهَذَا -وَاللهِ- دَاءٌ عُضَالٌ، وَمَرَضٌ قَتَّالٌ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُذَكِّرَ نَفْسِي وَإِخْوَتِي بِخَطَرِهِ وَضَرَرِهِ وَبَعْضِ طُرُقِ الْوِقَايَةِ مِنْهُ فَأَقُولُ:

اعْلَمْ أَخِي الْكَرِيمُ أَنَّ هَذَا التَّيْسِيرَ وَالتَّسْهِيلَ لِلْوُقُوعِ فِي الْفِتَنِ وَوُلُوجِهَا= ابْتِلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ مِنَ اللهِ وَتَمْحِيصٌ لِلْعِبَادِ لِيُعْلَمَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، وَالثَّابِتُ مِنَ الْمُتَقَلِّبِ الْمُتَمَرِّغِ فِي الْفِتَنِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [الْعَنْكَبُوت: ٢]. وَقَالَ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٣٥]. وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الْمَائِدَة: ٩٤].

فِي [الْمُخْتَصَرِ فِي التَّفْسِيرِ]: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَيَخْتَبِرَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ يَسُوقُهُ إِلَيْكُمْ مِنَ الصَّيْدِ الْبَرِّيِّ وَأَنْتُمْ مُحْرِمُونَ، تَتَنَاوَلُونَ الصِّغَارَ مِنْهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَالْكِبَارَ بِرِمَاحِكُمْ، لِيَعْلَمَ اللهُ -عِلْمَ ظُهُورٍ يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعِبَادُ- مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ لِكَمَالِ إِيمَانِهِ بِعِلْمِ اللهِ، فَيُمْسِكُ عَنِ الصَّيْدِ خَوْفًا مِنْ خَالِقِهِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ." اهـ.

قَالَ ابْنُ رُشَيدٍ الْفِهْرِيُّ فِي فَوَائِدِ رِحْلَتِهِ: "صَحِبَنِي فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْمَدِينَةِ -عَلَى سَاكِنِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، قَاصِدِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ، أَحَدُ الشُّيُوخِ مِنْ شُرَفَاءِ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا وَافَيْنَا رَابِغًا رَأَيْتُ أَمْرًا عَجَبًا؛ مِنْ تَخَلُّلِ الْوُحُوشِ: الْغَزَالُ وَالْأَرْنَبُ بَيْنَ الْجِمَالِ وَالرِّحَالِ، بِحَيْثُ يَنَالُهُ النَّاسُ بِأَيْدِيهِمْ، وَالنَّاسُ يُنَادُونَ: حَرَامٌ حَرَامٌ. وَالْجَوَارِحُ قَدْ سُلْسِلَتْ خِيفَةَ تَعَدِّي جَاهِلٍ يَعْتَسِفُ الْمَجَاهِلَ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ الشَّيْخُ الشَّرِيفُ: تَأَمَّلْ تَرَ عَجَبًا، هَكَذَا جَرَتْ عَادَتُنَا فِي هَذَا الطَّرِيقِ، يَؤُمُّنَا وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ...! مِنَ الْوُحُوشِ مَا تَرَى، فَإِذَا عُدْنَا مُحِلِّينَ لَمْ نَجِدْ بِهِ شَيْئًا. فَلَمَّا عُدْنَا كَانَ كَمَا قَالَ" اهـ.

فَإِذَا رَأَيْتَ الْحَرَامَ قَدْ تَيَسَّرَتْ أَسْبَابُهُ، وَكَثُرَتْ دَوَاعِيهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ **ابْتِلَاءٌ** مِنَ اللهِ لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُ. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[فُصِّلَت:٣٥].

فَاسْتَشْعِرْ مُرَاقَبَةَ اللهِ؛ وَذَلِكَ بِاسْتِشْعَارِ هَذِهِ الْأُمُورِ:

مَعِيَّتِهِ وَسَعَةِ عِلْمِهِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحَدِيد:٤]

وَقَالَ: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾. [الْأَنْعَام: ٨٠].

وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طَه: ٩٨].

وَقَالَ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]. وَقَالَ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البَقَرة:٢٣٥].

وَقَالَ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غَافِر: ١٩].

وَقَالَ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النِّسَاء: ١٠٨]. وَقَالَ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هُود: ٥]. فَهُوَ: "عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ، مُحِيطٌ بِمَا يَجْرِي مِنْ تُخُومِ الْأَرَضِينَ إِلَى أَعْلَى السَّمَوَاتِ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، يُدْرِكُ حَرَكَةَ الذَّرِّ فِي جَوِّ الْهَوَاءِ، وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَيَطَّلِعُ عَلَى هَوَاجِسِ الضَّمَائِرِ وَحَرَكَاتِ الْخَوَاطِرِ وَخَفِيَاتِ السَّرَائِرِ".

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ *** خَلَوْتُ وَلَكِن قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفَلُ سَاعَةً *** وَلَا أَنَّ مَا تُخْفِيهِ عَنْهُ يَغِيبُ

وَقُرْبِهِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البَقَرة:١٨٦]. وَقَالَ: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سَبَأ:٥٠]. وَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هُود:٦١]. وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وَعَن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ؛ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا، ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ. قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: "الْخَاسِرُ مَنْ أَبْدَى لِلنَّاسِ صَالِحَ عَمَلِهِ، وَبَارَزَ بِالْقَبِيحِ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ"اهـ.

وَرُؤْيَتِهِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ [الْعَلَق: ١٤]. و ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]. (وَسُئِلَ الْجُنَيْدُ: بِمَ يُسْتَعَانُ عَلَى غَضِّ الْبَصَرِ؟ قَالَ: بِعِلْمِكَ أَنَّ نَظَرَ اللهِ إِلَيْكَ أَسْبَقُ مِنْ نَظَرِكَ إِلَى مَا تَنْظُرُهُ. ودَخَلَ بَعْضُهُمْ غَيْضَةً ذَاتَ شَجَرٍ، فَقَالَ: لَوْ خَلَوْتُ هَاهُنَا بِمَعْصِيَةٍ مَنْ كَانَ يَرَانِي؟ فَسَمِعَ هَاتِفًا بِصَوْتٍ مَلأ الْغَيْضَة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المُلْك:١٤]. وَرَاوَدَ بَعْضُهُمْ أَعْرَابِيَّةً، وَقَالَ لَهَا: مَا يَرَانَا إِلَّا الْكَوَاكِبُ، قَالَتْ: أَيْنَ مُكَوكِبُهَا؟ وَرَأَى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ رَجُلًا وَاقِفًا مَعَ امْرَأَةٍ يُكَلِّمُهَا، فَقَالَ: "إِنَّ اللهَ يَرَاكُمَا، سَتَرَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمَا". فَهُوَ جَلَّ وَعَلاَ "يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاء، عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ، تَحْتَ أَطَابِقِ الْأَرْضِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ").

فَيَا مُنْتَهِكًا لِحُرُمَاتِ اللهِ فِي الْخَلَوَاتِ، فِي الظُّلُمَاتِ، فِي الْفَلَوَاتِ، بَعِيداً عَنْ أَعْيُنِ الْمَخْلُوقَاتِ.. أَيْنَ اللهُ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَاكَ؟!

وَسَمْعِهِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزُّخْرُف: ٨٠].

وقَالَ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الْمُجَادِلَة: ١]. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو زَوْجَهَا، فَكَانَ يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ الْآيَةَ. رواهُ النَّسَائِيُّ وابنُ ماجه وصَحَّحهُ الأَلْبانِيُّ.

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ "يَسْمَعُ ضَجِيجَ الْأَصْوَاتِ، بِاخْتِلَافِ اللُّغَاتِ، عَلَى تَفَنُّنِ الْحَاجَاتِ، فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ".

فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَأَنْعَمَ عَلَيْكَ= قَرِيبٌ مِنْكَ، عَلِيمٌ بِكَ، يَسْمَعُكَ وَيَنْظُرُ إِلَيْكَ؛ فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ:

تَتَّقِيَ اللهَ وَتُرَاقِبَهُ وتَقْدِرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأَحْزَاب:٥٢]، وقَالَ: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء:١]، وقَالَ: ﴿مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحَج: ٧٤]. وَقَالَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: "لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ المَعْصِيَةِ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى عِظَمِ مَنْ عَصَيْتَ". وكَيْفَ تُبَارِزُهُ بِالْمَعَاصِي فِي أَرْضِهِ وَتَحْتَ سَمَائِهِ وَتَسْتَعْمِلُ نِعَمَهُ فِي مَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ وَأَكْرَمَكَ وَشَقَّ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ!

وَلِذَلِكَ "يُؤْثَرُ أَنْ رَجُلًا أَتَى إِلَى بَعْضِ أَهْلِ العِلمِ فَقَالَ: إِنِّي تُبْتُ إِلَى اللهِ مِنَ الْمَعَاصِي إِلَّا مَعْصِيَةً وَاحِدَةً، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ، قَالَ: تُبْ إِلَى اللهِ، وَاتْرُكْهَا، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: سَوْفَ أَعْرِضُ عَلَيْكَ أُمُورًا؛ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَفْعَلَ هَذِهِ الْمَعْصِيَةَ فَلَا تَعْصِ اللهَ فِي أَرْضِهِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: إِلَى أَيْنَ أَخْرُجُ؛ وَالْأَرْضُ كُلُّهَا أَرْضُ اللهِ؟! فَقَالَ: كَيْفَ تَعْصِي اللهَ عَلَى أَرْضِهِ، أَيُدْخِلُكَ دَارَهُ، ثُمَّ تَعْصِيهِ فِيهَا؟! قَالَ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَهُ فَلَا تَأْكُلْ مِنْ طَعَامِهِ، وَلَا تَشْرَبْ مِنْ شَرَابِهِ. قَالَ: وَمِنْ أَيْنَ آكُلُ وَأَشْرَبُ؛ وَالأَكْلُ وَالشَّرَابُ مِنْ رِزْقِهِ؟! قَالَ: فَكَيْفَ تَسْتَعِينُ بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ؟! قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ وَعَصَيْتَهُ فَحَاوِلْ أَلَّا تَلْقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا لِقَاءَهُ.

قَالَ لَهُ: وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَهُ، فَاخْتَبِئْ فِي مَكَانٍ لَا يَرَاكَ فِيهِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَتُوبُ إِلَى اللهِ"

ثُمّ إِنَّ الْمُحَرَّمَاتِ حِمَى اللهِ؛ فإيَّاك أن تَجْتَرِئَ عَلَى حِمَى المَلِكِ «**أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: "الْمُحَرَّمَاتُ حُرَمٌ، وَنَظَرُ الْمَمْلُوكِ إِلَى حُرَمِ الْمَالِكِ مِنْ أَقْبَحِ الْخِيَانَةِ".

وقَالَ الشِّنْقِيطِيُّ: "فَقَدْ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَاعِظًا أَكْبَرَ وَلَا زَاجِرًا أَعْظَمَ مِنْ مَوْعِظَةِ المُرَاقَبَةِ وَالعِلْمِ، وَهِيَ أَنْ يُلَاحِظَ الإِنْسَانُ أَنَّ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا رَقِيبٌ عَلَيْهِ، عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يُخْفِي وَمَا يُعْلِنُ.

وَوَضَعَ العُلَمَاءُ لِهَذَا الوَاعِظِ الأَكْبَرِ وَالزَّاجِرِ الأَعْظَمِ مَثَلًا يَصيرُ بِهِ المَعْقُولُ كَالمَحْسُوسِ، قَالُوا: لَوْ فَرَضْنَا مَلِكًا سَفَّاكًا لِلدِّمَاءِ، قَتَّالًا لِلرِّجَالِ، شَدِيدَ البَطْشِ وَالنَّكَالِ، وَسَيَّافُهُ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ، وَالنِّطَعُ مَبْسُوطٌ، وَالسَّيْفُ يَقْطُرُ دَمًا، وَحَوْلَ ذَلِكَ المَلِكِ بَنَاتُهُ وَأَزْوَاجُهُ، أَيَخْطُرُ فِي البَالِ أَنْ يَهُمَّ أَحَدٌ مِنَ الحَاضِرِينَ بِرِيبَةٍ أَوْ نَيْلِ حَرَامٍ مِنْ بَنَاتِ ذَلِكَ المَلِكِ وَأَزْوَاجِهِ وَهُوَ عَالِمٌ بِهِ نَاظِرٌ إِلَيْهِ؟! لَا، وَكَلَّا، وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى، بَلْ كُلُّ الحَاضِرِينَ يَكُونُونَ خَائِفِينَ، خَاضِعَةً قُلُوبُهُمْ، خَاشِعَةً عُيُونُهُمْ، سَاكِنَةً جَوَارِحُهُمْ، غَايَةُ أَمَانِيهِمُ السَّلَامَةُ، وَلَا شَكَّ -وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى- أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَعْظَمُ اطِّلَاعًا وَأَوْسَعُ عِلْمًا مِنْ ذَلِكَ المَلِكِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ أَعْظَمُ نَكَالًا وَأَشَدُّ بَطْشًا وَأَفْظَعُ عَذَابًا، وَحِمَاهُ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، وَلَوْ عَلِمَ أَهْلُ بَلَدٍ أَنَّ أَمِيرَ البَلَدِ يُصْبِحُ عَالِمًا بِكُلِّ مَا فَعَلُوهُ بِاللَّيْلِ لَبَاتُوا خَائِفِينَ وَتَرَكُوا جَمِيعَ المَنَاكِرِ خَوْفًا مِنْهُ"اهـ.

وَتَسْتَحْيِي مِنْهُ: فَهَلْ يَجْتَرِئُ أَحَدُنَا أَنْ يُجَاهِرَ النَّاسَ بِمَا يُجَاهِرُ بِهِ رَبَّهُ فِي السِّرِّ! كَلَّا وَاللهِ. إِذَنْ: فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ تَسْتَحْيِي مِنْهُ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِكَ أَنْ يَرَوْكَ عَلَى حَالٍ لَا تُرْضَى، وَلَا يَكُنِ اللهُ أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْكَ. فَـ«**اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ**». كَمَا قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ**». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ**». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ النَّوَوِيُّ وَالْأَلْبَانِيُّ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ: «**قَدْ وَاللهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ *** وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ
فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا *** إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

وَكَانَ ابْنُ السَّمَّاكِ يُنْشِدُ:

يَا مُدْمِنَ الذَّنْبِ أَمَا تَسْتَحِي *** وَاللَّهُ فِي الْخَلْوَةِ ثَانِيكَا
غَرَّكَ مِنْ رَبِّكَ إِمْهَالُهُ *** وَسَتْرُهُ طُولَ مَسَاوِيكَا

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ لِابْنِهِ: "إِذَا دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى كَبِيرَةٍ؛ فَارْمِ بِبَصَرِكَ إِلَى السَّمَاءِ، وَاسْتَحِ مِمَّنْ فِيهَا، فَإِن لَمْ تَفْعَلْ؛ فَارْمِ بِبَصَرِكَ إِلَى الْأَرْضِ، وَاسْتَحِ مِمَّنْ فِيهَا، فَإِن كُنتَ لَا مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ تَخَافُ، وَلَا مِمَّنْ فِي الْأَرْضِ تَسْتَحِي؛ فَعُدَّ نَفْسَكَ فِي عِدَادِ الْبَهَائِمِ".

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: "ابْنَ آدَمَ، إِن كُنتَ حَيْثُ رَكِبْتَ الْمَعْصِيَةَ لَمْ تَصْفُ لَكَ مِنْ عَيْنٍ نَاظِرَةٍ إِلَيْكَ، فَلَمَّا خَلَوْتَ بِاللهِ وَحْدَهُ صَفَتْ لَكَ مَعْصِيَتُهُ، وَلَمْ تَسْتَحِ مِنْهُ حَيَاءكَ مِنْ بَعْضِ خَلْقِهِ، مَا أَنْتَ إِلَّا أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِنْ كُنتَ ظَنَنْتَ أَنَّهُ لَا يَرَاكَ، فَقَد كَفَرْتَ، وَإِن كُنتَ عَلِمْتَ أَنَّهُ يَرَاكَ فَلَمْ يَمْنَعْكَ مِنهُ مَا مَنَعَكَ مِنْ أَضْعَفِ خَلْقِهِ لَقَدِ اجْتَرَأْتَ عَلَيْهِ".

وَتَخَافُ سَطْوَتَهُ وَعِقَابَهُ: فَإِنَّهُ قَوِيٌّ قَادِرٌ، فَلَوْ شَاءَ لَقَبَضَ رُوحَكَ وَأَنتَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَخَسَفَ بِكَ، وَلَوْ شَاءَ لَفَضَحَكَ فِي الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ سِرَّكَ عَلَانِيَةً! ﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الْأَنْفَال: ٥٢]. ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢]. وَسَأَلَ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِن لَا تَكُن تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ. وَكَانَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**». قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: "وَخَشْيَةُ اللهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هِيَ مِنَ الْمُنْجِيَاتِ".

وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: "زَهَّدَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ فِي الْحَرَامِ زُهْدَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ فِي الْخَلْوَةِ، فَعَلِمَ أَنَّ اللهَ يَرَاهُ، فَتَرَكَ الْحَرَامَ مِنْ خَشْيَتِهِ".

وَكَتَبَ ابْنُ السَّمَّاكِ الْوَاعِظُ إِلَى أَخٍ لَهُ: "أَمَّا بَعْدُ، أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي هُوَ نَجِيُّكَ فِي سَرِيرَتِكَ وَرَقِيبُكَ فِي عَلَانِيَتِكَ، فَاجْعَلِ اللهَ مِنْ بَالِكَ عَلَى كُلِّ حَالِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَاخْشَ اللهَ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ، وَقُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ بِعَيْنِهِ لَيْسَ تَخْرُجُ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى سُلْطَانِ غَيْرِهِ وَلَا مِنْ مِلْكِهِ إِلَى مِلْكِ غَيْرِهِ، فَلْيَعْظُمْ مِنْهُ حَذَرُكَ، وَلْيَكْثُرْ مِنْهُ وَجَلُكَ، وَالسَّلَامُ".

وَفِي طَبَقَاتِ الأولياءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: "يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ، لَا تَأْمَنَنَّ مِنْ سُوْءِ عَاقِبَتِهِ، وَلَمَا يَتْبَعُ الذَّنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمِلْتَهُ، فَإِنَّ قِلَّةَ حَيَائِكَ مِمَّنْ عَلَى الْيَمِينِ وَعَلَى الشِّمَالِ وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَمِلْتَهُ، وَضَحِكُكَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا اللهُ صَانِعٌ بِكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَفَرَحُكَ بِالذَّنْبِ إِذَا ظَفَرْتَ بِهِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَحُزْنُكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا ظَفَرْتَ بِهِ، وَخَوْفُكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ سِتْرَ بَابِكَ وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ وَلَا يَضْطَرِبُ فُؤَادُكَ مِنْ نَظَرِ اللهِ إِلَيْكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمِلْتَهُ".

قَالُوا وَقُلْتُ (كَشْفُ الشُّبُهَات).

قُلْتُ: إِيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ امْرَأَتَكَ جَوَّالًا حَدِيثًا يُفْسِدُ خُلُقَهَا، وَيُنَكِّسُ فِطْرَتَهَا، وَيَذْهَبُ بِمَا مَدَحَهَا اللهُ بِهِ مِنَ الْغَفْلَةِ عَنْ الْفُحْشِ وَالْفَسَادِ.

قَالَ: وَلَكِنَّ امْرَأَتِي ذَاتُ دِينٍ وَخُلُقٍ وَحَيَاءٍ.

قُلْتُ: لَا تُعْطِهَا وَلَوْ كَانَتْ كَأُمِّ الدَّرْدَاءِ؛ بَلْ لَوْ كَانَتْ كَمَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ أَوْ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ؛ وَهَيْهَاتَ.

وقَالَ لِي مُتَعَجِّبًا!: "سَمِعْتُكَ تُحَذِّرُ مِنْ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْ الْجَوَّالَاتِ الحَدِيثَةِ، هَلْ هُو حَرَامٌ؟! وَمَا دَلِيلُكَ عَلَى تَحْرِيمِهِ؟! وَمَنْ مَعَكَ مِنْ الْعُلَمَاءِ عَلَى هَذا؟!، هَذَا تَشَدُّدٌ وَتَعَنُّتٌ..."

قُلْتُ: ارْبَعْ عَلَى نَفْسِكَ يَا هَذَا، وَهَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مُحَرَّمًا حَتَّى تَتْرُكَهُ وَتَجْتَنِبَهُ؟!

هَبْ أَنَّهُ لَيْسَ مُحَرَّمًا؛ فَأَيْنَ اتِّقَاءُ الشُّبُهَاتِ؟!

وَأَيْنَ الْوَرَعُ عَمَّا قَدْ يَضُرُّ فِي الْآخِرَةِ؟!

بَلْ أَيْنَ الزُّهْدُ عَمَّا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ؟!

وَأَيْنَ التَّقْوَى الَّتِي تَحْمِلُ عَلَى تَرْكِ بَعْضِ الْحَلَالِ مَخَافَةَ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ؟!

﴿فَمَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾! [يُونُس:٣٥].

وقَالَ بَعْضُهُمْ: "فَرْقٌ بَيْنَ أَنْ تُعْطِيَ الْمَرْأَةَ جَوَّالَ لَمَسٍ وَبَيْنَ أَنْ تُمَكِّنَهَا مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِنْتَرْنَتِ".

قُلْتُ: الَّذِي يُمَكِّنُ امْرَأَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ فَبَعِيدٌ بَعِيدٌ أَلَّا تَلِجَ امْرَأَتُهُ فِتْنَةَ الْإِنْتَرْنَتِ وَالشَّبَكَاتِ وَتَخُوضَ فِيهَا مَعَ الْخَائِضِينَ. فـ«**إِنَّهُ مَنْ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُرْتِعَ فِيهِ، وَإِنَّ مَنْ يُخَالِطُ الرِّيبَةَ يُوشِكُ أَنْ يَجْسُرَ**» رَوَاهُ الجَمَاعَةُ عنِ النُّعمَان بنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهَذا لَفْظُ النَّسَائي.

أَعْرِفُ أُنَاسًا مَكَّنُوهُنَّ مِنْهَا أَوْ مَكَّنُوهَا مِنْهُنَّ.. وَمَا شِئْتَ فَقُلْ، لِيقْرَأن الْكُتُبَ وَيبْحَثن عَنْ الْفَوَائِدِ، فَيَشْحَنُونَ لَهُنَّ الْبَاقَاتِ لِلاتِّصَالاتِ -زَعَمُوا- فَيَتَرَاكَمُ النَّتُّ فَبَعْضُهُنَّ يَدْخُلْنَ مَوَاقِعَ التَّوَاصُلِ لِاسْتِخْدَامِ النَّتِّ فَيُعْجِبُهُنَّ الأَمْرُ فَيَأْبَيْنَ الْخُرُوجَ

دُخُولُ النَّاسِ فِي الشَّبَكَاتِ سَهْلٌ * وَمَا الْعَقَبَاتُ إِلَّا فِي الْخُرُوجِ.**

فَيُحَاوِلْنَ مَعَ أُولِيَائِهِنَّ بِشَتَّى الطُّرُقِ وَمُخْتَلَفِ الْوَسَائِلِ، وَرُبَّمَا وَسَّطْنَ الْوَسَائِطَ وَاسْتَشْفَعْنَ بِالشُّفَعَاءِ -كَشَفِيعِ الْإِمَامِ عَبْدِالرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ؛ إِنْ كُنَّ زَوْجَاتٍ- حَتَّى يُعْطُوا الْمُوافَقَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ؛ فَهُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ الْقَائِلِ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يُوسُف:٣٣]. وَهُنَّ شَدِيدَاتُ الْإِلْحَاحِ وَالْمُرَاجَعَةِ فِيمَا يَهْوِينَ وَيَشْتَهِينَ.

وَبَعْضُهُمْ يَرْفُضُونَ مَوَاقِعَ التَّوَاصُلِ، فَتُصَرِّفُ الْبَاقَاتِ الْمُتَرَاكِمَةَ فِي الْبَرَامِجِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي فِي الْجَوَّالِ كَالْمُتَصَفِّحِ وَالْيُوتِيوبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.. فَيُصِيبُهَا الْهَوَسُ وَتَتَعَلَّقُ بِهَا فَرُبَّمَا بَعْدَ ذَلِكَ تَشْحَنُ بَاقَاتِ النَّتِّ لِلدُّخُولِ إِلَى هَذِهِ الْمَوَاقِعِ وَهَذَا -وَاللهِ- وَاقِعٌ، وَيَظُنُّ وَلِيُّهَا

أَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ صُنْعًا! وَقَدْ أَسَاءَ أَوَّلًا حِينَ أَعْطَاهَا جَوَّالًا حَدِيثًا. فَالْحَزْمُ مَطْلَبٌ ضَرُورِيٌّ فِي هَذَا الْبَابِ. و"بَابٌ يَجِيْكَ مَنْهُ الرِّيحُ سُدَّهُ وَاسْتَرِيحْ".

وَمَن لَمْ يَتَّقِ الضَّحْضَاحَ زَلَّتْ *** بِهِ قَدَمَاهُ فِي الْبَحْرِ الْعَمِيقِ

وقَالُوا: "لا بأْسَ أنْ تُعْطِيَهَا جَوَّالًا حَدِيثًا لِتَسْمَعَ الْقُرْآنَ وَالْمُحَاضَرَاتِ وَتَتَعَلَّمَ العِلْمَ الشَّرعِي".

قُلْتُ: هَذَا يُغْنِي عَنْهُ مُشَغِّلُ صَوْتٍ (mp3) أَوْ جَوَّالٌ عَادِيٌّ إِنْ دَعتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، وَتُعْطِيهَا الْكُتُبَ لِتَقْرَأَ وَتَسْتَفِيدَ، فَهَذَا خَيْرٌ لَهَا وَاللَّهِ. أَمَّا هَذِهِ الْجَوَّالاتُ فَفِيهَا ضَيَاعٌ وَفِتْنَةٌ، وَرُبَّمَا يَسْعَى الْإِنْسَانُ لِتَحْصِيلِ مُسْتَحَبٍّ فَيَغْرَقُ فِي الْمُوبِقَاتِ.

ومَنْ يجعلِ الضِّرْغامَ لِلصَّيْدِ بازَهُ *** تَصيَّدَهُ الضِّرغامُ فِيما تَصَيَّدا

قَالُوا: "بَيْنَمَا أَنْتِ تُرْسِلِينَ صَوْتَكِ الْجَمِيلَ لِشَابٍّ غَرِيبٍ عَنْكِ، هُنَاكَ فَتَاةٌ تُرْسِلُ كُلَّ يَوْمٍ صَوْتَهَا الْأَجْمَلَ لِمُعَلِّمَتِهَا لِتُسْمِعَهَا حِفْظَ الْقُرْآنِ".

قُلْتُ: هَذَا كَلَامٌ فَارِغٌ، وَدَسٌّ لِلسُّمِّ فِي الْعَسَلِ. فَإِنَّ امتِلاكَ الْمَرْأَةِ لِلْجَوَّالاتِ الْحَدِيثَةِ وَدُخُولَهَا مَوَاقِعَ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ أَضْرَارُهُ كَثِيرَةٌ، وَمَخَاطِرُهُ كَبِيرَةٌ؛ وَإِن كَانَتْ فِيهِ بَعْضُ الْمَصَالِحِ فَهِيَ فِي بَحْرِ مَفَاسِدِهَا مَغْمُورَةٌ، فِي تُرْبَةِ شَرِّها مَطْمُورَة.

ثُمَّ إِنَّ إِرْسَالَ الْمَرْأَةِ صَوْتَهَا فِي مَجْمُوعَاتِ التَّحْفِيظِ أَوْ إِلَى مُعَلِّمَاتِ الْقُرْآنِ قَدْ تَحْصُلُ بِهِ الْفِتْنَةُ وَيَعُودُ عَلَيْهَا بِالضَّرَرِ؛ كَأَن يَكُونَ أَحَدُ الرِّجَالِ يُفَتِّشُ جَوَّالَ امْرَأَتِهِ فَيَسْتَمِعُ لأَصْوَاتِ النِّسَاءِ، وَيَتَلَذَّذُ بِنَغَمَاتِهِنَّ وَنَبَرَاتِ أَصْوَاتِهِنَّ الرَّقِيقَةِ عِيَاذًا بِاللهِ.

وَقَدْ تَدْخُلُ بَعْضُ السَّاقِطَاتِ الْمَجْمُوعَةَ فَتَنْشُرُ أَصْوَاتَهُنَّ هُنَا وَهُنَاكَ.

أَوْ يَضِيعُ جَوَّالُ امْرَأَةٍ، أَوْ تَذْهَبُ امْرَأَةٌ بِجَوَّالِهَا إِلَى مُهَنْدِسٍ لَا يَخَافُ اللهَ (وَكَثِيرٌ مِنْ مُهَنْدِسِي الْجَوَّالاتِ مِنْ هَذِا الصِّنف)

أَوْ يُخْتَرَقُ جَوَّالُ إِحْدَى النِّسَاءِ... إِلَخ. فَتَنْتَشِرُ أَرْقَامُ النِّسَاءِ وَأَصْوَاتُهُنَّ بِطُرُقٍ كَثِيرة.

فَاقْتِنَاءُ النِّسَاءِ لِلْجَوَّالاتِ الْحَدِيثَةِ بِحُجَّةِ طَلَبِ الْعِلْمِ أَوِ الِاسْتِفَادَةِ مِمَّا فِيهَا = كَلَامٌ فَارِغٌ، وَشِنْشِنَةٌ نَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمَ.

فَعَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي نَفْسِهَا، وَتُسَمِّعَ حِفْظَهَا عِندَ أَحَدِ أَقَارِبِهَا أَوْ إِحْدَى النِّسَاءِ مِنْ قَرِيبَاتِهَا وَجَارَاتِهَا وَتَتْرُكَ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ الَّتِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وَرَائِهَا إِلَّا الْفَسَادُ وَانْتِهَاكُ الْأَعْرَاضِ، وَيَنْبَغِي عَلَى كُلِّ رَجُلٍ أَنْ يُحُولَ بَيْنَ نِسَائِهِ وَبينَ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ؛ وَإِلَّا فَوَاللهِ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ كَبِيرَةٌ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ.

- مَا لِي أَرَاكَ بَاكِيًا؟ هَوِّنْ عَلَى نَفْسِكَ، الدُّنْيَا لَا تَسْتَحِقُّ الْبُكَاءَ عَلَيْهَا؟!

- رَأَيْتُ امْرَأَتِي تُرَاسِلُ بَعْضَ الشَّبَابِ!

- هَلْ مَنَعْتَهَا مِنَ الْجَوَّالِ، وَأَظْهَرْتَ لَهَا عَبْسَةَ مَالِكٍ الْغَضْبَانِ لِئَلَّا تَعُودَ -وَهَذَا مِنْ أَدْنَى مَرَاتِبِ الْغَيْرَةِ- ؟!

- لَا، أَنَا أُحِبُّهَا، وَحَاوَلْتُ مَعَهَا فَلَمْ تَرْضَ، وَقَالَتْ: أَبْقِنِي وَمَعِي الْجَوَّالُ، وَإِلَّا طَلِّقْنِي. وَظَاهَرَهَا أَهْلُهَا عَلَيَّ.

تَـأَنَّ بِـدَمْـعِـكَ لَا تُـفْـنِهِ *** فَبَيْنَ يَدَيْكَ بُكَاءٌ طَوِيلُ

وقَالَ قَائِلٌ: "لَا تُعْطِ الْجَوَّالَ إِلَّا مَنْ تُحْسِنُ اسْتِخْدَامَهُ مِنْ نِسَائِكَ".

قُلْتُ: وَيَهُونُ عَلَيْكَ عِرْضُكَ أَنْ تُجَازِفَ بِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْخَطِيرَةِ! فَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَنْ تَعْلَمَ الَّتِي تُحْسِنُ مِنَ الَّتِي لَا تُحْسِنُ إِلَّا بَعْدَ التَّجْرِبَةِ الَّتِي رُبَّمَا تَهْوِي بِعِرْضِكَ وَسُمْعَتِكَ إِلَى الْحُضِيضِ! فَلَا تَغُرَّنَّكَ الظَّوَاهِرُ وَالتَّخْمِينَاتُ. وَغَالِبًا مَا تَكُونُ ثِقَةُ الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ قَوِيَّةً؛ فَلَا يَتَوَقَّعُ مِنْهُمُ الشَّرَّ كَمَا يَتَوَقَّعُهُ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَيُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِمْ إِلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ.

وقَالَ قَائِلٌ: "لَا تُعْطِ الْمَرْأَةَ رَقِيقَةَ الدِّينِ جَوَّالًا فَتَسْتَخْدِمَهُ فِي الْفَسَادِ، أَمَّا الصَّالِحَةُ فَلَا بَأْسَ أَنْ تُعْطِيَهَا".

قُلْتُ: هَذِهِ الْجَوَّالَاتُ الْخَبِيثَةُ قَدْ تَسْتَعْمِلُهَا الطَّالِحَةُ فِي الْفَسَادِ، وَقَدْ تُفْسِدُ الصَّالِحَةَ فَتَسْتَعْمِلُهَا **الْجَوَّالَاتُ** فِي الْفَسَادِ. فَمَنْ رُزِقَ امْرَأَةً صَالِحَةً فَلْيَتَّقِ اللهَ فِيهَا، وَلْيَحْذَرْ أَنْ يُفْسِدَهَا مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ أَنَّهُ سَيُصْلِحُهَا، وَيَضُرَّهَا مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ أَنَّهُ سَيَنْفَعُهَا. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

ويَقُولُ بَعْضُهُم: "أَعْطِ نِساءكَ جَوَّالاتٍ وَرَاقِبْهُنَّ لَيْلَ نَهَارٍ".

قُلْتُ: لَوْ أَنَّ الدُّعَاةَ إِلَى اللهِ أَغْلَقُوا عَلَى النَّاسِ هَذَا الْبَابَ (بَابُ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ) الَّذِي صَارَ مَنْفَذًا لِكَثِيرٍ مِنْ فِتَنِ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ؛ لَكَانَ أَوْلَى.

لِمَاذَا تُعَسِّرُونَ الْأَمْرَ وَتُصَعِّبُونَهُ، وَتَصَوَّرُونَ تَرْكَ النِّسَاءِ لِلْجَوَّالاتِ وَعَدَمَ تَمْكِينِهِنَّ مِنْهَا أَمْرًا ذَا شَأْنٍ! أَتْعَبْتُمُ النَّاسَ؛ رَاقِبْهَا لَيْلَ نَهَارٍ! هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، هَذَا بَعِيدٌ بَعِيدٌ -وَرَبِّي-؛ أَنَّى لأَحَدٍ أَنْ يُرَاقِبَهُنَّ لَيْلَ نَهَارٍ! أَلَمْ يَبْقَ لِلرِّجَالِ شُغْلٌ إِلَّا مُرَاقَبَةُ النِّسَاءِ!

وَلَوْ افْتَرَضْنَا أَنَّ شَخْصًا تَفَرَّغَ لِمُرَاقَبَتِهِنَّ لَيْلَ نَهَار؛ حَقِيقَةً لَا كِنَايَةً، لَا يَغْفُلُ عَنْهُنَّ إِلَّا وَقْتَ الصَّلَاةِ فَقَطْ؛ وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ؛ أَلَا تَقْدِرُ الْمَرْأَةُ أَنْ تَصِلَ إِلَى حَيْثُ شَاءَتْ أَنْ تَصِلَ بِلَمْسَةٍ أَوْ لَمَسَاتٍ يَسِيرَةٍ!

فَيَخْرُجُ مِنْ عِنْدِهَا وَهِيَ عَفِيفَةٌ غَافِلَةٌ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهَا وَقَدْ دُنِّسَ ثَوْبُ عِفَّتِهَا، وَهُتِكَ سِتْرُ غَفْلَتِهَا، وَتُسَلِّقَ حِصْنُ قَلْبِهَا؛ بِنَظْرَةٍ إِلَى حَرَامٍ، أَوْ كَلِمَةِ عِشْقٍ وَغَرَامٍ، ثُمَّ لَا يَجِدُ أَثَرًا؛ إِلَّا مَا كَانَ مِن فَسَادِ أَهلِهِ وتَغَيُّرِها علَيه!

ورُبّما فعَلَتْ فَعْلَتَها وهُوَ عِنْدها ولَا يَشْعُرُ بِها، وبَعضُ النِّساءِ قَد تُسَجِّلُ مَنْ تَتواصَلُ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ بِأَسماءِ النِّساءِ، وَقَد قالَ بَعضُهُم أَيَّامَ الجَوَّالاتِ العَادِيَّةِ:

أَنَـا مُسَجِّلْ رَقْمَها بِاسمِ مَروانْ *** وَاسمي بِهاتِفْها مُسَجَّلْ تَهاني!

فَهَذَا فَتْحٌ لِبَابٍ عَرِيضٍ مِنَ الْبَلَاءِ يَصْعُبُ سَدُّهُ، وَسَيْلِ فِتَنٍ جَارِفٍ يَسْتَحِيلُ رَدُّهُ أَوْ صَدُّهُ.

قَالَ شَيْخُنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْحَجُورِيُّ -وَفَّقَهُ اللهُ-: "لَا تُعْطِ أَوْلَادَكَ وَنِسَاءَكَ جَوَّالَاتٍ ثُمَّ تَقُولُ أَفْتِّشُهُ **فَإِنَّ التَّفْتِيشَ لَا يُغْنِي شَيْئًا**"اهـ.

لا تَقْطَعَنْ ذَنَبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا *** إِن كُنتَ شَهْمًا فَأَتْبِعْ رَأْسَهَا الذَّنَبَا

وَأَيْضًا: مَاذَا تَسْتَفِيدُ الْمَرْأَةُ مِنْ هَذَا الْجَوَّالِ الْخَبِيثِ! الَّذِي قَدْ يَكُونُ سَبَبًا فِي زَعْزَعَةِ الثِّقَةِ بِهَا، وَزَرْعِ الْمَشَاكِلِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَلِيِّهَا؛ كَيْفَ لَا وَهِيَ تَرَاهُ يُحَمْلِقُ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْه، وَيُصْغِي إِلَيْهَا بِأُذُنَيْه؛ كُلَّمَا تَصَفَّحَتِ الْهَاتِفَ أَوْ رَفَعَتِ السَّمَاعَةَ؛ يُسَائِلُهَا مَاذَا تَتَصَفَّحِينَ، بِمَن تَتَوَاصلِيْنَ، لِمَاذَا فِي هَذَا الْوَقْتِ تَفْتَحِينَ...إلخ.

فَتُجِيبُه؛ فَيَسْكُتُ أَوْ يَزِيدُ فِي الْأَسْئِلَةِ وَالِاسْتِفْسَارَاتِ..، وَلَوْ أَظْهَرَ أَنَّهُ صَدَّقَهَا؛ فَفِي قَلْبِهِ الَّذِي فِيهِ مِنَ الشَّكِّ وَالْغَيْرَةِ وَحُبِّ الِاسْتِئْثَارِ بِأَهْلِهِ دُونَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمْ.

وَتُعْجِبُنِي كَلِمَةُ بَعْضِ الْعَامَّةِ حَيْثُ قَالَ: أَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ وَأَنَا مُرْتَاحٌ؛ لِأَنَّ فُلَانَةَ (امْرَأَتُهُ) لَيْسَ مَعَهَا جَوَّالٌ.

وقَالُوا: "تُرِيدُ أَنْ تَمْنَعَ ابْنَتَكَ مِنْ الْجَوَّالِ فَتَبْكِي وَتَنُوحُ حَتَّى تُعْطِيَهَا"

قُلْتُ: أَئِنْ بَكَتِ الْبِنْتُ تُرِيدُ شَيْئًا يَضُرُّهَا أُعْطَيْنَاهَا! دَعْهَا تَبْكِي حَتَّى يَنْشَقَّ حَلْقُهَا، وَيَخُطَّ الدَّمْعُ مَجْرَاهُ فِي خَدِّهَا.

بُكَاؤُهَا إِنْ مَنَعْتَهَا مِنْ الْجَوَّالِ؛ أَهْوَنُ مِنْ بُكَائِكَ عَلَى أَطْلَالِ عِفَّتِهَا، وَنَوْحِكَ عَلَى أَشْلَاءِ كَرَامَتِهَا، وَلَنْ تَنْفَعَ عِنْدَ ذَلِكَ يَا لَيْتَنِي!

وقَالُوا: "لَا تَشْتَرِ لِامْرَأَتِكَ جَوَّالًا حَدِيثًا، لَكِنْ إِنْ اشْتَرَتْهُ مِنْ مَالِهَا أَوْ أُهْدِيَ إليهَا فَلَا بَأْسَ إِنْ كَانَتْ صَالِحَةً!".

قُلْتُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ، لِمَاذَا التَّفْرِيقُ بَيْنَ شِرَاءِ الْجَوَّالِ لِلْمَرْأَةِ، وَشِرَاءِ الْمَرْأَةِ لِلْجَوَّالِ؟!

كَأَنَّنَا وَالْمَاءُ مِنْ حَوْلِنَا *** قَوْمٌ جُلُوسٌ حَوْلَهُمْ مَاءُ!

هَذَا وَالسِّيُّ بِالسِّيِّ يُذْكَرُ؛ فَقَدْ أَخْبَرَنِي أَحَدُ الْإِخْوَةِ أَنَّهُ دَخَلَ مَرَّةً المَسْجِدَ وَفِيهِ بَعْضُ التَّبْلِيغِيِّينَ وَهُمْ مُخَزِّنُونَ! فَصَاحَ بِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ تُفْسِدُونَ مَا بَنَيْنَاهُ، نَحْنُ نُحَذِّرُ النَّاسَ مِنَ الْقَاتِ فِي بُيُوتِهِمْ، وَأَنْتُمْ تُخَزِّنُونَ فِي الْمَسْجِدِ! فَقَالُوا: نَحْنُ اصْطَرَفْنَا صَرْفَةً - وَاللهِ- وَلَمْ نَشْتَرِ!

يَعْنُونَ: أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ أَعْطَاهُمْ مِنْ قَاتِهِ وَلَمْ يَشْتَرُوا مِنْ مَالِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ هَذَا الْعُذْرَ شَافِعٌ لَهُمْ أَنْ يُخَزِّنُوا فِي الْمَسْجِدِ فَضْلًا عَنْ التَّخْزِينِ خَارِجَهُ!

قَالُوا: "المَرْأَةُ لَا تَسْتَغْنِي عَنِ الهَاتِفِ لِطَلَبِ العِلْمِ لِأَنَّ الكُتُبَ لَمْ تَعُدْ تَكْفِي".

قُلتُ: طَلَبُ العِلْمِ حَقِيقَةً يَكُونُ مِنَ الكُتُبِ وَلَيْسَ مِنَ الهَوَاتِفِ، وَطَالِبُ الدُّرِّ يَطْلُبُهَا فِي البَحْرِ لَا القَنَوَاتِ، وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الفَرَا، وَمَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيا.

وَهَذِهِ الجَوَّالَاتُ قَدْ أَظْهَرَتْ لَنَا صُنُوفًا مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ وطَالِباتِه؛ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ إِلَّا اسْمُهُ، لَا تَرَى عَلَيْهِمْ ذَرَّةً مِنْ سِمَةِ العِلْمِ وَسَمْتِهِ!

وَتَجِدُ الوَاحِدَ مِنهُمْ لَا يُحْسِنُ مَبَادِئَ العِلْمِ؛ ثُمَّ لَا يَتْرُكُ مَسْأَلَةً دَقَّتْ أَمْ جَلَّتْ؛ إِلَّا أَدْلَى بِقَوْلِهِ فِيهَا، وَلَا فِتْنَةً إِلَّا خَاضَهَا مَعَ الخَائِضِينَ!؛ كَالْهِرِّ يَحكِي انْتِفَاخًا صَوْلَةَ الأَسَدِ.

سَأُعْطِيكُمْ عَشَرَاتِ العُلَمَاءِ تَخَرَّجُوا مِنَ الكُتُبِ؛ فَهَاتُوا لَنَا عَالِمًا وَاحِدًا تَخَرَّجَ مِنْ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ.

فَغَايَةُ مَا تُخْرِجُهُ = مُثَقَّفٌ مُتَطَاوِلٌ يَرَى نَفْسَهُ مِنْ شُيُوخِ الإِسْلَامِ وَأَعْمِدَةِ العِلْمِ!

فالعِلْمُ الحَقِيقِيُّ المُحَقَّقُ المُدَقَّقُ فِي أَجْوَافِ الكُتُبِ.

ثُمَّ هَلْ قَرَأَتِ المَرْأَةُ عُشْرَ مِعْشَارِ العُشَيْرِ مِنْ كُتُبِ الأَئِمَّةِ وَفَتَاوَى أَهْلِ العِلْمِ المُتَقَدِّمِينَ حَتَّى نَقُولَ لَهَا: أَقْبِلِي عَلَى فَتَاوَى المُتَأَخِّرِينَ؟! وَمَا هَذِهِ أَمَامَ تِلْكَ!

ثُمَّ هَذِهِ كُتُبُ المُعَاصِرِينَ مُتَوَفِّرَةٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيَنْزِلُ كُلَّ جَدِيدٍ فِي المَكْتَبَاتِ قَبْلَ القَنَوَاتِ!

وَالْمَرْأَةُ مُطَالَبَةٌ بِتَعَلُّمِ مَا يَكْفِيهَا مِنْ أُمُورِ دِينِهَا وَجَزَاهَا اللهُ خَيْرًا -وَهَذَا بِفَضْلِ اللهِ وَحَمْدِهِ مَوْجُودٌ فِي الكُتُبِ- فَلَا نَحْتَاجُ إِلَى دَاعِيَاتٍ وَلَا إِلَى مُفْتِيَاتٍ وَلَا إِلَى خَرَّاجَاتٍ وَلَّاجَاتٍ بِدَعْوَى طَلَبِ العِلْمِ فِي الوَاقِعِ أَوِ المَوَاقِعِ. وهَذِهِ الجَوَّالَاتُ لَا تَكَادُ تُخْرِجُ إِلَّا سَلَافِعَ كَمَا رَأَيْنَا وَرَأَى غَيْرُنَا.

وَقَبْلَ امْتِلَاكِ طَالِبَاتِ العِلْمِ لِلْجَوَّالَاتِ كُنَّ أَحْسَنَ حَالًا مِنَ الآنَ، فَقَدْ قَلَّ عِلْمُهُنَّ وَحَيَاؤُهُنَّ، وَكَثُرَ شَغَبُهُنَّ وَجِدَالُهُنَّ، وَعَظُمَتِ المُصِيبَةُ بِهِنَّ.

وهَكَذَا إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ صَوْتِيَّاتِ المُعَاصِرِينَ فَفِي صَوْتِيَّاتِ الرَّاسِخِينَ مِنَ الدُّرُوسِ وَالفَتَاوَى مَا لَوْ جُمِعَتْ -وَجَمْعُهَا مُتَيَسِّرٌ- ثُمَّ عَكَفَتْ عَلَى سَمَاعِهَا طِيلَةَ عُمُرِهَا لَنَفِدَ عُمُرُهَا وَلَمْ تَنْفَدْ.

وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَزَوَّدَ بِالجَدِيدِ وَالمُفِيدِ مِنْ كَلَامِ المُعَاصِرِينَ مِنْ أَهْلِهَا أَوْ مِنَ النِّسَاءِ حَوْلَهَا. وَتَقَدَّمَتْ بَعْضُ مَخَاطِرِ دَعْوَى طَلَبِ النِّسَاءِ العِلْمَ فِي الجَوَّالَاتِ.

ثُمَّ إِنَّ طَلَبَ العِلْمِ عَبْرَ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ عَلَى العَكْسِ مِنْ قِصَّةِ الغُلَامِ مَعَ السَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ، فَلِكَي تَذْهَبَ إِلَى الرَّاهِبِ فَلَا بُدَّ أَنْ تَمُرَّ عَلَى السَّاحِرِ فِي طَرِيقِكَ! فَحَسْبُنَا اللهُ، مَا أَعَزَّ السَّلَامَةَ!

وقَالُوا: "الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ لَا يُخَافُ عَلَيْهَا مِنْ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ".

قُلْتُ: هَذَا كَلَامٌ بَعِيدٌ عَنْ الصَّوَابِ، وَشُبْهَةٌ مُتَهَاوِيَةٌ تَحْمِلُ كَفَنَهَا بِيَدَيْهَا.

هَلْ أُحَدِّثُكُم عَنْ عَشَرَاتِ الْقِصَصِ فِي صَالِحَاتٍ، وَصَلْنَ إِلَى الْفَوَاحِشِ وَالْمُوبِقَاتِ، بِسَبَبِ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ؟!

دَعُوا الْأُمُورَ مَسْتُورَةً، فَمَنْ يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ الْفِتَنَ يَا هَؤُلَاءِ!

هَذَا أَبُو الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامُ الْحُنَفَاءِ الْمُوَحِّدِينَ؛ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبْراهِيم:٣٥]. قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "فمَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ!".

وَهَذَا الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- يَقُولُ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يُوسُف:٣٣]. فكثْرَةُ الطَّرْقِ تَفُكُّ اللِّحَامَ، وَحَبْلُ الدَّوَامِ يَقْطَعُ الْحَجَرَ -كَمَا يَقُولُ النَّاسُ-، بَلْ قَطَرَاتُ الْمَاءِ تَخْرِقُ الصَّخْرَ!

وَلَوْ كَانَ سَهْمًا وَاحِدًا لَاتَّقَيْتُهُ *** وَلَكِنَّهُ سَهْمٌ وَثَانٍ وَثَالِثُ

وَتَقُولُونَ: الصَّالِحَةُ لَا يُخَافُ عَلَيْهَا مِنْ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ!

وَاللهِ إِنَّا لنَخَافُ عَلَى أَنْفُسِنَا جِدًّا مِنْ شَرِّ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ، وَنَخْشَى أَنْ تُلْقِيَنَا فِي الْمَهَالِكِ -عِيَاذًا بِاللهِ- ونَحْنُ رِجَالٌ!، فَمَا الظَّنُّ بِالنِّساءِ النَّواقِص!

وَدَعْنِي أُخَبِّرْكَ عَنْ بَعْضِ مَا لَاقَيْتُ فِي هَذِهِ الْجَوَّالاتِ، وَفِي الْوَاتْسَابِ وَالتِّيليغْرَامِ وَالْمُتَصَفِّحِ الرَّسْمِيِّ فِي الْجَوَّالِ فَقَط:

•**الْوَاتَسَاب**: كَانَ أَخَفَّ التَّطْبِيقَاتِ ضَرَرًا، وَأَقَلَّهَا خَطَرًا، وَالْآنَ قَدِ اشْتَدَّ ضَرَرُهُ، وَعَظُمَ خَطَرُهُ، وَتَيَسَّرَ الْفِسْقُ فِيهِ كَثِيرًا؛ بِسَبَبِ الْقَنَواتِ فِيه.

فَمِمَّا لَقِيتُ مِنْهُ: أَنْ دَخَلَتْ عَلَيَّ بَعْضُ النِّسَاءِ يَطْلُبْنَ الصَّدَاقَةَ وَالْمُؤانَسَةَ وَالتَّعَارُفَ!

وَهَكَذَا اشْتَرَيْتُ شَرِيحَةً مَرَّةً بِلا بِطَاقَةٍ -وَعَرَفْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ لِامْرَأَةٍ- فَدَخَلَ عَلَيَّ رِجَالٌ مِنْ بِلَادٍ شَتَّى يَطْلُبُونَ الصَّدَاقَةَ وَالْمُؤانَسَةَ وَالْعِشْقَ وَالْغَرَامَ، وَيُرْسِلُونَ صُورَهُمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَنِي بَعْضُهُمْ أَنَّهُ أَتَى بِالرَّقَمِ مِنْ بَرَامِجِ كَشْفِ الْأَرْقَامِ؛ وَمَا أَيْسَرَ الْحُصُولَ عَلَى أَرْقَامِ النِّسَاءِ وَالْوُصُولَ إِلَيْهِنَّ وَاللهِ!

وَبَعْضُهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ بِأَرْقَامٍ أَجْنَبِيَّةٍ وَيُرْسِلُ مَقَاطِعَ وَصُورًا إِبَاحِيَّةً، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

•**التِّيليغْرَام**: مِنْ أَنْفَعِ التَّطْبِيقَاتِ لِمُبْتَغِي النَّفْعِ، وَلَنْ تَجِدَ خَيْرًا مَحْضًا فِي هَذِهِ الْجَوَّالاتِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

تَوْجَدُ فِيهِ بُوتَاتٌ لِلِاخْتِرَاقِ، وَتُعْطِيكَ رَوَابِطَ اخْتِرَاقٍ كَثِيرَةً لِسَحْبِ الصُّورِ وَالْمَقَاطِعِ وَالْأَرْقَامِ وَالرَّسَائِلِ، وَهَكَذَا مَقَاطِعُ وَصُورٌ بِتَصْوِيرٍ مُبَاشِرٍ مِنَ الْأَمَامِ وَالْخَلْفِ لِمَنْ أَرَدْتَ!

وَهَذَا مُتَنَاوَلٌ عَلَى طَرَفِ الثَّمَامِ فِي التِّيليغْرَام، فَمَا أَسْهَلَ التَّجَسُّسَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ!

والبُوتاتُ فِي التِّليجْرام تُوَفِّرُ كُلَّ فِسْقٍ وفُجُورٍ، بَلْ تُوجَدُ بُوتاتٌ لتَعْرِيَةِ الصُّوَر!. فكُونُوا عَلَى حَذَرٍ قَدْ يَنْفَعُ الحَذَرُ.

وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ أَبْحَثُ عَنْ كَلِمَةٍ فِي بَيْتِ شِعْرٍ أَوْ كَلَامِ إِمَامٍ فَتَظْهَرُ قَنَوَاتٌ مَلَأَى بِالْإِبَاحِيَّاتِ فِي غَيْرِ مَظَانِّهَا!

وَبَعْضُهَا ظَهَرَتْ وَأَنَا أَبْحَثُ فِي مَوْضُوعٍ شَرعِي عنِ الفَضِيْلَةِ والحِجَابِ، فانْظُروا كَيفَ يُسَمُّونَهَا بِأَسْمَاءَ دِينِيَّةٍ، بَلْ وبِما تَبْحَثُ عَنْهُ النِّسَاءُ غَالِبًا. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!

• **الْمُتَصَفِّحُ**: وَمَا أَحْسَنَهُ لِمَنِ اسْتَخْدَمَهُ فِي الْخَيْرِ، وَمَا أَقْبَحَهُ وَأَضَرَّهُ لِمَنْ أَسَاءَ اسْتِخْدَامَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَصَفْوُهُ مَشُوبٌ بِكَدَرٍ، وَخَيْرُهُ مُدَنَّسٌ بِقَذَرٍ، وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ أَبْحَثُ عَنْ كِتَابٍ فِيهِ فَيُرْسِلُ لِي مِئاتِ الصُّورِ الْخَلِيعَةِ، فلَا أَسْتَطِيعُ إِيقَافَهَا وَمَنْعَهَا إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ!

بَلْ كَمْ مِنْ مَرَّةٍ أَفْتَحُ تَطْبِيقَ الْمُصْحَفِ وَالْجَوَّالُ مُتَّصِلٌ بِالنِّتِّ فَتَظْهَرُ إِعْلَانَاتٌ لِنِسَاءٍ مُتَبَرِّجَاتٍ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ، فَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَهَذَا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ لِتَنْبِيهِ الْغَافِلِينَ!.

لِهَذَا وَغَيْرِهِ -فَوَاللهِ- لَا آمَنُ الْجَوَّالَ عَلَى نَفْسِي، فَأَبْقِيهِ دُونَ رَمْزٍ، وَإِنْ رَمَّزْتُهُ لِحَاجَةٍ أَعْلَمْتُ أَهْلِي وَمَنْ حَوْلِي مِنَ الْإِخْوَةِ بِهِ، وَمَنْ طَلَبَهُ أَعْطِيْهُ إِيَّاهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَنْظُرُ فِيمَا شَاءَ، وَلَيْتَنِي أَسْلَمُ! أَفَلَا يُخَافُ عَلَى نَاقِصَاتِ الْعَقْلِ وَالدِّينِ مِنْ مَفَاسِدِ الْجَوَّالاتِ بَعْدَ هَذَا!

فَلَا وَاللهِ لَا يَأْمَنُ فِتَنَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَضْلًا عَنْ أَهْلِهِ إِلَّا مُغَفَّلٌ مَغْرُورٌ.

وَلَوْ أَمِنتَ أَهْلَكَ عَلَيْهِ فَلَا تَأْمَنْهُ عَلَى أَهْلِكَ، فَوَاللهِ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الدَّجَّالِ فِتْنَةً أَعْظَمَ مِنْهُ.

وَإِلَيْكُمْ مَا يَنْسِفُ عُرُوشَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَقْوَالٍ، فِي تَمْكِينِ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْجَوَّالِ، وَيَدُكُّ حُصُونَهَا، وَيُجَلِّي الْأَمْرَ؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأَنْفَال:٤٢].

نصائح خاصة للخاصة
من الصالحين وطلبة العلم

"دَخَلَ إمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو الْمَعَالِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ دَارَهُ يَوْمًا وَقَعَدَ يَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ، فَسُئِلَ عَنْ سَبَبِهِ فَقَالَ: كُنْتُ أَمْشِي فِي السُّوقِ فَسَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ لِآخَرَ: إنَّ فِي دَارِكَ صُوَرًا وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ، فَقَالَ: **رَأَيْتُ فِي دَارِ أَبِي الْمَعَالِي صُوَرًا وَقَدْ دَخَلْنَاهَا يَوْمَ كَذَا؛ فَلَوْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً لَمَا اتَّخَذَهَا**. فَمَا عُذْرِي فِي هَذَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى"! [التَّدْوِينُ فِي أَخْبَارِ قَزْوِينَ: لأَبِي الْقَاسِمِ الرَّافِعِيِّ الْقَزْوِينِيِّ ١/ ٣٩٧].

تَمْهِيْدٌ

رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنَّ رَجُلًا سَلَفِيَّ الْمَنْظَرِ قَائِمٌ وَبِجَانِبِهِ ابْنَتُهُ الْمَوْلُودَةُ بِلَا ثِيَابٍ، وَهِيَ صَغِيرَةٌ جِدًا، وَكَانَتْ فِي الْقَاعِ عَلَى التُّرَابِ (وَهُوَ تُرَابٌ مُخْتَلِطٌ بِبَعَرِ الْأَغْنَامِ وَغَيْرِهَا مِنَ الشَّوائبِ) فَأَتَى رَجُلٌ آخَرُ كَالْأَوَّلِ فَكَانَ يُدْخِلُ رَأْسَهَا فِي ذَاكَ التُّرَابِ ثُمَّ يُخْرِجُهَا وَهُمَا يَضْحَكَانِ، كَانَ يَغْمِسُ رَأْسَهَا فِيهِ بِكُلِّ سُهُولَةٍ! وَأَنَا كُنْتُ أُصِيحُ عَلَيْهِمَا بِكُلِّ قُوَّتِي، بِأَعْلَى صَوْتِي وَأُحَذِّرُهُمَا مِنْ أَنَّ هَذَا سَيَضُرُّهَا، وَهُمَا يَضْحَكَانِ! ثُمَّ رَأَيْتُ جَسَدَهَا يَنْزِفُ، ثُمَّ خَرَجَ الدَّمُ مِنْ فَمِهَا وَأُذُنَيْهَا بِكَثْرَةٍ! وَقَالُوا: مَاتَتْ! اهـ.

تَأْوِيلُ الشَّيْخِ أَبِي الْمُنْذِرِ الْحَوبَانِيِّ وَفَّقَهُ اللهُ وَسَدَّدَهُ:

اللهُ أَكْبَرُ، تَعْبِيرُهَا يَتَعَلَّقُ بِالْجَوَّالَاتِ وَنُصْحِكَ لِلسَّلَفِيِّينَ وَالسَّلَفِيَّاتِ فِي هَذَا الْبَابِ.

صِيَاحُكَ هُوَ نَصِيحَتُكَ وَإِنْذَارُكَ وَتَكْرِيسُ الْجُهُودِ فِي هَذَا الْبَابِ.

(جَسَدُهَا يَنْزِفُ) هِيَ الْأَخْبَارُ وَالْقَصَصُ الَّتِي تَصِلُكَ وَالَّتِي تُدْمِي الْقَلْبَ وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ.

تَدُلُّ الرُّؤْيَا عَلَى أَنَّ النَّاسَ كَكُلٍّ مِنْ عَوَامّ وَغَيْرِهِمْ وَكَذَا بَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي غَفْلَةٍ سَحِيقَةٍ عَنِ الِانْتِبَاهِ لِنِسَائِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ. ضَحِكُهُمْ هُوَ عَدَمُ مُبَالَاتِهِمْ بِإِنْذَارَاتِكَ الْمُتَكَرِّرَةِ وَرُبَّمَا يُعَاقَبُ بَعْضُهُمْ بِمَا نَتِيجَةُ تَفَلُّتِهِ بِأُمُورٍ وَأُمُورٍ خَاصَّةٍ تَحْصُلُ لَهُ نَتِيجَةَ ذَلِكَ.

وَغَمْسُ رَأْسِهَا فِي ذَاكَ التُّرَابِ= هُوَ الْفِتْنَةُ وَالِانْغِمَاسُ فِيهَا. وَكَوْنُهُ فِي مَحَلِّ الْأَغْنَامِ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ قَدْ صِرْنَ فِي الْحَضِيضِ مَعَ وُجُودِ الْجَوَّالَاتِ وَاللهُ

الْمُسْتَعَانُ. هَذَا تَعْبِيرٌ مُجْمَلٌ لِلرُّؤْيَا وَإِلَّا فَهِيَ تَحْمِلُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَنَسْأَلُ اللهَ الْهُدَى وَالسِّتْرَ لِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَاللهِ غَنِيمَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًا تَرْكُ النِّسَاءِ لِلْجَوَّالِ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ.

إِلَى الْمُزَكِّينَ أَنْفُسَهُمْ

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ أَثْبَتَ الْوَاقِعُ إِفْسَادَ الْجَوَّالَاتِ لِكَثِيرٍ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ، فَيَا أَيُّهَا الْمُزَكُّونَ أَنْفُسَكُمْ؛ أَمَا قَرَأْتُمْ وَسَمِعْتُمْ الْقِصَصَ الْكَثِيرَةَ، وَالْفَضَائِحَ الْكَبِيرَةَ، وَالْمَزَالِقَ الْخَطِيرَةَ فِي هَذَا؟!

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ شُيُوخٍ وَدُعَاةٍ وَطُلَّابِ عِلْمٍ كِبَارٍ وَقَعُوا فِي فِتْنَةِ الْجَوَّالَاتِ وَالْمُرَاسَلَاتِ وَأَوْقَعُوا؟!

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ وُقُوعِ بَعْضِ بَنَاتِ الْكِبَارِ فِي فِتَنِ الْجَوَّالَاتِ وَالْمُرَاسَلَاتِ، وَتَصْوِيرِ الْأَجْسَادِ وَالْعَوْرَاتِ؟!

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ طَالِبَةِ عِلْمٍ دَخَلَتْ تَطْلُبُ النَّصِيحَةَ فَاسْتَحَالَتْ النَّصِيحَةُ فَضِيحَةً، وَحَصَلَ تَبَادُلٌ لِصُوَرِ الْأَجْسَادِ وَالْعَوْرَاتِ؟!

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الْمُرَاسَلَاتِ بَيْنَ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَطَالِبَاتِهِ، بَلْ الدُّعَاةِ وَالدَّاعِيَاتِ؛ إِنْ صَحَّ التَّعْبِيرُ؟!

أَلَمْ تَسْمَعُوا الْأَنِينَ، أَلَمْ تَرَوُا الْحَسَرَاتِ، أَلَمْ تُحْرِقْكُمْ حَرَارَةُ الزَّفَرَاتِ، لِكَثِيرٍ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ، بِسَبَبِ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ؟!

أَلَمْ تَرَوْا قِصَصَ الْعِشْقِ وَالْغَرَامِ، وَالشَّوْقِ وَالْهُيَامِ وَقَدْ شَاعَتْ فِي الْوَاقِعِ، وَمَلَأَتِ الْمَوَاقِعَ؟!

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الْحَالَاتِ، وَمَا فِيهَا مِنَ السَّفَاسِفِ وَالْمَخَازِي وَالسَّفَاهَاتِ! امْرَأَةٌ دَأْبُهَا تَصْوِيرُ يَدِهَا وَنَشْرُهَا، وَأُخْرَى تُصَوِّرُ ابْنَتَهَا فِي زِيِّ عُرْسِهَا، وَثَالِثَةٌ تُصَوِّرُ هَدَايَا زَوْجِهَا

لَهَا وَكُلَّ مَا تَطْبُخُ وَيُهْدَى لَهَا مِنْ الطَّبْخِ وَغَيْرِهِ، وَرَابِعَةٌ تُوَثِّقُ جَمِيعَ تَحَرُّكَاتِهَا مَعَ زَوْجِهَا، فَتُصَوِّرُ غُرْفَةَ النَّوْمِ فِي بَيْتِهَا وَفِي الْفُنْدُقِ الَّذِي بَاتَا فِيهِ، وَالْحَدِيقَةَ الَّتِي تَنَزَّهَا فِيهَا، وَالسَّيَّارَةَ الَّتِي رَكِبَاهَا! فَكَمْ وَكَمْ تُعَدِّدُ مِنْ مَخَازِي حَالَاتِ مُدَّعِيَاتِ الصَّلَاحِ، مُتَقَفِّرَاتِ العِلمِ! وَمَنْ خَافَتْ مِنْ شَخْصٍ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهَا= تَحْظِرُهُ مِنْ مُشَاهَدَةِ حَالَاتِهَا؛ وَمَا أَيْسَرَ التَّخَفِّي!

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ تَفَاخُرِ طَالِبَاتِ الْعِلْمِ بِاقْتِنَاءِ الْجَوَّالَاتِ الْحَدِيثَةِ الْخَبِيثَةِ وَإِظْهَارِهَا فِي الْمَرَاكِزِ وَالْمَحَافِلِ؛ حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي مَنَعَهَا زَوْجُهَا مِنْ الْجَوَّالَاتِ الْحَدِيثَةِ تَسْتَحِيي أَنْ تُخْرِجَ الْجَوَّالَ الْعَادِيَّ مِنْ حَقِيبَتِهَا حِينَ يَتَصِلُ بِهَا زَوْجُهَا لِتَخْرُجَ! فَتُجِيبُهُ وَالْجَوَّالُ فِي الْحَقِيبَةِ!

وَقَدْ أَكْثَرْنَ مِنْ التَّفَاخُرِ فِي بَعْضِ الْمَرَاكِزِ وَصَارَ شُغْلُهُنَّ الشَّاغِلُ= مَنْ تَمْلِكُ أَجْمَلَ وَأَغْلَى جَوَّالٍ، فَاضْطُرَّ شَيْخُ الدَّارِ لِمَنْعِ النِّسَاءِ مِنْ الْإِتْيَانِ بِالْجَوَّالَاتِ إِلَى الْمَسْجِدِ!

يَبْدُو أَنَّ بَعْضَهَا لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُهُ!؛ فَخُذُوهُ عَنِّي بِسَنَدٍ عَالٍ.

وَإِذَا لَمْ تَرَ الهِلَالَ فَسَلِّمْ *** لِأُنَـاسٍ رَأَوْهُ بِـالْأَبْصَارِ

وانْظُرُوا فِي كَثِيرٍ مِنْ الْفَتَاوَى: أَنَا طَالِبَةُ عِلْمٍ، مِنْ أُسْرَةٍ صَالِحَةٍ، وَالْكُلُّ يَمْدَحُنَا وَيُثْنِي عَلَيْنَا، أَقُومُ اللَّيْلَ وَأَصُومُ النَّهَارَ، لَكِنْ...، تَعَلَّقْتُ بِشَابٍّ، أَنْظُرُ فِي الْحَرَامِ، تَرَكْتُ قِيَامَ اللَّيْلِ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ... وَهَلُمَّ جَرًّا، فَمَا بَعْدَ "لَكِنْ" مُخَالِفٌ لِمَا قَبْلَهَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا.

وَالسَّبَبُ الْجَوَّالُ.

فَيَاللهِ كَمْ أَنْتُمْ مُغْتَرُّونَ، وَعَلَى هَذِهِ الْفِتْنَةِ مُجْتَرِئُونَ، تَتَهَافَتُونَ عَلَيْهَا تَهَافُتَ الْفَرَاشِ عَلَى النَّارِ!

يَا قَوْمُ.. إِنَّ فِتْنَتَهَا مُوبِقَةٌ، وَنَارَهَا مُحْرِقَةٌ، وَقِيعَانَهَا مُغْرِقَةٌ؛ فَمَا الظَّنُّ بِلُجَجِ بِحَارِهَا!

وَمَن لَم يَتَّقِ الضَّحْضاحَ زَلَّت*** بِهِ قَدَماهُ فِي الْبَحْرِ الْعَمِيقِ

وَإِنَّكُمْ إِنْ تَفْتَحُوا بَابَهَا= تَلِجُوهَا.

فاتْرُكُوا هَذِهِ الْأَمَانِي الْبَطَّالَةَ الَّتِي زَيَّنَهَا الشَّيْطَانُ وَحَسَّنَهَا الْهَوَى.

أَلَمْ يَأْنِ لَكُمْ أَنْ تَحْتَاطُوا لِأَعْرَاضِكُمْ؛ أَمْ مَا زِلْتُمْ تَنْتَظِرُونَ دَوْرَكُمْ؟!

إِلَى أَيْنَ يَا معشَرَ الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ؟!

إِلَى أَيْنَ يَا طُلّابَ العِلْمِ؟!

حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

مُرَاسَلَةُ النِّسَاءِ للرِّجَالِ بِحُجَّةِ الاستِفْتَاءِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ

أَرَّقَنِي تَسَاهُلُ بَعْضِ الصّالِحاتِ وَطَالِبَاتِ الْعِلْمِ فِي مُرَاسَلَةِ الرِّجَالِ بِحُجَّةِ الاستِفْتَاءِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُنَّ تَوَسَّعَتْ وَصَارَتْ وَاسِطَةً وَسَفِيرَةً بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ؛ فَتَسْتَقْبِلُ اسْتِفْتَاءَاتِ النِّسَاءِ -مَعَ مَا فِي كَثِيرٍ منْها مِن كَلَامٍ مُثِيرٍ للغَرِيزة- وَتُرْسِلُهَا إِلَى طُلَّابِ الْعِلْمِ! وَهَذَا بَابُ فِتْنَةٍ وَرَبِّي، وَكَثْرَةُ الْمِسَاسِ تُذْهِبُ الْإِحْسَاسَ؛ فَإِذَا اسْتَسَاغَتْ كَلَامَ الرِّجَالِ وَالْخَلْوَةَ بِهِمْ فِي الْمَوَاقِعِ؛ جَرَّهَا إِلَى فِعْلِ ذَلِكَ فِي الْوَاقِعِ.

وَالْكَلَامُ يَجُرُّ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ فَقَدْ يَكُونُ الْكَلَامُ فِي الْعِلْمِ ابْتِدَاءً، ثُمَّ السُّؤَالُ عَنْ الْحَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ... حَتَّى يَصِلَ بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى الْكَلَامِ عَنْ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ، ثُمَّ الدُّخُولِ فِي الْخُصُوصِيَّاتِ، وَالْحُبِّ وَالْغَرَامِ، وَالْعِشْقِ الْحَرَامِ

وَمَـا يَتْبَعُهُ مِـمَّا لَـسْتُ أَذْكُـرُهُ ***مِنَ الْهُرَاءِ وَمِنْ إِسْفَافِهِ الدَّانِي

فَيَقَعُ الْمَحْذُورُ، وَتُهْتَكُ السُّتُورُ، وَتُنْتَهَكُ أَعْرَاضُ ذَوَاتِ الْخُدُورِ. فَيَنْدَمُونَ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، وَيَطْلُبُونَ الْاسْتِدْرَاكَ فِي وَقْتِ الْعَدَمِ!

وَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ قِصَصًا فِي هَذَا، وَفِي أَوْسَاطِ بعضِ أَهْلِ الخيرِ والصَّلاحِ؛ بَدَأَتْ بِالنَّصَائِحِ وَانْتَهَتْ بِالْفَضَائِحِ.

فَالَّذِي يَنْبَغِي عَلَى النِّسَاءِ؛ تَرْكُ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ، وَعَلَى أَوْلِيَاءِ أُمُورِهِنَّ مَنْعُهُنَّ مِنْهَا وَمَنْعُهَا عَنْهُنَّ. وَالَّتِي لَدَيْهَا سُؤَالٌ تَسْأَلُ مَنْ حَوْلَهَا مِنْ نِسائِها أو محارِمِها، أَوْ تَجْعَلُ وَلِيَّهَا يَسْأَلُ مَن يَثِقُ بِهِ مِن طَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَلَا دَاعِيَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي تَجُرُّ إِلَى الشُّرُورِ، وَتُوقِعُ فِي الْمَحْذُورِ. فَاتَّقُوا اللهَ فِي ذَوَاتِ الْخُدُورِ.

مَنْ يُصْلِحُ الْمِلْحَ إِذَا الْمِلْحُ فَسَد!

سُئِلَ بعضُ الشُّيوخِ عن رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ يُقالُ إنَّهُمَا مِنْ الدُّعَاةِ، تَجاوَزَا الأَرْبَعِينَ وَهُمَا عَلَى تَوَاصُلٍ وَلَا يَقْبَلَانِ النُّصْحَ!

قُلْتُ: فَكَيْفَ بِطُلَّابِ العِلْمِ مِنَ الشَّبَابِ وَالشَّابَّاتِ؟! أَمْ كَيْفَ بِالْمُرَاهِقِينَ وَالْمُرَاهِقاتِ.. الَّذِينَ مَكَّنْتُمُوهُم مِنَ الجَوَّالاتِ؟! وَاللهِ إنَّ تَسَاهُلَ كَثِيرٍ مِن طُلَّابِ العِلْمِ وَالدُّعَاةِ إِلَى اللهِ فِي تَمكينِ نِسَائِهِم مِنْ هَذِهِ الجَوَّالاتِ الخَبِيثَةِ= نُكتَةٌ سَوداءُ فِي تَارِيخِهِم النَّاصِعِ بِالْبَيَاضِ فِي التَّصَدِّي لِلْفِتَنِ وَدَحْضِهَا وَالتَّحْذِيرِ مِنها. فإِلَى أَيْنَ يَا مَعْشَرَ الدُّعَاةِ وَطُلَّابِ العِلْمِ..؟! أَنتُمْ الْمِلْحُ فَإِنْ فَسَدْتُّمْ فَمَنْ سَيَصْلُحُ وَيُصْلِحُ..؟!

مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ يَا مِلْحَ الْبَلَد *** مَنْ يُصْلِحُ الْمِلْحَ إِذَا الْمِلْحُ فَسَد!

بَدَلًا مِنْ أَنْ تَكُونُوا دُعَاةً صِرْتُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى مَنْ يَدْعُوكُمْ! كُنتُمْ دُلَّالًا إِلَى طَرِيقِ السَّلَامَةِ فَصِرْتُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يدلُّكُمْ! كَثِيرٌ مِنَ العَامَّةِ -وَاللهِ- يَعْيبُونَ تَسَاهُلَكُمْ هَذَا! كُنتُمْ قُدُوَاتٍ لِلنَّاسِ؛ فَبِمَنْ سَيَقْتَدُونَ الآن؟! وَاللهِ لَيَسْقُطَنَّ بِسُقُوطِ كَثِيرٍ مِنكُمْ فِي هَذِهِ الفِتْنَةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

وَكُنَّا نَسْتَطِبُّ إِذَا مَرِضْنَا *** فَصارَ سقامُنَا بِيَدِ الطَّبِيبِ!

هَذَا مَشِينٌ فِي حَقِّكُمْ وَاللهِ، اتَّقُوا اللهَ فِي أَنفُسِكُمْ وَفِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ الصَّافِيَةِ النَّقِيَّةِ؛ لَا تَشُوبُوهَا وَتُشَوِّهُوهَا وَتَنْشَغِلُوا عَنْهَا بِسَبَبِ هَذِهِ الجَوَّالاتِ الخَبِيثَةِ.

وَأَعجَبُ -واللهِ- أنْ ألْقى مِن بَعْضِكُمْ -سَامَحَهُ اللهُ- أَذًى كَثِيرًا، وَكَمْ قَالَ لِي مِنْ أَحِبَّةٍ: دَعِ الكَلَامَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ.. أَرِحْ نَفْسَكَ.. هَذِهِ أَعْرَاضُهُمْ وَلَيْسَ عِرْضَكَ.. ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فَاطِر :٨]. قُلْ كَمَا قَالَ القَائِلُ:

مَالِي وَلِلنَّاسِ كَمْ يَلْحُونَنِي سَفَهًا *** دِينِي لِنَفْسِي وَدِينُ النَّاسِ لِلنَّاسِ

لَكِنَّ قَلْبِي لَا يُطَاوِعُنِي، وَدِينِي لَا يَرْضَى لِي بِالْسُّكُوتِ عَنْ إِنكارِ المُنْكَرَاتِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ فَرَائِضِهِ.

فيَا قَوْمُ.. أَنَا لَكُم النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ.. فَالنجَاءَ النَّجَاءَ.. وَالْفِرَارَ الفِرَارَ بِأَعْرَاضِكُمْ مِنْ هَذِهِ النَّارِ الحَمْرَاءِ الَّتِي تَأْكُلُ الأَخْضَرَ وَاليَابِسَ. قَدْ أَنْذَرتُكُم فاحْذَروا.

وَاللهِ إِنَّ عِندِي أَخْبَارًا مُوثُوقَةً عَنْ طَالِباتِ عِلمٍ وبَنَاتِ دَعْوَةٍ قَدْ زَلَّتْ أَقْدَامُهُنَّ فِي مُرَاسَلَةِ الرِّجَالِ وَالْعَلَاقَاتِ الْمُحَرَّمَةِ! فَأَيْنَ أُولِيَاؤُهُنَّ..؟! إِنَّهُمْ سَاهُونَ لاهُونَ غَافِلُونَ عَمَّا فِي أَيْدِي نِسَائِهِمْ، أَعْطَوْهُنَّ هَذِهِ الجَوَّالاتِ الخَبِيثَةَ ثُمَّ أَحْسَنُوا الظَّنَّ بِهِنَّ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، وَشُغِلُوا عَنْهُنَّ بِمَا هُمْ فِيهِ وَلَنْ يَشفَعَ ذلِك لَهُمْ، ولنْ يُعْذَروا بِه.

وَهَكَذَا تُرْسِلُ طَالِبَةُ عِلْمٍ إِلَيْنَا بِكَلَامٍ تَتَحَسَّرُ فِيهِ عَلَى تَسَاهُلِهَا فِي الرِّضَا بِاسْتِخْدَامِ الجَوَّالِ..، وَتُرْسِلُ مُحَادَثَاتٍ لَهَا مَعَ دُعَاةٍ إِلَى اللهِ؛ بَدَأَتْ بِالِاسْتِفْسَارِ وَانْتَهَتْ بِهَتْكِ الأَسْتَارِ! وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَأَيْنَ أَنتُمْ يَا رِجَالَ العِلمِ والدِّينِ مِنْ إِنكَارِ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ، وَالتَّصَدِّي لَهَا وَمُحَارَبَتِهَا، وَقَطْعِ سُبُلِهَا وَمَنَافِذِهَا!

وَهَكَذَا أَدْعُوكُمْ لِلنَّظَرِ فِي قَنَوَاتِ طُوَيلِبَاتِ العِلمِ، تِلْكَ تَنْشُرُ عُنوانَهَا، وَأُخْرَى تَنْشُرُ رَقْمَهَا فِي قَنَاتِهَا، وَثَالِثَةٌ تُبَعْثِرُ مَشَاعِرَهَا وَأَحْزَانَهَا عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَتَخْضَعُ بِالْقَوْلِ

إِلَى حَدٍّ لَا يَصْلُحُ أَنْ تَخْضَعَ بِهِ إِلَّا لِبَعْلِهَا! وَرَابِعَةٌ لَا تَفْتُرُ لِسَانُهَا عَنْ التَّعْبِيرِ بِحُبِّهَا لِإِخْوَانِهَا الرِّجَالِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَطَلَبَةِ العِلمِ، وَخَامِسَةٌ وَسَادِسَةٌ... إِلَخ!

هَذَا بِخِلَافِ تَمْيِيعِ الْمَنْهَجِ، وَالتَّصَدُّرِ لِلْإِفْتَاءِ وَالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ؛ مَعَ الضَّعْفِ الْعِلْمِيِّ الشَّدِيدِ؛ فَبَعْضُهُنَّ لَا يُحْسِنَّ حَتَّى الْإِمْلَاءَ؛ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ..!

وَإِنْ قَسَوْتُ فَاعْذُرُونِي فَإِنَّمَا هِيَ زَفَرَاتُ مَكْلُومٍ، وَنَفَثَاتُ مَصْدُورٍ، تَكَادُ تُشَمُّ مَعَهَا رَائِحَةُ كَبِدٍ تَحْتَرِقُ، وَتُسْمَعُ نِيَاطُ قَلْبٍ تَتَمَزَّقُ وَتَتَقَطَّعُ.

وَهَكَذَا أَيْضًا مِنْ بَابِ قَوْلِ الْقَائِلِ:

فَقَسَى لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا *** فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

نَصِيحَةٌ لِلْإِخْوَةِ الْخَارِجِينَ دَعْوَة

إِخْوَانِي الْكِرَامُ.. لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ النَّاسَ تَقْتَدِي بِكُمْ وَتُقَلِّدُكُمْ، وَتَحْتَجُّ بِأَفْعَالِكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ.

فَيَنْبَغِي عَلَيْكُمْ أَنْ تُمَثِّلُوا دَعْوَةَ الحَقِّ أَحْسَنَ تَمْثِيلٍ، وَتبْتَعِدُوا عَنْ كُلِّ مَا قَدْ يُسِيءُ إِلَيْكُمْ أَوْ إِلَيْهَا أو إِلَيْكُمَا معًا .

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَنْظُورُونَ، وَأَنَّ النَّاسَ تُرَاقِبُ كُلَّ أَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، وَتَسْتَعْظِمُ الصَّغِيرَةَ مِنْكُمْ وَتَعُدُّهَا مِنَ الْمُوبِقَاتِ، بَلْ يَسْتَنْكِرُونَ مِنْكُمْ فِعْلَ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ وَمَا فِيهِ سَعَةٌ!

وحَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ= سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ، والعَيبُ في الرَّأسِ دُونَ العيبِ في الذَّنَبِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا تَسْتَنْكِرُهُ الْعَامَّةُ (الَّذِينَ لَمْ تَمْسَخْ قِيَمَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ الْحَقَارَةُ الْغَرْبِيَّةُ) = **تَمْكِينُ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالاتِ!**

فَكَثِيرٌ مِنَ الْعَامَّةِ -أَصْحَابُ الْفِطَرِ السَّلِيمَةِ- يَرَاهَا إِحْدَى الْكُبَرِ -وَهِيَ واللهِ كَذَلِكَ-، **بَلْ هِيَ الرِّيحُ الصَّرْصَرُ، وَالْمَوْتُ الْأَحْمَرُ، الَّذِي لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ!**

وَهَكَذَا النِّسَاءُ رُبَّمَا هَمَزْنَ وَلَمَزْنَ وَغَمَزْنَ فِي امْرَأَةِ الدَّاعِيَةِ إِنْ كَانَ لَدَيْهَا جَوَّالٌ حَدِيثٌ، لَكِنَّهُنَّ سُرْعَانَ مَا يَنْهَزِمْنَ وَيَخْضَعْنَ لِلْجَدِيدِ وَالْمُثِيرِ وَالْمُوْضَةِ!

وَرُبَّمَا بَعْضُهُنَّ يَكُونُ لَدَيْهَا جَوَّالٌ تَسْتُرُهُ؛ فَتَجْتَرِئُ عَلَى إِظْهَارِهِ وَالتَّفَاخُرِ بِهِ، كَيْفَ لَا وَالشَّيْخَةُ! فُلَانَةٌ لَدَيْهَا جَوَّالٌ مِنْ أَحْدَثِ الْجَوَّالاتِ؛ فَلَوْ كَانَ حَرَامًا أَوْ مُنكَرًا أو عَيْبًا مَا رَضِيَتْ بِهِ وَلَا رَضِيَ لَهَا بِهِ وليُّهَا!

وَهَكَذَا الَّتِي لَا تَمْتَلِكُهُ رُبَّمَا طَالَبَتْ بِهِ، وَتَجَرَّأَتْ عَلَى الْمُجَاهَرَةِ بِطَلَبِهِ، وَأَنَّهُ مِنْ حُقُوقِهَا!

وَقَدْ أُخْبِرْتُ عَنْ بَعْضِ الدُّعَاةِ أَنَّهُ نَزَلَ بِلَادًا يَسْتَنْكِرُ أَهْلُهَا تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالاتِ، وَالَّتِي لَدَيْهَا تَسْتَحِيي مِنْ إِظْهَارِهِ بَيْنَ النِّسَاءِ، فَجَاءَتِ امْرَأَتُهُ تَتَبَجَّحُ بِجَوَّالِهَا الْمُطَوَّرِ، وَلَا تَخْجَلُ مِنْ إِبْرَازِ هَذِهِ السَّوْأَةِ! فَجَرَّأَتِ النِّسَاءَ؛ فَتَهَافَتْنَ عَلَى الْجَوَّالاتِ تَهَافُتَ الْفَرَاشِ عَلَى النَّارِ، وَانْقَلَبَ الاسْتِنْكَارُ إِلَى مُنَافَسَةٍ فِي شِرَاءِ أَغْلَى الْجَوَّالاتِ وَالتَّبَاهِي بِهَا فِي الْمَجَالِسِ!

وَهَكَذَا امْرَأَةُ بَعْضِ الدُّعَاةِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَتْ مِنْ إِحْدَى الْبُلْدَانِ؛ مَا زَالَتْ تَتَوَاصَلُ بِمَن تَعْرِفُ مِنْ نِسَاءِ ذَاكَ الْبَلَدِ وَتُطَالِبُهُنَّ بِاسْتِخْدَامِ الْوَتساب لِيَسْهُلَ التَّوَاصُلَ بِهِنَّ، وَيَخُضْنَ فِيمَا بَدَا لَهُنَّ!

فَأَنْتُمْ -يَا إِخْوَتَاهُ- بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحْلَاهُمَا مُرٌّ، إِمَّا أَنْ تَسْقُطُوا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَإِمَّا أَنْ تُفْسِدُوا النَّاسَ وَتُصْبِحُوا قُدْوَاتٍ سَيِّئَةً، وَدُعَاةَ شَرٍّ، وَأَدَوَاتِ هَدْمٍ، وَتَحْمِلُوا أَوْزَارَ مَنْ اغْتَرَّ بِفِعْلِكُمْ هَذَا. عَلِمْتُمْ أَمْ لَمْ تَعْلَمُوا، وَقَصَدْتُمْ أَمْ لَمْ تَقْصِدُوا.

تَنْبِيهٌ: أَنَا لَا أُعَمِّمُ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى الْإِخْوَةِ جَمِيعًا؛ فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَّا فِي هَذَا الْبَابِ وَأَكْثَرُ نأيًا عَنِ الشَّرِّ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ، لَكِنِّي أَجْزِمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْكُمْ قَدْ مَكَّنَ امْرَأَتَهُ وَبَنَاتِهِ مِنَ الْجَوَّالاتِ الخَبِيثَةِ عِيَاذًا بِاللهِ مِنْ هَذَا الْمُنْكَرِ؛ لِأَنَّ طَالِبَاتِ الْعِلْمِ كَثِيرًا ما يَكُنَّ كَالْضَّرَائِرِ؛ فَالْعَامِيَّاتُ -غَالِبًا- يُنَافِسْنَ ضَرَّاتِهِنَّ أَوْ قَرِيبَاتِهِنَّ وَجَارَاتِهِنَّ، وَتَرَى كَثِيرًا مِن طَالِبَاتِ الْعِلْمِ ينَافِسْن جَمِيعَ مَنْ فِي الْمَرْكَزِ وَلَوْ كُنَّ بِالْمَئَاتِ أَوِ الْآلافِ! فَنَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

الإعْلَامُ بِبَعْضِ مَفَاسِدِ إنْشَاءِ النِّسَاءِ القَنَواتِ فِي التِّلِيجَرام

نَرَى تَهَافُتَ كَثِيرٍ مِنْ طَالِبَاتِ الْعِلْمِ عَلَى الْجَوَّالَاتِ، وَعَلَى فَتْحِ الْقَنَوَاتِ وَالْمَجْمُوعَاتِ فِي مَوَاقِعِ التَّقَاطُعِ الاجْتِمَاعِيِّ، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ شَيْءٌ كَثِيرٌ.

وَإِلَيْكَ هَذِهِ النِّقَاطَ الَّتِي وَقَفْتُ عَلَى جُلِّهَا بِنَفْسِي فِي قَنَوَاتِ طَالِبَاتِ الْعِلْمِ (وَلَمْ أَتَعَرَّضْ لِقَنَوَاتِ عَوَامِّ النِّسَاءِ لِكَثْرَةِ الْفَسَادِ فِيهَا بَلْ وَفِي جُلِّ أَفْعَالِهِنَّ)؛ وَلَدَيَّ عَلَيْهَا الْأَدِلَّةُ وَالْإِثْبَاتَاتُ. فَأَقُولُ؛ مُسْتَعِينًا بِاللهِ:

-أَوَّلًا: إنَّ تَمْكِينَ الْمَرْأَةِ مِنَ الْهَوَاتِفِ الذَّكِيَّةِ -إنْ صَحَّ التَّعْبِير- (وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ بِزَكِيَّةٍ) بِحُجَّةِ أَنَّ فِيهَا بَعْضَ الْمَصَالِحِ؛ حُجَّةٌ مَرْدُودَةٌ، وَشُبْهَةٌ مَدْحُوضَةٌ؛ فَإِنَّ مَضَارَّهَا وَمَفَاسِدَهَا لِلنِّسَاءِ -غَالِبًا- أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ مِنْ مَصَالِحِهَا وَفَوَائِدِهَا.

وَمِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ عِندَ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الْمَفْسَدَةَ إِذَا كَانَتْ مُسَاوِيَةً لِلْمَصْلَحَةِ أَوْ أَعْظَمَ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ دَرْؤُهَا وَسَدُّهَا وَالتَّخَلُّصُ مِنْهَا. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[الْبَقَرَةِ: ٢١٩].

وبِناءً عَلَى هَذَا فَيَنْبَغِي عَلَى أَوْلِيَاءِ أُمُورِ النِّسَاءِ مَنْعُهُنَّ مِنَ اسْتِخْدَامِ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ الْخَبِيثَةِ وَمَنْعُهَا عَنْهُنَّ **فَإِنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالَاتِ الْحَدِيثَةِ خَطَرُهُ عَظِيمٌ، وَضَرَرُهُ جَسِيمٌ، وَمَفَاسِدُهُ كَثِيرَةٌ، وَتَبِعَاتُهُ خَطِيرَةٌ؛ عَلَى الدِّينِ وَالْعِرْضِ وَالْجَسَدِ وَالْمَالِ.**

- ثَانِيًا: إنَّ فَتْحَ النِّسَاءِ لِلصَّفَحَاتِ وَالْمَجْمُوعَاتِ وَالْقَنَوَاتِ= هُوَ فَتْحٌ لِأَبْوَابٍ مِنَ الشَّرِّ وَإِنْ كَانَ فِيهِ بَعْضُ الْخَيْرِ، وَلَكِنَّهُ خَيْرٌ فِيهِ دَخَنٌ، وَسَنَذْكُرُ لَكُمْ بَعْضَ أَضْرَارِ فَتْحِ النِّسَاءِ

لِلْقَنَوَاتِ فِي بَرْنَامَجِ التَّيْلِيجْرَامِ (وَهَذَا أَهْوَنُ مِنْ فَتْحِ الصَّفَحَاتِ وَالْمَجْمُوعَاتِ فِي الْفَيْسْبُوكِ وَالْوَاتسْآبِ، وَكَذَلِكَ قَنَوَاتُ التِّيْلِيجْرَامِ أَهْوَنُ مِنَ الْمَجْمُوعَاتِ فِيهِ) فَمِنْ ذَلِكَ:

- أَنَّهُنَّ قَدْ يَحتَجنَ لِمُرَاسَلَةِ الرِّجَالِ لِإِضَافَةِ الْقَنَاةِ إِلَى قَائِمَةٍ لِنَشْرِ الْقَنَوَاتِ، أَوْ تَطْلُبُ مِنَ الرِّجَالِ نَشْرَ قَنَاتِهَا فِي قَنَوَاتِهِمْ، أَوْ تَدْخُلُ عَلَى الْمُشْتَرِكِينَ حِينَ يَغَادِرُونَ قَنَاتِهَا وَتَسْأَلُهُم عَنْ سَبَبِ مَغَادَرَتِهِمْ؟! وَتُطَالِبُهُم بِالرُّجُوعِ، أَوْ تَدْخُلُ عَلَى أَصْحَابِ الْقَنَوَاتِ فَتَسْتَأْذِنَهُمْ أَنْ تَنْشُرَ مَنْشُورَاتِهِمْ فِي قَنَاتِهَا مَعَ وَضْعِ رَابِطِهَا، أَوْ تَنْظُرُ فِي مُشْتَرِكِي قَنَاتِهَا فَتَسُوِّلُ لَهَا نَفْسُهَا مُرَاسَلَةَ هَذَا أَوْ ذَاكَ؛ فَإِنَّ الأنثَى تَضْعُفُ أَمَامَ الذَّكَرِ مَهْمَا كَانَتْ قَوِيَّةً كَما ذكَرْنا قبلُ، وَهَلُمَّ جَرًّا! وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ هَذَا شَيْءٌ هَيِّنٌ؛ بَلْ هُوَ عَظِيمٌ وَاللهِ؛ فَكَمْ مِنْ قِصَصِ الْحُبِّ وَالْغَرَامِ وَقَعَتْ بِسَبَبِ هَذَا!

وَكَذَلِكَ تَضْيِيعُ الْأَوْقَاتِ، وَالْجُرْأَةُ عَلَى مُرَاسَلَةِ الرِّجَالِ، وَاسْتِسَاغَةُ ذَلِكَ؛ فَلَنْ تَهَابَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَن تَسْتَحِيِيَ مِنْهُمْ..، وَقَدْ يَقَعُ الِاسْتِدْرَاجُ ثُمَّ الْابْتِزَازُ وَالْفَضِيحَةُ. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

-أَنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ تَضَعُ رَابِطَ حِسَابِهَا أَوْ بُوتِهَا عَلَى الْقَنَاةِ لِلِاسْتِفْسَارَاتِ أَوْ طَرْحِ الْمُلَاحَظَاتِ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالصَّالِحُ وَالطَّالِحُ، وَالْخَبِيثُ وَالسَّفِيهُ وَالطَّائِشُ وَغَيْرُهُمْ؛ فَيُرْسِلُونَ مَا شَاءُوا مِنَ الْكِتَابَاتِ وَالصُّوَرِ وَالْمَقَاطِعِ!

فَصَارَ مَا صَارَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ *** مِنَ الْهُرَاءِ وَمِنْ إِسْفَافِهِ الدَّانِي

وَالْأَدهى وَالْأَمَرُّ أَنَّ بَعْضَهُنَّ تَضَعُ رَابِطَ بُوتِ الصَّرَاحَةِ الْخَاصِّ بِهَا وَفِيه: "اكْتُبْ لِي مَا شِئْتَ وَلَنْ أَعْرِفَ مَنْ أَنْتَ!" فَمَاذَا سَيَكْتُبُ شَابٌّ طَائِشٌ، أَوْ شَخْصٌ فَاجِرٌ، أَوْ مُحِبٌّ لِشِيُوعِ الْفَاحِشَةِ فِي الَّذِينَ آمَنُوا..؟!

-وَبَعْضُهُنَّ تَنْشُرُ مَنْشُورًا عَنْ الْجِلبَابِ ثُمَّ تَرْفِقُ مَعَهُ صُورَتَهَا مُجَلببَة، أَوْ تَحَثُّ عَلَى كِتَابٍ أَوْ تَنْقُلُ مِنْهُ ثُمّ تُذيِّلُ ذَلِكَ الْمَنْشُورَ عَلَى صُورَةِ الْكِتَابِ وَهُوَ فِي يَدِهَا وَاسْمُهَا مَكْتُوبٌ عَلَى كُمِّهَا!

أَوْ تَحَثُّ النِّسَاءَ عَلَى خِدْمَةِ الْزَّوْجِ فَتَتَصَوَّرُ وَهِيَ تَغْسِلُ الْأَوَانِيَ، وتَكْنِسُ البَيْت!

-وَبَعْضُهُنَّ تَنْشُرُ أَوْ تَصَوِّرُ مَنْشُورَاتِ أَخَوَاتِهَا إِلَيْهَا فِي الْخَاصِّ -سَوَاءً كَانَ مَنْشُورًا عَامًّا أَمْ رِسَالَةً خَاصَّةً- وَتَكْتُبُ: أَرْسَلَتْهُ إِلَيَّ أُخْتِي أُمُّ فُلَانٍ فُلَانَةُ الْفُلَانِيَّةُ..!

- أو تُحَوِّلُ لَهَا أُخْتُهَا بِمَنْشُورٍ أَوْ مَقْطَعٍ فَتُحَوِّلُهُ إِلَى قَنَاتِهَا مُبَاشَرَةً فَيَظْهَرُ حِسَابُ تِلْكَ الْمَرْأَةِ الْمُحَوَّلِ مِنْهَا لِكُلِّ الْمُشْتَرِكِينَ فَيَدْخُلُ عَلَيْهَا وَيُرَاسِلُهَا أَيُّ شَخْصٍ، وَبَعْضُهُنَّ تُحَوِّلُهَا مِنْ خِزَانَتِهَا فَيَظْهَرُ حِسَابُهَا هِيَ دُونَ مُبَالَاةٍ، بَلْ -وَاللهِ- إِنَّ بَعْضَهُنَّ تَنْشُرُ رَقْمَهَا فِي قَنَاتِهَا لِلتَّوَاصُلِ بِهَا!

- وَبَعْضُهُنَّ تَنْسِبُ الْقَنَاةَ إِلَيْهَا وَتُسَمِّيها بِاسْمِهَا ثُمَّ تَكْتُبُ تَارِيخَ الْعَقْدِ بِهَا أَوِ الدُّخُولِ عَلَيْهَا أَوْ مَا تَعَاهَدَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا عَلَيْهِ، أَوْ تَنْشُرُ مَنْشُورَاتٍ تُعَبِّرُ فِيهَا عَنْ مَشَاعِرِهَا مِنْ حُبٍّ وَشَوْقٍ وَفَرَحٍ وَتَرَحٍ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ خَصُوصِيَّاتِهَا وَتَفَاصِيلِ حَيَاتِهَا! وَرُبَّمَا عَرَّضَتْ بِالرَّغْبَةِ فِي الزَّوَاجِ وَنَحْوِهِ.

- وَبَعْضُهُنَّ تَتَصَدَّرُ لِلرُّدُودِ عَلَى الرِّجَالِ والأَخْذِ والردِّ مَعَهُم وَالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ وَلَا تَتْرُكُ الرِّجَالَ لِلرِّجَالِ. وَقَدْ بَوَّبَ الْإِمَامُ ابْنُ قُدَامَةَ فِي الْمُغْنِي فقَالَ: بَابٌ: (وَلَا يُقْبَلُ

الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ مِنَ النِّسَاءِ)اهـ. وسَواءٌ قَبِلْناه أمْ ردَدْناه؛ فَدُخُولُهَا بَيْنَ الرِّجَالِ فِي هَذِهِ الْمَوَاقِعِ فِتْنَةٌ وَشَرٌّ.

نَاهِيكَ عَمَّا قَدْ يَحْصُلُ بَيْنَهُنَّ مِنَ الْمُنَاوَشَاتِ وَالْمُهَارَشَاتِ وَالْمُهَاوَشَاتِ الْمُخْزِيَاتِ، وَيَنْقُلْنَ بَعْضَ خِلَافَاتِهِنَّ إِلَى الْقَنَوَاتِ!

-وَبَعْضُهُنَّ يَنْشُرْنَ إِعْلَانَاتِ الْمُحَاضَرَاتِ الْأُسْبُوعِيَّةِ أَوِ الطَّارِئَةِ (سَتُحَاضِرُنَا أُمُّ فُلَانٍ الْفُلَانِيَّةُ، فِي بَيْتِ فُلَانٍ أَوْ مَسْجِدِ كَذَا فِي حَارَةِ كَذَا فِي وَقْتِ كَذَا)!

لَمْ يَرْضَ الْعُقَلَاءُ مِنْ أَهْلِ الْغَيْرَةِ بِنَشْرِ ذَلِكَ فِي الْحَالَاتِ فَصِرْنَ يَنْشُرْنَهُ فِي الْمَجْمُوعَاتِ وَالْقَنَوَاتِ!

فَالأَولَى لُزُومُ السَّكِينَةِ فِي ذَلِكَ، وَأَنْ يَكْتَفِينَ بِبَثِّ ذَلِكَ بَيْنَهُنَّ.

فَإِنَّهُ قَدْ يَدْخُلُ فِيهِنَّ مَن لَيْسَ مِنْهُنَّ وَلَا حَوْلَ مُحَاضَرَاتِهِنَّ فَيَحْصُل تَصْوِيرٌ أَوْ تَسْجِيلٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَقَدْ يَتَسَتَّرُ رَجُلٌ بِثِيَابِ امْرَأَةٍ فَيَلِجُ جَمْعَهُنَّ فَلَا يَعْرِفْنَهُ فلَا يُنْكِرْنَهُ فَيَفْعَلُ مَا شَاءَ! وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا عَنْ أَسْلَافِنَا الْأَوَّلِينَ.

-وَبَعْضُ النِّسَاءِ تَضَعُ لَهَا حِسَابًا فِي بَعْضِ الْبَرَامِجِ فَتُلْقِي مِنْ خِلَالِهِ مُحَاضَرَاتٍ صَوْتِيَّةً مُبَاشِرَةً أَوْ تُسَجِّلُهَا قَبْلُ ثُمَّ تَبُثُّهَا، وَتَكْتُبُ: مَمْنُوعٌ التَّسْجِيلُ، وَدُخُولُ الرِّجَالِ؛ وَهَيْهَاتَ..!

هَذَا إِضَافَةً إِلَى تَضْيِيعِ جُلِّ وَقْتِهَا وَسَهَرِهَا إِلَى أَنْصَافِ اللَّيَالِي فِي الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ عَنْ الْمَنْشُورَاتِ -وربَّما كانَت كلامًا فارِغًا-، وَإِنْفَاقِ مَالِ وَلِيِّهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَإِدْمَانِ النَّظَرِ فِي عَدَّادِ الْمُشْتَرِكِينَ هَلْ هُمْ فِي ازْدِيَادٍ أَمْ نُقْصَانٍ، وَالنَّظَرِ فِي صُورِ الْمُشْتَرِكِينَ وَقَدْ تَكُونُ بَعْضُهَا سَيِّئَةً مُسِيئَةً، ولا أَقَلَّ مِنْ أنْ تَرى صُوَرَهم..!

فَتُهْمِلُ أَهْلَهَا، وَتَغفلُ عن زَوْجِهَا، وَتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا إِنْ كَانَتْ ذَاتَ زَوْجٍ وَأَوْلَادٍ، وَيَشْغَلُهَا ذَلِكَ عَنْ حِفْظِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُتُونِ وَمُرَاجَعَةِ ذَلِكَ، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى الدُّرُوسِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالِاطِّلَاعِ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السَّفَاسِفِ وَالْعُقُوقِ وَتَضْيِيعِ الْحُقُوقِ.. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ. ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ تَظُنُّ أَنَّهَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ صُنْعًا..! فَـ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؟!

فَأَنْصَحُ كُلَّ امْرَأَةٍ -لَا سِيَّمَا السَّلَفِيَّاتُ وَطَالِبَاتُ الْعِلْمِ- أَنْ يَتْرُكْنَ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ الَّتِي ضَرَرُهَا عَلَى عامَّتِهِنّ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا لهُنَّ بِكَثِيرٍ، فَالْمَصَالِحُ فِيهَا لَا تُسَاوِي عُشْرَ مِعْشَارِ الْمَفَاسِدِ؛ ودَرْءُ الْمَفَاسِدِ مُقَدَّمٌ عَلَى جَلْبِ الْمَصَالِحِ. وَلَا تَقُلْنَ: مَنْ سَيَنْشُرُ؟!؛ فَالنَّشْرَ لَهُ أَهْلُهُ مِنَ الرِّجَالِ يَقُومُونَ بِهِ أَحْسَنَ قِيَامٍ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَقَنَوَاتُ الرِّجَالِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ -بِحَمْدِ اللهِ- بِالْمِئَاتِ بل الآلَاف.

فَيَنْبَغِي عَلَى أَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ مَنْعُ نِسَائِهِمْ مِنْ هَذِهِ الْجَوَّالاتِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي مَا رَأَيْنَا مِنْ وَرَائِهَا إِلَّا الشَّرَّ، وَلَا يَجُوز لَهُمُ التَّعَامِي وَالتَّغَافُلُ عَنْ شَرِّهَا، وَقَول: كَثِيرٌ مِن النِّسَاءِ مَعَهُنَّ جَوَّالات؛ فَالْأَكْثَرِيَّةُ مَذْمُومَةٌ غَالِبًا. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكَلَانُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

قُطُوفٌ مُتَفَرِّقَة

تَعْجَبُ وَاللهِ مِنْ وَقَاحَةِ كَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِلَى أَيِّ دَرْكٍ أَوْصَلَتْهُنَّ هَذِهِ الْجَوَّالَاتُ!، فَسُحْقًا سُحْقًا وَبُعْدًا بُعْدًا؛ أَمَا لَهُنَّ زَاجِرٌ مِنْ حَيَاءٍ، أَوْ خَوْفٍ مِنْ غَضَبِ الْأَوْلِيَاءِ؛ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ رَادِعٌ مِنْ دِينٍ وَإِيمَانٍ!

رَحَلَ الْحَيَاءُ مُوَلِّيًا *** يَا خَيْبَةَ الْآمَالِ!

وَوَاللهِ مَا قَلَّ حَيَاءُ النِّسَاءِ، وَوَصَلَ إِلَى الْحَضِيضِ؛ إِلَّا لِضَعْفِ غَيْرَةِ الرِّجَالِ، وَمَا مِنْ أُمَّةٍ وُضِعَتِ الْغَيْرَةُ فِي رِجَالِهَا إِلَّا وُضِعَ الْحَيَاءُ وَوَجَدَتِ الصِّيَانَةُ فِي نِسَائِهَا. وَتَأَمَّلُوا قَوْلَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَمْشِيَ مَعَ الرِّجَالِ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ؛ وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ غَيْرَةً" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. لِتَعْرِفُوا الْخَلَلَ، وَتَتَيَقَّنُوا أَنَّكُمُ السَّبَبُ فِي كُلِّ هَذَا التَّفَسُّخِ وَالِانْسِلَاخِ مِنْ هَذِهِ الْقِيَمِ الْعَظِيمَةِ. فَكُونُوا رِجَالاً لِتَكُونَ نِسَاؤُكُمْ نِسَاءً. وَإِلَّا فَانْتَظِرُوا الْمَذْبَحَةَ؛ **فَوَاللهِ إِنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنْ هذهِ الْجَوَّالَاتِ الْخَبِيثَةِ مِنْ أَعْظَمِ مَذَابِحِ الْأَعْرَاضِ.**

وَاللهِ مَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا، فِي الْوَاقِعِ أَوِ الْمَوَاقِعِ. فَالْمُرَاسَلَاتُ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ خَلْوَةٌ مُحَرَّمَةٌ، وَرُبَّمَا كَانَتْ أَخْطَرَ مِنَ الْخَلْوَةِ الْحَقِيقِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْعَيْنَ تَسْتَحْيِي مِنَ الْعَيْنِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْمَى:

كَيْفَ يَرْجُو الْحَيَاءَ مِنْهُ صَدِيقٌ *** وَمَكَانُ الْحَيَاءِ مِنْهُ خَرَابُ!

وَأَمَّا فِي هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ الْخَبِيثَةِ فَيَقُولُ مَا يَشَاءُ، دُونَ خَجَلٍ أَوْ وَجَلٍ أَوْ حَيَاءٍ! فَيَا رَبِّ غَوْثَكَ وَرَحْمَتَكَ!

وَصَلَ الحالُ، بِبَعْضِ أَشْبَاهِ الرِّجَالِ، أَنْ يَسْأَلَ امرَأَتَهُ هَذَا السُّؤَالَ:

تُرِيدِينَنِي أَنا أَمِ الجَوَّال؟! فَتَقُولُ: الجَوَّالُ، لا أَبْغِي بِهِ بَدَلًا وَلَوْ بَدَلًا مِنَ الأَبْدَالِ!

فَيَرْجِعُ فِي شَرِّ حَال، مَغْمُومَ القَلْبِ كَاسِفَ الْبَالِ، وَيَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَسْأَلْ هَذَا السُّؤَالَ.

فَسُحْقًا سُحْقًا، وَبُعْدًا بُعْدًا لِأَشْبَاهِ الرِّجَالِ.

الوُلاةُ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ نِسَاءَهُمْ يَسْرَحْنَ وَيَمْرَحْنَ فِي مَوَاقِعِ التَّوَاصُل، وَيَفْعَلْنَ مَا يُخِلُّ بِأَخْلَاقِهِنَّ، وَيُسِيءُ إِلَى سَمِعَتِهِمْ قَبْلَ سُمْعَتِهِنّ؛ لَا أَعُدُّهُمْ فِي دِيوَانِ الرِّجَالِ، وَلَا أُلْقِي لَهُمْ بَالًا، وَلَا أُبَالِي أَوَعَدُوا أَمْ أَوْعَدُوا. وَمَا أَحَقّهمْ بِقَوْلِ جَرِيرٍ:

خُذُوا كُحْلًا وَمِجْمَرَةً وَعِطْرًا *** فَلَسْتُمْ يَا فَرَزْدَقُ بِالرِّجَالِ

وَشُمُّوا رِيحَ عَيْبَتِكُمْ فَلَسْتُم *** بِأَصْحَابِ العِنَاقِ وَلَا النِّزَالِ

وَاللَهِ إِنَّ هَذِهِ الجَوَّالاتِ الْحَدِيثَةَ= بَوّابَةٌ عَرِيضَةٌ لِدُخولِ الْفَسادِ، عَلى النِساءِ وَالأَوْلادِ؛ بَلْ وَالْجَهابِذَةِ الشِّدادِ.. وَالأَيامُ حَبالى، وَلَيْسَ يَعْلَمُ غَيْرُ اللهِ مَا تَلِدُ.

وَاللهِ إِنَّ بَاطِنَ الأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا لِمَنْ زَلَّتْ بِهَا القَدَمُ فِي وَحَلِ الإِنْتِرْنتَ.

فَاتْرُكِي الجِهَازَ قَبْلَ الإِجْهَازِ، وقَبْلَ النَّدَمِ، وَزَلَّةِ القَدَمِ؛ فكَمْ مِنْ فَتَاةٍ بِسَبَبِ هذه الجَوَّالاتِ؛ بَقِيَتْ حَبِيسَةَ الدَّارِ، حَامِلَةَ العَارِ، وَ كَانَ الثَّمَنُ شَرَفَهَا.

مَا أَحَقَّنَا فِي عَصرِ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ أَنْ نَتَمَثَّلَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ: "لَا تَسْأَلْ عَمَّنْ هَلَكَ كَيْفَ هَلَكَ، وَلَكِن سَلْ عَمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا!" فَالتَّخْرِيبُ والإفْسَادُ أَصْلٌ أَصِيلٌ مِنْ أُصُولِ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ الْخَبِيثَةِ لَا يَكَادُ يَنْفَكُّ عَنْها أَوْ تَنْفَكُّ عَنْهُ حَتَّى تَنْفَكَّ النَّارُ عَنْ الْإِحْرَاقِ، والبَحْرُ عَنْ الْإِغْرَاقِ!

أَيُّهَا الغَارِقُونَ فِي بِحارِ الغَفْلَةِ، أَيُّهَا المُتَسَاهِلُونَ فِي تَمْكِينِ نِسَائِكُمْ مِنْ هَذِهِ الجَوَّالاتِ الخَبِيثَةِ، مَتَى تَنْتَبِهُونَ مِنْ غَفْلَتِكُمْ! مَتَى تَسْتَيْقِظُونَ مِنْ سُبَاتِكُمْ؟! كَفَاكُمْ.. فَقَدْ نُمْتُم مَا لَمْ يَنَم أَهْلُ الرَّقِيمِ!

أَمَا -وَاللهِ- لَقَدْ غَطَّى الرَّانُ عَلَى القُلُوبِ، وَحَجَبَها جِدارٌ سَمِيكٌ مِنَ الغَفْلَةِ وَإِحْسَانِ الظُّنُونِ، فَعَمِيَتْ عَنْ رُؤْيَةِ الحَقِّ الجَلِيِّ الثَّابِتِ بِالأَدِلَّةِ السَّاطِعَةِ، وَالبَرَاهِينِ القَاطِعَةِ، وَعَلَيْهِ شُهُودُ الحِسِّ وَالْوَاقِعِ والفِطْرَةِ والعَقْلِ!

وَلَوْ كُشِفَ الغِطَاءُ، وَرُفِعَ الحِجَابُ، وَانْقَشَعَتْ سَحَائِبُ السِّتْرِ، وانْجلَى الغُبَارُ عنِ الحَقَائِقِ؛ لَرَأَى بَعْضُكُمْ أَهْوَالًا تَشِيبُ لَهَا نَوَاصِي الوِلْدانِ، وَلَرُبَّمَا قَتَلُوا أَنْفُسَهُمْ أَوْ نِسَاءَهُمْ، وَأُصِيبُوا بِالصَّدَمَاتِ وَالْجَلَطَاتِ، وَنَدِمُوا وَلَا نَدَامَةَ الكُسَعي، فَيَا للهِ مَاذَا

يَحْدُثُ فِي زَوَايَا مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ مِنْ انْتِهَاكٍ لِلْأَعْرَاضِ الطَّاهِرَةِ النَّقِيَّةِ! وَالْخِيَانَاتِ الشَّنِيعَةِ، وَالْمُنْكَرَاتِ العَظِيمَةِ!

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ، وَأَنْ يَقْبِضَنَا إِلَيْهِ غَيْرَ مَفْتُونِينَ.

وَاعَجَبَاهُ مِنْ غَفْلَتِكُمْ، أَيَنْتَظِرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مُصِيبَةً تُصِيبُهُ، وَنَازِلَةً تَنْزِلُ عَلَيْهِ؛ لِيَعْلَمَ خَطَرَ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْ هَذِهِ الْجَوَّالَاتِ! فَأَيْنَ عُقُولُكُم؟! أَفِيقُوا، أَلَا تَعْتَبِرُونَ بِغَيْرِكُمْ!

إِذا لَـم تَكُنْ لِـمَقَالِ الـنَّصِيحِ *** سَـمِيعًا وَلا عـامِـلًا أَنْـتَ بِـهْ

سَيُوقِظُكَ الدَّهرُ مِن رَقْدَةِ الـ *** ـمَلاهي وَإِن قُلتَ لا أَنْتَبِهْ

يَا أَهْلَ النُّفُوسِ الْأَبِيَّةِ، يَا أَهْلَ الْغَيْرَةِ وَالْحَمِيَّةِ، أَتَقِرُّ عَيْنُ أَحَدِكُمْ وَيَهْدَأُ بَالُهُ وَيَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ؛ وَنِسَاؤُهُ يَقْتَتْنَ مِن مَزَابِلِ النّتِ وَيَخُضْنَ فِي أَوْحَالِهِ!

يَا أَيُّهَا الْوَاثِقُ بِنِسَائِهِ: فَتِّشْ جَوَّالَاتِهِنَّ الْمُرَمَّزَةَ وَسَتَرَى الْعَجَائِبَ إِنْ كُنْتَ أَفْطَنَ مِنْهُنَّ، أَمْ تَعُدُّونَ هَذَا مِنَ التَّشَدُّدِ وَقِلَّةِ الثِقَةِ؟!

الَّذِي يُمْكِّنُ نِسَاءَهُ مِنْ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ الحَدِيثَةِ، وَيَفْتَحُ لَهُنَّ بَابَ الفِتْنَةِ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ دُونَ رَقِيبٍ أَوْ حَسِيبٍ:

إِمَّا أَنْ يَكُونَ غَافِلًا، أَوْ جَاهِلًا بِالمَخَاطِرِ وَالأَضْرَارِ.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ جَبَانًا مَغْلُوبًا فِي الدَّارِ.

وَإِلَّا فَهُوَ ضَعِيفُ الغَيْرَةِ؛ أَوْ رُبَّمَا لَا يَغَارُ!

لَا يَقِلُّ خَطَرُ هَذِهِ الجَوَّالَاتِ عَنْ خَطَرِ المُنَظَّمَاتِ، بَلْ إِنِّي أَرَاهَا أَشَرُّ وَأَضَرُّ وَأَخْطَرَ، غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ عُمْيٌ عَنْ خَطَرِهَا، غَافِلُونَ عَنْ شَرِّهَا، وَأَخْشَى أَلَّا يَسْتَيْقِظُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ إِلَّا عَلَى خَرَابِ بُيُوتِهِمْ، وَتَدْنِيسِ أَعْرَاضِهِمْ.

واللهِ لَقَد هَتكَتْ هَذِهِ المَواقِعُ سِتارَ السِّتْرِ، وَأَصبَحَتْ خَصُوصِيَّاتُ النَّاسِ مُكشوفَةً لِكُلِّ أَحَدٍ! حَتّى ذَواتُ الخُدورِ اللَّاتي لَم يَكُنْ يُسمَعُ لَهُنَّ قَبلُ حِسٌّ، وَلا يُعلَمُ عَنهُنَّ شَيءٌ؛ أَصبَحَت جَميعُ بَياناتِهِنَّ بَيِّنةً لِكُلِّ غادٍ وَرائحٍ! بَل بَعضُهُنَّ صارَت غَنِيَّةً عَنِ التَعرِيفِ؛ كَما قالَت عَنهَا صُوَيحِبَتُها!

يا لِطُولِ الحَسْرَةِ، وَغَزارَةِ العَبْرَةِ؛ إِن دُنِّسَت الأَعراضُ، وَقَضى مِنها المُفسِدونَ الأَغراضَ! **وَواللهِ إِنَّ هَذِهِ الجَوَّالاتِ لَتَنهَشُها نَهشَ وَلِيِّ السُّوءِ في مالِ اليَتيمِ أَو أَشَدَّ.** وَلكِنّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمونَ.

يَا أَيُّهَا المُتَساهِلُ في صِيانَةِ عِرضِكَ، أَيُّهَا المُمكِّنُ نِساءَكَ مِن هَذِهِ الجَوَّالاتِ الخَبيثَةِ، أَلا تَدَّكِرُ وَتَعتَبِرُ! **وَيلَكَ أَفِقْ، أَلَم يَأتِكَ النَّذيرُ، أَلَم تَرَ سُوءَ عاقِبَةِ الكَثيرِ، أَتَنتَظِرُ سُوءَ المَصِيرِ، أَأَعمى أَنتَ أَم بَصيرٌ؟!**

السَّعيدُ مَن وُعِظَ بِغَيرِهِ، وَالشَقيُّ مَن كانَ عِبرَةً وَعِظَةً لِغَيرِهِ، وَشَرُّ الثَّلاثَةِ مُتَمادٍ في غَيِّهِ، لَم يَنتَفِع كَالأَوَّلِ، وَهُوَ يَنتَظِرُ مَصيرَ الثَّاني؛ إِن لَم يَتَغَمَّدْهُ اللهُ بِواسِعِ رَحْمَتِهِ.

الفهرس

مُقَدِّمَةُ الشَّيخِ أَبِي عَاصِمٍ الدُّبَعِيِّ ١

مُقَدِّمَة ٣

إِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ٨

المَقَامَةُ الهَاتِفِيَّة ١٢

زَامِلَةُ العَارِ ١٧

بَيْنَ التِّلْفَازِ والجَوَّالِ ٢١

عُشَّاقُهم وعُشَّاقُنَا! ٢٤

أَيُغَيِّرُ صَاحِبُ الحَقِّ بِمَا يَعْتَزُّ بِهِ! ٢٦

الِانْهِزَامُ! ٢٨

حِيلَةٌ وَوَسِيلَةٌ، أَمْ صَلَاحٌ وَفَضِيلَةٌ؟! ٣١

استفتِ قلبَك ٣٣

فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الغَدِ! ٣٦

ما هَذَا الْخُنُوعُ وَالانْبِطَاحُ؟! ٣٨

الْحِكْمَةُ اليَمانِيَّة ٤٠

الجَوَّالاتُ وَالطَّلاقُ ٤٣

سِنَةُ الغَفْلَةِ وَحِجَابُ الثِّقَةِ ٤٥

الحَزْم ٤٨

رِسَالَةٌ إِلَى مُغتَرِبٍ ٥٢

رِسَالَةٌ إِلَى مُراسِلٍ لِلنِّسَاءِ ٥٥

نِدَاءٌ لِلْآبَاء ٥٨

خُضوع النِّساءِ في مَوَاقِعِ التَّواصُل ٦٠

فِتْنَةُ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ أَشَدُّ (تَعْزِيزٌ لِسَابِقِهِ) ٦٥

الجَوَّالاتُ وَذَبْحُ الأَوقاتِ ٦٨

أَنَا عَدُوُّهَا ٧٠
سُرعةُ انجِرارِ النِّساء ٧٢
تَمْكِينُ النِّسَاءِ مِنَ الْجَوَّالاتِ يُنَافِي رُوحَ الْقَرَارِ فِي الْبُيُوتِ ٧٣
لَيْلُ الصَّالِحَاتِ، وَلَيْلُ المُؤْتِرَاتِ ٧٦
عَاقِبةُ التَّفْرِيطِ! ٨٠
أَيْنَ كُنّا وإِلَى أَيْنَ صِرْنا! ٨٣
مَنِ المُخْطِئ؟! ٨٥
إِنَّهَا الحَرْبُ! ٨٧
وَسَائِلُ وَبَدَائِلُ ٩١
النِّسَاءُ وَالتَّصْوِيرُ.. أَخْطَارٌ وَأَضْرَارٌ ٩٣
الجَوَّالَاتُ.. وذُنُوبُ الخَلَوَاتِ ٩٩
قَالُوا وَقُلْتُ (كَشْفُ الشُّبُهَات). ١٠٩
تَمْهِيْدٌ ١٢٤
إِلَى الْمُزَكِّينَ أَنْفُسَهُمْ ١٢٦
مُرَاسَلَةُ النِّسَاءِ للرِّجَالِ بِحُجَّةِ الْاستِفْتَاءِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ ١٢٩
مَنْ يُصْلِحُ الْمِلْحَ إِذَا الْمِلْحُ فَسَد! ١٣٠
نَصِيحَةٌ لِلْإِخْوَةِ الْخَارِجِينَ دَعْوَة ١٣٣
الإِعْلَامُ بِبَعْضِ مَفَاسِدِ إِنْشَاءِ النِّسَاءِ القَنَواتِ فِي التِّلِيجَرام ١٣٥
قُطُوفٌ مُتَفَرِّقَة ١٤٠

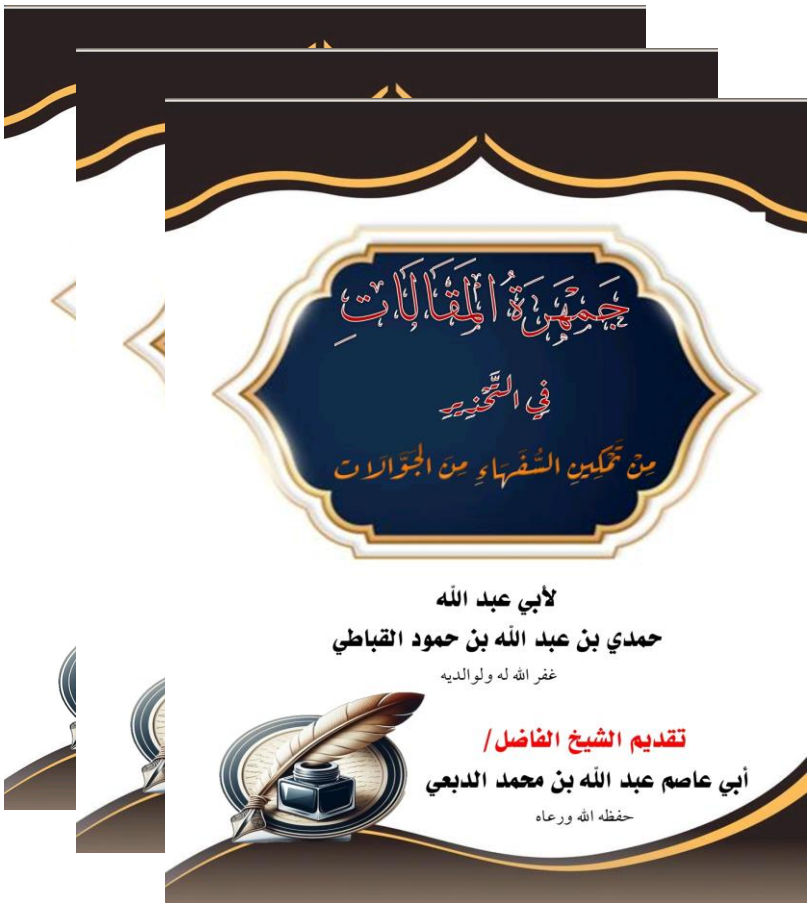

لقد بذلتُ لكم نُصحي بلا دَخَلٍ

فاستيقظوا إنَّ خير العِلمِ ما نفعَا

هذا كتابي إليكمْ والنذيرُ لكم

لمن رأى رأيهُ مِنكمْ ومن سمِعَا